


انا عايز
أتجوز...
Single and Proud

المورد الثقافي
المكتب الرئيسي : 19 ميدان سنكتليت، 1000بروكسل – بلجيكا
المكتب الإقليمي 43:شارع المقياس، الرمز البريدى : 11451الروضه
ص .ب 175المهندسين، القاهرة - مصر
تليفون: +202 2362 5057
فاكس +202 2362 6748
البريد الإلكتروني : info@mawred.org
تصميم الكتاب : شريف مكى
صور الغلاف الداخلى : حمدى رضا
هذا الكتاب صدر بالتعاون مع: روافد للتوزيع والنشر
+2 01222235071
www.rwafead.com
rwafead@gmail.com

prohouse printing consulting
449 شارع السودان، المهندسين، الجيزة - مصر
تليفون/ فاكس : +2 33 44 22 76
www.prohouse-printing.com

رقم الإيداع : 2012 / 4455
ISBN: 978-977-6370-44-9
الطبعة الأولى 2012

قائمة المحتويات

مرفق بالكتاب USB محمل بـ 25 أغنية وفيديو

العام الأول من الثورة المصرية

مع مرور عام على ثورة 25يناير التي قلبت كل الموازين، نتذكر، نحن فريق عمل « المورد » ، السنة الفائتة مع أحاسيس متضاربة، تتأرجح بين الفخر والسعادة من جهة، وبين الحزن والإحباط من جهة أخرى. تدور المشاهد والأحداث في الذاكرة: نتذكر يوم 24 يناير ، 2011 وحواراتنا وتساؤلاتنا عما سيحدث غدا، وهل ستلحق مصر بتونس في ركب الثورة، وعما إذا كانت فئات الشعب المختلفة ستستجيب لنداءات النزول إلى الشارع للتنديد بممارسات نظام بوليسي فاسد جثم على الصدور لسنوات طويلة.

نتذكر رغبتنا الحقيقية في أن يحدث شيء ما ، شيء لا نعرف ماهيته تحديدا ، لكن هو أمر قادر على تغيير سير الأحداث واستيقافُ تيار من الظلم والديكتاتورية أطاح بكل شيء ولم يعد يرى أمامه غير مصالح نظام وصل فساده إلى كل قطاعات الدولة، وطال ظلمه كل صاحب حقّ وكل مدافع عن رأي أو فكرة وكل مطالِب بحرِّيته وحرية أبناء وطنه. لم يكتفٍ نظام الستين عاما بتخريب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمصريين، وإنما طال تأثيره الكيان الداخلي للمواطن المصري ، ضميره ووعيه، فأفقدهُ احترامه لنفسه، وانتماءه إلى وطنه، لذلك لم يعد من المستغرَب أن يُلقي مصريُّون في سنِّ الزهور بأنفسهم في مراكب الهجرة غير الشرعية غير مبالين بأن الموت ينتظرهم في كل لحظة.

نتذكر يوم 25يناير، والأحاسيس المختلفة التي شعرنا بها، بين السعادة لأن الشعب انتفض أخيرًا على الظلم، والخوف من العواقب والإحباط في حال إجهاض محاولات الثورة. يومها نزلنا إلى الشارع بقوة جذب تلقائية، لم نفكر ولم نحسب الحسابات، ولم نقدِّر العواقب. وفور النزول إلى الشارع، شعرنا برائحة مختلفة لشوارع مصر، وملامح مختلفة للمصريين يكسوها القلق والتوتُّر، ولكن يوحدها الأمل والإصرار. وحينها بدأنا نتساءل عما إذا كان بوسعنا أن نحلم برؤية مصر جديدة مختلفة، نحن الذين لم نرَ منذ مولدنا غير نفس الوجوه الفاسدة الكئيبة.

فور سقوط أول شهيد، بدأت تتضح ملامح الموقف، نحن لسنا بصدد احتجاجات وهوجة شعبية سيتم إخمادها في القريب، وإنما ثورة حقيقية يقف فيها الشعب بكل فئاته أمام نظام ديكتاتوري ، قمعي ووحشي . الصور تتلاحق في المخيلة مسرعة: ميدان التحرير المكتظ بالحياة والإصرار، دماء الشهداء ووجوههم البريئة، سيارات الشرطة التي تدهس شباب الثوار بدلاً من حمايتهم،

وجوه رموز النظام غير المبالية والشريكة في المؤامرة... كان الشباب هو سيد الموقف ومحرِّك الأحداث وكنا، لأول مرة، نشعر بأنه يمكننا التغيير، وأن مصيرنا بأيدينا.

نتذكر مشاعرنا المتضاربة بين الأمل والخوف والتوتُّر، وكيف أن تفكيرنا في العمل أصبح موجها لخدمة ودعم الثورة وأهدافها والثوار والميدان، ومن هنا كان قرار نقل »مسرح الجنينة« إلى ميدان التحرير. ووسط الدخان والخرطوش والرصاص الحي وبلطجية الحزب الوطني، كان مسرح الجنينة منبرًا للفنانين والثُّوَّار، وعليه

استمع ثوار التحرير إلى أولى أغاني الثورة، وتحدث الكُتَّاب والفنانون من قلوبهم، باعثين الأمل والإصرار والمقاومة. لم يكن الوجود في الميدان بالنسبة إلينا عملاً ً ، بقدر ما كان واجبا، وعلى الرغم من اختلاف الشخصيات والميول ودرجة الشجاعة والإقدام وخوف وقلق الأهل، كان فريق عمل »المورد« في الميدان.

ويوم أن رحل رأس النظام، بدأت مرحلة جديدة في عمل» المورد« ، حاولنا فيها إعادة صياغة برامج المؤسسة لدعم استكمال أهداف الثورة وخلق قنوات للتعبير عنها من خلال الفن والإبداع . أضيفت إلى مهامنا مهمة جديدة هي مشاركة كل القوى الثورية، وعلى الأخص الفنانون والمثقفون، في حماية الثورة المصرية، والثورات العربية في تونس وليبيا وسوريا واليمن والبحرين، وتحقيق أهدافها في حرية الشعوب والحفاظ على كرامتها.

اليوم نقف لنتساءل: بعد عام من ثورة ً 25يناير، أين نحن من أهدافها ؟ مرت الشهور سريعا، متخمة بأحداث متلاحقة ، متأرجحة ما بين طموح الشباب إلى تغيير سياسي واجتماعي جذري وحقيقي، ومحاولات الإصلاح والخروج من عنق الزجاجة، وإصرار فلول النظام وأتباعه على تشويه الثورة من خلال حملة إعلامية بدأت منذ يوم خلع مبارك، وعلى استدراج الثوار والقوى السياسية إلى مهاترات بهدف الرجوع إلى نقطة الصفر. وفي أثناء ذلك كله، استمر القمع والتنكيل بشباب الثورة وتساقط الشهداء في ماسبيرو ومحمد محمود ومجلس الوزراء.

لذلك، كان النقاش طويلاً حول أسلوب إحياء ذكرى الثورة، كانت كلمة» احتفال« فيّ حد ذاتها محلٍّ نقاش وشد وجذب، في »المورد «كما في الشارع وبين صفوف الثُّوَّار. فالوضع الحالي لا يشي بالأمل في انفراجةِّ قريبة، الثورة لم تحقق أهدافها في الحرية والعدالة الاجتماعية، وما زال دم الشهداء يبحث عن القصاص من القتلة والمجرمين. قررنا أن لا نحتفل.

من هنا جاءت فكرة الكتاب الذي بين أيديكم، في محاولة لتوثيق لحظات لن تمحى من الذاكرة، لحظات غيَّرَت وطنًا ومواطنين ووحدتهم على كلمة واحدة. والأمر لم يكن سهلاً، فاختيار أحداث وصور وأسماء تركت بصمتها على السنة الماضية أمرٌ يكاد يكون مستحيلاً، فكل من خرج إلى شوارع وميادين مصر منذ أول أيام الثورة حتى الآن يستحقُّ ً كتبا لا كتابًا، وشهداء مصر يستحقون أكبر تكريم وإعزاز،

واختيار عددٍ منهم ليضمه هذا الكتاب لم يكُن إلاّ على أساس توافر المعلومات، فما زلنا بحاجة ماسة إلى التوثيق الأمين والدقيق لكل ما يخص أحداث ورموز الثورة وعلى رأسهم الشهداء.

« 25 » هو اسم الكتاب، وهو يوم بداية الثورة، وهو عدد ما يحتويه كل فصل من فصول الكتاب من صور ومقالات وشخصيات وشهداء وفصول أخرى . نأمل أن يبعث في ذهن كل من سيتصفحه ذكريات مليئة بالفخر والعرفان لكل من قدَّم التضحيات وأن يؤكِّد مشاعر الإصرار والصمود والتصميم لاستكمال ما بدأناه والذي كلفنا كثيرًا من الدماء والأرواح ، آملين أن تحمل ذكرى الثورة ً الثانية وجها أكثر إشراقًا وسعادة لمصر وللمصريين.

والثورة مستمرة ...

تواريخ

8 أغسطس 2004: ظهور الحركة المصرية من أجل التغيير «كفاية»

30 يونيو 2005: وقعت الحكومة المصرية اتفاقية تقضي بتصدير 1.7 مليار متر مكعب سنويا من الغاز الطبيعي إلى إسرائيل ولمدة 20 عاما

2 فبراير 2006 : غرقت العبارة السلام 98 في البحر الأحمر وهي في طريق العودة من مدينة ضبا السعودية إلى سفاجا المصرية، وهي تحمل على متنها 1,312 مسافر بالإضافة إلى طاقمها المؤلف من 104 فرد، كان معظمهم يعملون في السعودية بالإضافة إلى بعض العائدين من أداء مناسك الحج.

ضحايا العبارة 1039 قتيلا ومفقودا.. والناجون من طاقمها يحملون القبطان المسؤولية

المصرى اليوم 6 فبراير 2006

أغلقت سلطات ميناء سفاجا الأمل في وجوه أهالي ضحايا العبارة السلام 98 التي غرقت في مياه البحر الأحمر فجر الجمعة الماضي بإعلانها أن عدد الناجين من الحادث توقف عند 376 شخصا، ومن غير المرجح العثور علي مزيد من الناجين بعد مرور حوالي أربعة أيام علي غرق العبارة علي بعد 90 كيلو مترا من ميناء سفاجا.

وبهذه الإحصائية غير النهائية يصبح عدد الضحايا نحو 1039قتيلا ومفقودا.

واستمعت نيابة البحر الأحمر لشهادات من 131ناجيا من الحادث وكان أكثرها إثارة ما قاله المهندس علي أحد العاملين بالعبارة المنكوبة ، والتي أكد خلالها أنه سبق وأن قدم تقريرا لأصحابها تضمن أنها متهالكة ولاتصلح للإبحار. وقال في التحقيقات إن الخلل الرئيسي بدأ في مدخنة الشكمان الخاص بالمولد، وأضاف»: اشتبكت مع القبطان سيد عمر بالأيدي بعد ساعة واحدة من الإبحار وطلبت منه العودة إلي ضبا لكنه رفض« . وأكد ثلاثة ضباط من طاقم العبارة نفس المعلومات، وأضافوا بأن القبطان، المفقود حتي الآن، رفض النصائح بالعودة للميناء السعودي ، وتحرك بالعبارة والنار مشتعلة فيها، وقالوا إنهم أطلقوا صواريخ ضوئية قبل الغرق، دون جدوي. وأضافوا أن القبطان لم يرسل أية اشارات استغاثة طوال الرحلة.

من جهة أخري وصل إلي ميناء سفاجا أمس وفد لجنة النقل والمواصلات بمجلس الشعب برئاسة عبدالعزيز مصطفي وكيل المجلس وحمدي الطحان رئيس اللجنة، لإعداد تقرير عاجل للمجلس عن الحادث. كما وصل إلي القاعدة البحرية بسفاجا 40 طبيبا شرعيا من وزارة العدل للكشف علي الجثث وتحديد أسباب الوفاة، قبل نقلها إلي مشرحة زينهم بالقاهرة . وصرح اللواء مؤمن البنان » سكرتير عام محافظة البحر الأحمر «بأن الأجهزة الأمنية قامت ليلة أمس الأول بتصوير الجثث التي تم العثور عليها لعرضها علي شاشات عملاقة في ميناء سفاجا.

وطلب المهندس محمد منصور وزير النقل، من المنظمة البحرية الدولية» « IMO المشاركة في التحقيقات المتعلقة بأسباب غرق العبارة، وقام منصور بتشكيل لجنة عليا لإدارة الأزمة.

وفي القاهرة التقي الدكتور أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء صباح أمس في مكتبه بالقرية الذكية مع زهير جرانة وزير السياحة وجرت مناقشة تأثيرات الحادث علي السياحة، ومواجهة تداعياته. وأجري نظيف عدة اتصالات هاتفية بوزير النقل المتواجد في سفاجا لتجهيز المعلومات التي قدمها نظيف في مؤتر صحفي عقده في السادسة من مساء أمس. وفيما أعلن **ممدوح إسماعيل**» مالك العبارة المنكوبة «ومدير شركة السلام التزامه بدفع جميع التعويضات لأسر الضحايا دون انتظار لتقديرات شركات التأمين، طالب عدد من نواب البرلمان وخبراء النقل بفتح ملفه الشخصي وملف شركة» السلام« ، وقالوا لـ» المصري اليوم« إن هناك شخصيات وجهات مهمة في الدولة تغلق الأبواب أمام مساءلته عن الكوارث التي تسبب فيها خلال السنوات الماضية.

6 أبريل :2008 انتفاضة عمال المحلة وتكوين حركة 6 أبريل

19 فبراير :2010 عودة الدكتور محمد البرادعي وتأسيس الجمعية الوطنية للتغيير

جمعية وطنية من أجل التغيير

الشروق 24فبراير 2010

اتفق الدكتور محمد البرادعي مع مجموعة من رجال السياسة والفكر وممثلين عن الأحزاب المختلفة على تشكيل» جمعية وطنية من أجل التغيير«، على أن توجه الدعوى لكل المواطنين والقوى السياسية والأحزاب ومنظمات المجتمع المدني للانضمام إليها. وقد تم هذا الاتفاق خلال الاجتماع الذي عقده البرادعي في منزله مع أكثر من 30 شخصية من النشطاء السياسيين من بينهم محمد أبو الغار وعلاء الأسواني وجورج إسحاق وأمين إسكندر ويحيى حسين ويحيى الجمل وحمدي قنديل وحسن نافعة ومحمود الخضيري .

وقد حضر اللقاء أيضا رؤساء أو ممثلين للأحزاب المصرية من بينهم أيمن نور، مؤسس حزب الغد، وأسامة الغزالى حرب، رئيس حزب الجبهة، وحمدين صباحى، رئيس حزب الكرامة تحت التأسيس، وممدوح قناوى، رئيس الحزب الدستورى، وعصام سلطان القيادى بحزب الوسط تحت التأسيس، ومصطفي الطويل، الرئيس الشرفي لحزب الوفد. بالإضافة إلى سعد الكتاتنى، رئيس كتلة الإخوان المسلمين في البرلمان.

11

كما تم الاتفاق، وفقا لما أعلنه جورج إسحاق، على تشكيل» لجنة تحضيرية «، تكون مهمتها تفعيل التصور الذي اتفق عليه وتحديد آليات عمل الجمعية. ولم يتم بعد تشكيل أعضاء هذه اللجنة التحضيرية. وقال حمدين صباحي إن اللجنة ستقوم أيضا بوضع اقتراحات للتحرك في الشارع والنزول إلى المحافظات وجمع التوقيعات للمطالبة بتعديل 3 مواد أساسية في الدستور هي المواد: 76 و 77 و 88.

كما تم الاتفاق على رفع دعاوى قضائية أمام المحاكم المصرية للمطالبة بتفعيل مواد الدستور الملزمة بتطبيق المعايير الدولية وذلك طبقا للاتفاقات الدولية التي وقعت عليها مصر .

وقد اتفق المشاركون في اللقاء على استمرار التشاور مع الدكتور البرادعي حتى سفره يوم 26 فبراير ليعودوا للاجتماع معه من جديد بعد عودته للقاهرة نهاية مارس المقبل.

اعتصام 2 مايو 2010 أمام مجلس الوزراء للمطالبة بإنفاذ الحكم القضائي الملزم لرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بوضع حد أَدنىٰ عادل للأجور

6 يونيو 2010: مقتل خالد سعيد وانتفاضات ضد التعذيب وتأسيس صفحة كلنا خالد سعيد

الآلاف يشاركون فى وقفة احتجاجية ضد »الداخلية «

تضامناً مع أسرة »قتيل الإسكندرية «

المصرى اليوم 26 يونيو 2010

نظم الآلاف من النشطاء ورموز القوى السياسية وقفة احتجاجية، عقب صلاة الجمعة بالإسكندرية، أمس، تضامناً مع أسرة خالد سعيد المعروف إعلامياً بـ« شهيد الطوارئ« ، وشارك فى الوقفة الدكتور محمد البرادعى وزوجته الدكتورة عايدة الكاشف، وأيمن نور، رئيس حزب الغد الأسبق.

وردد المشاركون هتافات ضد وزارة الداخلية، واتهموها بتعذيب المتوفى حتى الموت. وزار الدكتور البرادعى منزل أسرة خالد سعيد لتقديم واجب العزاء، كما نظمت قوى سياسية وقفة احتجاجية مماثلة بالفيوم عقب صلاة الجمعة.

وطالبت منظمة »هيومان رايتس ووتش« السلطات المصرية بالتحقيق مع رجلى الشرطة اللذين تتهمهما أسرة خالد سعيد بالتسبب فى مصرعه. وقالت، فى بيان أصدرته أمس، إن تقرير الطب الشرعى لم يقدم إجابات تفسر الإصابات فى جسد الضحية .

كانت نيابة استئناف الإسكندرية قد استمعت، أمس الأول، إلى شاهد جديد فى الواقعة، وهو أحمد عبدالحكيم مطاوع، طالب الصيدلة الشاهد على مناظرة الجثة. وقال إن جسد الضحية كان خالياً من النبض قبل وصول سيارة الإسعاف.

واستدعت النيابة عوض إسماعيل ومحمود صلاح الشرطيين اللذين تتهمهما أسرة الضحية بضربه حتى الموت، للاستماع إلى أقوالهما.

2010: مظاهرات حاشدة في القاهرة والإسكندرية وبورسعيد ضد التوريث والتمديد وقد نظم المظاهرات أكثر من سبعة عشرة حركة وحزبا سياسيا

8 نوفمبر 2010 : التزوير الفج الفاجر فى انتخابات مجلس الشعب

31 ديسمبر 2010 : تفجيرات كنيسة القديسين بالإسكندرية

انفجار سيارة مفخخة أمام كنيسة القديسين بالإسكندرية

اليوم السابع 1 يناير 2011

انفجرت سيارة مفخخة أمام كنيسة »القديسين« بشارع خليل حمادة بمحافظة الإسكندرية فى تمام الساعة الثانية عشرة و 20 دقيقة ، وانتقلت أجهزة الأمن إلى مكان الحادث ، وجار تشيط المكان تحسبا لأى انفجارات أخرى. ولم تسفر المعلومات الأولية عن أعداد المصابين أو الضحايا حتى الآن.

الثلاثاء 25يناير 2011

آلاف المصريين يهتفون ضد مبارك في «يوم الغضب»

CNN الخميس ، 24فبراير 2011

هتف متظاهرون يوم الثلاثاء، في» يوم الغضب«، حسب ما سمته القوى السياسية المعارضة في مصر، ضد نظام الحكم في البلاد، ورددوا شعارات معادية للرئيس المصري حسني مبارك.

وهتف المتظاهرون » يا مبارك يا مبارك.. السعودية في انتظارك «، في إشارة إلى المملكة العربية السعودية التي لجأ إليها الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي، بعد أسابيع من الاحتجاجات الشعبية في تونس.

وبدأ » يوم الغضب« في مصر صباح الثلاثاء، في أغلب الشوارع الرئيسية والميادين العامة في القاهرة، وأخفقت قوات الأمن فشل في السيطرة على المتظاهرين أغلب الأحيان.

وافترش آلاف المتظاهرين الأرض أمام مبنى التليفزيون المصري، قاطعين طريق كورنيش النيل، وفشل الأمن في منع المتظاهرين من الوصول لمبنى التليفزيون المصري بمنطقة ماسبيرو، فيما كان آلاف آخرون أحاطوا بالمقر الرئيسي للحزب الوطني على كورنيش النيل، بعد أن تجمعوا في مظاهرتين تحركتا من ميدان التحرير ودار القضاء، وتجمع مئات آخرين أمام مبنى جريدة الأهرام مخترقين شارع الجلاء. واضطرت قوات الأمن لإغلاق مداخل ميدان التحرير، أكبر ميادين القاهرة، لمحاصرة المتظاهرين بما فيها محطات المترو، غير أن المحتجين الذين منعهم الأمن من الانضمام لمتظاهري دار القضاء العالي، تجمعوا في مظاهرة حاشدة اتجهت للمقر الرئيسي للحزب الحاكم على الكورنيش وفيها عدد من المعارضين البارزين ، منهم رامي لكح وأيمن نور .

كما تجمع عدة مئات في شارع جامعة الدول العربية، وكسر المتظاهرون الحاجز الأمني متجهين إلى وسط القاهرة وتجمع مئات آخرون في شارع القصر العيني أمام دار الحكمة متجهين إلى ميدان التحرير .

وكان المهندس ممدوح حمزة، وعدد من المتظاهرين افتتحوا »يوم الغضب« في القاهرة، بوقفة احتجاجية في منطقة روكسي بمصر الجديدة، القريبة من مقر رئاسة الجمهورية، بدأت في الساعة الحادية عشرة ولمدة ساعة ونصف الساعة.

وأمام دار القضاء العالي بوسط العاصمة، حاصر الأمن مئات المتظاهرين بدأوا التجمع حول الأكاديمي البارز د. محمد أبو الغار والنائبين السابقين علاء عبد المنعم وجمال زهران، ثم انضم لهم عشرات النشطاء من الإخوان المسلمين على رأسهم النائب السابق محمد البلتاجي والقيادي اليساري أبو العز الحريري والنائب الوفدي السابق محمد مصطفى شردي.

وقال د. محمد أبو الغار لـ CNN بالعربية، إن ما حدث يوم الثلاثاء، هو رسالة للنظام المصري من أجل »مزيد من الحريات السياسية، وحل البرلمان المزور، والسيطرة على أسعار السلع الغذائية، ولابد وأن يستجيب النظام في مصر، خاصة وأن استمرار الأوضاع على ما هي عليه سيكون كارثة على البلد.« وأضاف أبوالغار » أرجو أن تصل الرسالة واضحة للرئيس مبارك لحماية مصر من مزيد من الغضب الذي سيجتاح أمامه كل شيء«.

من جهته، قال جورج إسحاق عضو الجمعية الوطنية للتغيير، إن» مظاهرة الغضب اليوم هدفها توجيه رسالة قوية إلى النظام والمسئولين المصريين وهي)ارحلوا(، مشيرا إلى انه بحق يوم غضب بمعنى الغضب«.

وأوضح إسحاق في تصريحات لـ CNN بالعربية،» انه يوم فارق في تاريخ مصر، لاسيما وان من دعوا وشاركوا في هذه المظاهرة لأول مرة مجموعة من الشباب والمواطنين البسطاء وليس قوى المعارضة«.

أما الدكتور عصام العريان القيادي في جماعة الأخوان المسلمين المحظورة في مصر، فقال» إنها مظاهرة شعبية اندلعت بناء على رغبة المصريين ولا توجد لها قيادة واضحة، حيث لم تشارك الجماعة باسمها ولكن من خلال الجمعية الوطنية للتغيير«.

وأشار العريان إلى أن »قوة المظاهرة تكمن في أنها جاءت بعد تزوير الانتخابات البرلمانية والثورة التونسية ، والتي أكد فيها قيادات النظام بأن مصر ليست تونس وكأنهم ليسوا في البلد . «

وترددت أنباء عن إغلاق موقع تويتر الاجتماعي الشهير، الذي كان أول المواقع التي دعت إلى يوم الغضب ، كما بدا نشطاء الانترنت في التحايل للدخول على الموقع الشهير من خلال برامج مختلفة.

ورفض مسؤولو الجهاز القومي لتنظيم الاتصالات المصري التعليق على تقارير إغلاق بعض المواقع، وسوء خدمات المحمول في منطقة وسط البلد.

- **الجمعة 28 يناير : 2011(جمعة الغضب)**
- **الأربعاء 2 فبراير : 2011(موقعة الجمل)**

- **الجمعة 11 فبراير : 2011(يوم التنحي) وتسليم السلطة للمجلس العسكري.**

الشعب أراد وأسقط النظام

المصرى اليوم 12 فبراير 2011

الفارق كبير بين ثورات الشعوب وثورات الجيوش، فالثانية حتى لو احتضنها الشعب يمكن أن يقال عليها انقلاب عسكرى، أو حركة ضباط، وما بين الحديث

عن الانقلابات السوداء والبيضاء، تبقى الثورات الشعبية خارج إطار التصنيف، تستمد شرعيتها من الشعب، وليس من أحد غيره.
وهناك ثورات تنقل أوطانها إلى الأمام، وثورات تعود ببلادها إلى الخلف، وثورات تقف لتراوح مكانها، فلا هى تقدمت خطوة، ولا هى حافظت على مواقعها القديمة، والثورات الشعبية فى أوروبا الشرقية نقلت شعوبها إلى المعسكر الديمقراطى من العالم، وتنعمت بمزايا الاستقرار الحقيقى القائم على إرادة شعب يشارك فى قراره عبر دولة ديمقراطية مدنية حديثة.
ومصر التى بنت تاريخها الحديث خلال الـ 60عاماً الأخيرة عبر ثورتين،
الأولى فى عام 1952عندما تحرك الأحرار من ضباط الجيش والتف حولهم الشعب حين أسقطوا النظام الملكى، ومنح حركتهم المباركة شرعيته، فتحولت إلى ثورة حقيقية أثرت فى العالم العربى كله،
والثانية التى بدأت فى 25 يناير ونجحت فى تحقيق أهدافها بتحرك شعبى جامح يمتلك إيماناً بحقوقه وإصراراً على بلوغها، واقترب جيش الشعب من مطالب الثوار، وانتهى الأمر إلى أن صارت البلاد وديعة فى يد جيش الشعب الباسل كما هى دائماً.
لم تنته ثورة 25 يناير بتنحى الرئيس مبارك، لكنها بدأت الآن فقط، والحفاظ على مكاسب هذه الثورة صار مسؤولية مشتركة بين الجيش الوطنى الباسل وجماهير الشعب، والمرحلة المقبلة تتطلب إلى جانب استعادة الهدوء، واستعادة الدولة، الاستمرار فى بناء النموذج الديمقراطى المدنى الذى ناضلت من أجله الجماهير وسقط فى سبيله شهداء أبرار، روت دماؤهم شجرة الحرية. إن «المصرى اليوم» فى هذا الظرف التاريخى ، تحيى موقف المؤسسة العسكرية التى تثبت كل يوم أنها خير من يؤتن على أحلام الشعب، وتحيى إعلانها الحاسم والقاطع أنها «ليست بديلاً عن الشرعية التى ارتضاها الشعب»، وأداءها التحية العسكرية احتراماً وعرفاناً بشهداء مصر، وتدعو الجميع إلى تقديم جميع أشكال الدعم والعون للقوات المسلحة، لإنجاز مهمة المرحلة الانتقالية فى إطار جدول زمنى محدد، حتى تعود الأمانة إلى أصحابها متضمنة دستوراً حديثاً يليق بمصر الجديدة وشعبها العظيم. عاش جيشنا.. وعاش كفاح شعبنا.. وبقيت ثورتنا الشعبية الطاهرة جسراً ينقلنا إلى الغد بأمان وحرية، وسرعة تلحق بالعالم الديمقراطى المدنى المتحضر .

13 فبراير 2011: أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة الإعلان الدستوري والذي اقتضى على 9 مواد منها إدارة شئون البلاد بصفة مؤقتة لمدة ستة أشهر وتعطيل أحكام الدستور وحل مجلسي الشعب والشورى و في 19مارس يتم الاستفتاء على التعديلات الدستورية.

15

5 مارس 2011: اقتحام مقار أمن الدولة في عدة محافظات.

سقوط أمبراطورية ››أمن الدولة «.. ومصراوي ينفرد بالوثائق

موقع مصراوى 5 مارس 2011

كلمات كانت إلى وقت قريب كفيلة بأن تبث الرعب في النفوس.. تتسارع مع وصولها إلى أذنيك دقات قلبك .. تدور بذهنك الف الف سؤال عندما ياتي لك داع بأنهم يريدوك في زيارة.. كما لو كنت تتمنى أن تبتلعك الأرض.. قبل ذهابك .. فمصيرك قد يكون مثلما تمنيت .. ولكن ليس بيديك بل بيديهم.. »مباحث أمن الدولة. «

أسرار تُعرض للمرة الأولى، نجح المتظاهرون في كشفها، خزائن من الملفات والأوراق التي تتعلق بكل شيء في حياة المصريين، مأكل، مشرب، ملبس، مسكن، عمل، سفر، مسجد، جامعة، حتى اكثر الأشياء خصوصية، كان لهم أنف فيها..

فمع اندلاع الثورة ونجاحها كل يوم في تحقيق مطالبها، لم يكن يتصور جهاز أمني بمثل هذه القوة التي كان عليها، أن يأتي الدور عليه ، لكشف فساده وفضائحه التي قهرت المصريين لعشرات السنين.. أن يأتي عليهم وقت يذوقوا فيه بعض مما أذاقوه للجميع .. سياسيون، مفكرون، مثقفون، من جميع الاتجاهات : إسلامي وليبرالي وشيوعي وغيرهم..

وكانت الشرارة الاولى التي انطلقت من الاسكندرية، فمع سقوط مقر مباحث أمن الدولة بها، انفرط العقد، وجاء بعد مقار أمن الدولة بأكتوبر، ومدينة نصر بالقاهرة، والفيوم، وبورسعيد، والشرقية، إلى مرسى مطروح.

مشاهد يندى لها الجبين، معتقلون منذ سنوات تحت الأرض في سجون سرية، أوراق وأسرار تظهر للنور للمرة الأولى.. وما حصلنا عليه في مصراوي أوراق تثبت تدخل أمن الدولة في محافظة اكتوبر في كل شيء ومنها عمل المحليات .. فالوثائق تقول إن كل مخالفة بناء هي من الاساس عمل المحليات يعلم بها مساعد أول وزير الداخلية لمباحث أمن الدولة.

فيديوهات تظهر كمية الأوراق والملفات التي تم فرمها، بخلاف حرقها في العديد من مقار أمن الدولة.

بعد الثورة.. شدد المتظاهرون على حل جهاز أمن الدولة، ويبدو أنهم لن يتراجعوا في قرارهم، في المقابل وزارة الداخلية لا تزال متمسكة بجهاز سيء السمعة مثل جهاز أمن الدولة، وتؤكد أنه سيتم إعادة هيكلته من جديد!!!

الجمعة 27 مايو 2011: جمعة الغضب الثانية. طالب المتظاهرون بمحاكمة قتلة الشهداء، ولصوص المال العام، ومفسدي الحياة السياسية، ومثيري الفتنة، وإيقاف المحاكمات العسكرية.

16

الأربعاء 3 أغسطس 2011 : بدء محاكمة المخلوع محمد حسني مبارك علنياً.

مبارك يصل إلى قفص الاتهام على سرير نقال فى كامل وعيه.. وعلاء يحمل مصحفا..

وحالة من الفرح بين ثوار التحرير.. وإغماءات بين مؤيدى مبارك..

ورئيس المحكمة: سنقوم برسالتنا على أكمل وجه

موقع اليوم السابع – 3أغسطس 2011

فى تمام الرابعة فجراً وصل ابنا الرئيس المخلوع محمد حسنى مبارك علاء وجمال إلى مقر أكاديمية الشرطة بالتجمع الخامس، للمثول مع والدهما وقيادات الداخلية أمام الدائرة الخامسة بمحكمة جنايات شمال القاهرة برئاسة المستشار أحمد رفعت، لبدء أولى جلسات محاكمتهما بتهمة الاشتراك فى قتل الثوار والتربح واستغلال نفوذ والدهما فى تربيح الغير، مع حبيب العادلى وزير الداخلية الأسبق، و 6من كبار معاونيه، ورجل الأعمال الهارب حسين سالم.

انتقل المتهمان من داخل سجن مزرعة طره داخل سيارة ترحيلات مصفحة وسط موكب أمنى شديد الحراسة لتأمين عملية انتقالهم لمقر محاكمتهم داخل قاعة المحاضرات بأكاديمية الشرطة التى يتولى الجيش بالاشتراك مع رجال الداخلية تأمينها.
وانتقل أنصار مبارك من ميدان مصطفى محمود فى أتوبيسات خاصة لحضور جلسة محاكمة مبارك من أمام الأكاديمية، وعلى الجانب الآخر تواجد العشرات من متظاهرى ميدان التحرير والثوار، لمشاهدة جلسة المحاكمة من شاشات العرض المتواجدة أمام الأكاديمية.
ونشبت بين الجانبين مشادات كلامية بين كل من مؤيدى الرئيس السابق محمد حسنى مبارك ومعارضيه، وردد المؤيدون لمحاكمة مبارك » الشعب يريد محاكمة السفاح « وينادون على مؤيدى مبارك » واخدين كام «ورفعوا لهم الأحذية، ومن جانبهم رد مؤيدى مبارك عليهم» يا تحرير جاى ليه الكنتاكى خلص ولا إيه«، »أهم أهم أهم .. البلطجية أهم« ، وتطورت المشادات إلى اشتباكات بالأيدى وسباب متبادل بينهما، وتطورت حتى وصلت إلى حد التراشق بالحجارة، سقط على إثرها العديد من المصابين من الجانبين، وتمكنت قوات الأمن المركزى من فض الاشتباكات نهائياً.
وفى تمام الثامنة والنصف صباحاً وصلت منذ قليل الطائرة التى تقل الرئيس السابق محمد حسنى مبارك من مطار شرم الشيخ الدولى إلى مطار »ألماظة « العسكرى، استعداداً لنقله إلى أكاديمية الشرطة فى طائرة هيلكوبتر، وفى تمام التاسعة وصلت الطائرة إلى أكاديمية الشرطة، لينقل مبارك فى سيارة إسعاف إلى قاعة الاستراحة، ليدخل إلى قاعة المحكمة.
ولدى ظهور مبارك على شاشات التليفزيون سادت حالة من الفرحة والسعادة بين الثوار الحاضرين، وعلى الجانب الآخر سادت حالة من البكاء الشديد والفزع والهلع والإغماءات بين مؤيدى مبارك.
ودخل قفص الاتهام بالترتيب حبيب العادلى، وأحمد محمد رمزى، وعدلى فايد، وحسن محمد عبد الرحمن، وإسماعيل الشاعر، وأسامة المراسى، وعمر الفرماوى، وعلاء مبارك ويحمل فى يدية مصحف، وجمال مبارك، ومن بعدهم

جميعا دخل مبارك على سرير نقال مجهز، وظهر فى كامل وعيه، ولا يظهر عليه آثار المرض الشديد.

17

ومع بدء الجلسة، أكد أحمد رفعت رئيس محكمة الاستئناف على أن نظام الجلسة منوط برئيسها وعلى حق رئيس الجلسة أن يخرج من القاعة كل من يتجاوز آداب الجلسة. مطالباً الحاضرين بالتزام الهدوء والاستماع والتيقن حتى تؤدى الهيئة رسالتها على أكمل وجه بما يرضى الله وضمائرهم، وقال: »سنلقى الله بقلوب سليمة وهذا ما نتمناه. «

ليطالب رئيس الهيئة المحامين أعضاء هيئة الدفاع بأن يقدموا طلباتهم مكتوبة، حتى تعتبر جزءا لا يتجزأ من محضر الجلسة حتى يتسنى للهيئة فحصها وإبداء رأيها فى تحقيق الحق وحسن سير العدالة.

وطالب فريد الديب محامى حبيب العادلى بإعادة الدعوى إلى المحكمة التى أمرت بضمها إلى القضية المنظور أمام المحكمة لأن قرار الضم صدر من محكمة قضاتها مردودون وهو ما يمنع حقهم فى اتخاذ أية قرار إجرائى فى القضية، خاصة وأنه لم يحكم فى طلب الرد بعد.

كما طالب محامى حبيب العادلى وزير الداخلية الأسبق ضمن طلباته المقدمة لهيئة المحكمة والانتقال لمعاينة مقر المتحف المصرى والجامعة الأمريكية ووزارة الداخلية ومبنى مصلحة الأدلة الجنائية وسنترال باب اللوق وفندق رمسيس هيلتون وذلك لإثبات استحالة حدوث الواقعة كما رواها شهود الإثبات.

كما طالب بالانتقال للمعاينة إلى مبنى مدرسة الفرير وشارع محمد محمود وشارع منصور والفلكى والشيخ ريحان وكذلك مطعم كنارى ومتجر سمعان للدهانات وكشك منصور ومأمورية ضرائب عابدين وذلك لإثبات نفى حدوث الفعل المكون للجريمة واستحالة حدوث الواقعة كما رواها شهود الإثبات، كما طالب سماع شهادة كل من يخصه الأمر فى جهاز أمن الدولة» اللواء طارق محمد إبراهيم واللواء شريف جلال الدين فؤاد واللواء عاطف أحمد أبو شادى واللواء احمد سالم النائى والعميد محمد عبد الباسط عبد الله والمدعو خالد محمد عبد الله سالم المصدر السرى لجهاز أمن الدولة السابق. «

وفيما يخص النجدة استدعاء كل من» اللواء ماهر حافظ محمد واللواء مصطفى أحمد توفيق والعميد رضا بشاى عبد المسيح، وفيما يخص مديرية أمن القاهرة وأمن الوزارة استدعاء كل من اللواء حسن محمود عزت حسن واللواء فؤاد محمد توفيق واللواء يحيى زكريا العراقى واللواء عبد العزيز فهمى حسن سالم والعميد نبيل رفعت رضوان وفيما يخص أقسام القاهرة والجيزة العميد هانى جرجس والعميد محمد محمد محمد على والمقدم أحمد عطا الله عبد الرازق والعقيد أيمن أحمد الصعيدى والمقدم خالد شاذلى منصور شاذلى والعميد نبيل جميل عبادة على والعميد زكريا محمد فؤاد عبده حجازى والعميد مجدى محمد عبد الله يوسف والعقيد عارف محمد محمد يوسف. »

وقد قاطع رئيس المحكمة محامى العادلى وطالب منه تقديم مذكرة بالأسماء اختصارا للوقت واعتبار المذكرة جزا من محضر الجلسة.

الجمعة 9سبتمبر 2011: مظاهرات حول السفارة الاسرائيلية ومحاولة اقتحامها

18

الأحد 9 أكتوبر 2011: أحداث ماسبيرو – 25قتيل 327 مصاب

وزارة الصحة: 25 قتيل و 194مصابا في أحداث ماسبيرو

جريدة الشروق – 10أكتوبر 2011

أعلنت وزارة الصحة ، في بيان رسمي لها ، أن عدد القتلى بلغ 25 شخص، وارتفاع عدد الإصابات إلى 194 مصاب، موزعين على مستشفيات القبطي وبولاق العام ومعهد ناصر والهلال وكوبري القبة والقصر العيني.

وتروواحت الإصابات بين كسور في العظام وطلقات خرطوش، فيما لم يتسنى لوزارة الصحة التأكد من هوية المصابين أو القتلى سواء كانوا مدنيين أو شرطيين.

السبت 19 نوفمبر 2011 حتي الجمعة التالية 25 نوفمبر 2011: الموجة الثانية من الثورة المصرية وأحداث محمد محمود.

الاثنين 28 نوفمبر 2011: بداية الانتخابات البرلمانية.

الجمعة 2011/ 12/ 16 حتى الأربعاء 2011/12/21: مظاهرات حول مجلس الوزراء وسقوط عدد من الشهداء

السبت 14 يناير 2012: انسحاب الدكتور محمد البرادعي الناشط السياسي والمدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية من الترشح لانتخابات الرئاسة.

19

الأربعاء 1 فبراير 2012: مجزرة استاد بورسعيد.

مجزرة في استاد بورسعيد

جريدة الأهرام

مصرع 74 وإصابة المئات بعد اجتياح الجماهير مباراة المصري والأهلي.. طائرتان عسكريتان لنقل الضحايا واللاعبين..واتحاد الكرة يقرر تعليق الدوري .

عاشت مصر يوما أسود في تاريخها الرياضي أمس عقب مباراة المصري والأهلي في بورسعيد ضمن مباريات الأسبوع الـ 17للدوري الممتاز بعدما لقي 74 مشجعا نحبهم وإصيب المئات ـ حسب بيان الدكتور محمد سلطان رئيس هيئة إسعاف مصر ـ إثر اجتياح الجماهير لاستاد بورسعيد بعد نهاية المباراة, وقال الدكتور أشرف أبو الحسن مدير مستشفي بورسعيد العام: إن الأمر لا يطاق, واصفا ماحدث بأنه أمر يفوق الوصف وان القتلي أعمارهم تتراوح بين 15و 20و 30سنة سقطوا نتيجة التدافع تحت الاقدام ومحاولات الهروب من الزحام الشديد.. ومن ناحية أخري قامت طائرتان عسكريتان بناء علي قرار المشير حسين طنطاوي بنقل الضحايا ولاعبي الأهلي إلي القاهرة, وقام الجيش الثالث الميداني بدفع وحدات لتأمين عودة جماهير الأهلي. وقرراتحاد الكرة تعليق مسابقة الدوري لأجل غير مسمي تمهيدا لإلغائها, كما قرر حكم مباراة الزمالك والإسماعيلي انهاء المباراة بعد نهاية الشوط الأول بناء علي طلب اتحاد الكرة عقب تداعيات أحداث بورسعيد.

وفي الوقت نفسه دعا الدكتور سعد الكتاتني رئيس مجلس الشعب لعقد جلسة عاجلة اليوم, كما يعقد الدكتور كمال الجنزوري رئيس الوزراء إجتماعا طارئا اليوم ايضا للمجموعة الأمنية.

وقد أمر المستشار عبد المجيد محمود النائب العام ببدء التحقيق في الأحداث, ويقوم بمتابعتها بنفسه. وكانت الجماهير قد اندفعت الي أرض الملعب بصورة

هيستيرية غير متوقعة بعد نهاية المباراة احتفالا بفوز المصري بثلاثة أهداف مقابل هدف وسط صمت الامن الذي وقف عاجزا حيال الموقف, وهرع لاعبو الاهلي وجهازهم الفني الي غرف الملابس للافلات من الجماهير المتحفزة والمشحونة بدون سبب برغم فوز فريقها .

20

21

مطالب

- إنهاء حالة الطوارئ فورًا ّ
- حل َ مجلسي الشعب والشورى
- تسليم السلطة لمجلس رئاسي مدني
- تشكيل حكومة انتقالية يختارها الثوار.
- منح المصريين في الخارج حق الانتخاب.
- إجراء انتخابات برلمانية نزيهة.
- تطهير القضاء.
- سرعة محاكمة جميع رموز النظام السابق ، بمن فيهم الفارُّين إلى دول أخرى.
- استرجاع أموال مصر المنهوبة.

- تطهير جميع مؤسسات الدولة من الفساد المالي والإداري ومن رموز النظام السابق ، والاستغناء عن جميع القيادات التنفيذية التي ارتبطت به في كل الوزارات مع بقائهم تحت طائلة المساءلة.
- إعادة هيكلة وزارة الداخلية، وحل الأمن المركزي، وتشكيل لجان مستقلَّة للتحقيق مع قيادات الداخلية في الجرائم التي ارتكبوها.
- إدماج جميع الأجهزة التخابرية (الأمن الوطني/ القومي/ أمن الدولة/ المخابرات) في جهاز واحد يوضع تحت إشراف لجنة حقوقية.
- تجميد جميع وسائل الإعلام الحكومية وحل اتحاد الإذاعة والتلفزيون والمجلس الأعلى للصحافة .
- حل المجالس المحلية.
- كتابة دستور جديد.

22

- أن يضمن الدستور الحريات العامة والخاصة ويرسخ لقيم العدالة الاجتماعية
- محاكمة كل المتورطين بشكل مباشر أو غير مباشر في قتل الثُّوار.
- تشكيل لجان تحقيق مستقلة من قضاة وحقوقيين لا علاقة لهم بالنظام للتحقيق في جميع الجرائم التي ارتُكبت ضدَّ الثُّوار منذ 25 يناير.
- اعتبار كل من قُتل على يد قوات الأمن أو الجيش شهيدا.
- تعويض أسر الشهداء والمصابين بشكل لائق وتخليد ذكرى الشهداء.
- تحديد حدّ أدنى وحد أقصى للأجور.
- تعيين المحافظين وقيادات الأجهزة المحلية بالانتخاب.
- إلغاء جميع الأحكام العسكرية التي صدرت منذ تولي المجلس العسكري الحكم والإفراج عن المحكومين إلى حين إعادة محاكمتهم في المحاكم المدنية.
- الإفراج عن جميع المعتقلين دون محاكمة في السجون العسكرية وسجون الداخلية.
- إجراء انتخابات رئاسية نزيهة.

23

25 - 24

شخصيات



خالد سعيد

(27 يناير1982- 6 يونيو 2010)

26

خالد محمد سعيد صبحي قاسم، هو شاب مصري في الثامنة والعشرين من العمر، من مدينة الإسكندرية. اشتهر بـ » شهيد قانون الطوارئ« . يوم 6 يونيو 2010 تم تعذيبه حتى الموت على أيدي اثنين من مخبري الشرطة أرادا تفتيشه بموجب قانون الطوارئ. سألهما خالد عن سبب تفتيشه أو إذن نيابة فلم يجيباه ، وقاما بضربه حتى الموت أمام عديد من شهود العيان في منطقة سيدي جابر. وقد أثار موته إدانة عالمية ومحلية، كما أثار احتجاجات علنية في الإسكندرية والقاهرة قام بها نشطاء حقوق الإنسان في مصر وآلاف من الشباب والشابات الذين لا ينتمون

إلى أي تيار سياسي أو حقوقي، متهمين الشرطة المصرية باستمرار ممارستها التعذيب في ظل حالة الطوارئ. وكانت صور خالد سعيد التي انتشرت على مواقع الإنترنت، موضحة أثار التعذيب البشع الذي تَعرَّ ض له، قد زادت من سخط واستياء الرأي العام بشكل كبير.
شهدت القضية مراحل متعددة، ففي 10 يونيو ،2010 صدر بيان وزارة الداخلية بناء على تحقيق النيابة الأول وتقرير الطب الشرعي الأول، وتم إخلاء سبيل المتهمين. وأكد البيان عدم مسؤولية وزارة الداخلية عن وفاة المواطن خالد سعيد صبحى بالإسكندرية، واتهم النشطاء الحقوقيين والمعارضة بالترويج من خلال وسائل إعلامية والادِّعاء بأن رجال شرطة سرِّيِّين قد اعتدوا على المواطنً خالد محمد سعيد صبحي قاسم وتسببوا في وفاته على نحو مخالف للحقائق، وأن وفاته جاءت عن طريق ابتلاعه لفافة تحتوي على موادَّ مخدِّرة.
وعلى أثر هذا البيان، بالإضافة إلى أداء الإعلام الحكومي الذي صوَّر خالد سعيد مجرما يستحقُّ القتل، خرج عدة آلاف من المصريين في مظاهرة احتجاج في مدينة الإسكندرية المصرية من بينهم الدكتور محمد البرادعي والمستشار محمود الخضيري وجورج إسحاق وأيمن نور وحمدين صباحي، تنديدا بما وصفوه بـ»عمليات تعذيب منظمة « للمعتقلين في أقسام الشرطة. وشارك بالمظاهرات عدد من قيادات جماعة الإخوان المسلمين وحركة » 6أبريل« وحزب الغد والجمعية الوطنية للتغيير، بجانب عدد من المتظاهرين يمثلون اتجاهات وتيارات متنوعة، رافعين لافتات عليها شعارات مثل »تسقط الدولة البوليسية «، و» يسقط قانون الطوارئ «، و» كلنا خالد سعيد. « وتلا ذلك عديد من الوقفات الصامتة على روح خالد سعيد، نظمها الشباب في المحافظات المختلفة.
وفي 20 يونيو ،ّ 2010 تم حبس المخبرين محمود صلاح، وعوض إسماعيل، المتهمين بالتسبب في قتل خالد سعيد في الإسكندريةَ على ذمة التحقيقات، بعد أن وجهت إليهم النيابة تهمتي القبض على مواطن دون وجه حقّ، واستعمال القسوة.
قضت محكمة جنايات الأسكندرية يوم 26 أكتوبر 2011 بالسجن لمدة سبع سنوات على محمود صلاح وعوض إسماعيل من قوة مباحث قسم شرطة سيدى جابر، لإدانتهما بقتل خالد سعيد. يوم 26 ديسمبر ،2011 تم قبول مذكرة الطعن

الذى تقدمت به أسرة خالد سعيد على الحكم الصادر ضد المتهمين، بالإضافة إلى الطعن الذى تقدمت به نيابة استئناف الأسكندرية، واستندت مذكرة الطعن على الفساد فى الاستدلال والخطأ فى تطبيق القانون.

ينظر المصريون إلى خالد سعيد ضحية التعذيب باعتباره » بوعزيزي الثورة المصرية« والشرارة الحقيقية لها.

وينظرون كذلك إلى التعذيب بوصفه الجريمة التي أسقطت مبارك ونظامه الفاسد.

27





أحمد حرارة

أحمد حرارة، ربما هو أشهر مصابي الثورة. أحمد طبيب أسنان في الثلاثين من عمره، فقد عينه اليمنى يوم جمعة الغضب في 28 يناير 2011 بميدان التحرير، ثم عاد إلى الميدان مرة أخرى ليفقد اليسرى في أحداث 19 نوفمبر . 2011 ما بين عشرة الأشهر بين الإصابتين ، لم يقدَّم في أثنائها قنّاص أو قاتل واحد إلى المحاكمة لقتل أو تعمد إيذاء المصابين، أحمد حرارة، المتظاهر السلمي، رمزٌ للمقاتل الذي لا ييأس، والنضال والكفاح الذي لا ينتهي ، ورمز لشباب الثورة المؤمنين بها.



أحمد ماهر

أحمد ماهر، مهندس مدني, من مواليد الإسكندرية ،1980 هو المنسق العام والمؤسس لحركة شباب 6 أبريل ، وهي أولى الحركات السياسية التي دعت إلى

مظاهرة 25يناير . تَعرّض أحمد لعمليات اعتداء وخطف لنشاطه السياسي الكبير في عهد مبارك)مايو (2008 كما تم القبض عليه بعد ذلك (يوليو 2008) بالإسكندرية. أصيب أحمد ماهر يوم 5 فبراير ، 2012بشرخ فى الجمجمة وارتجاج فى المخ إثر هجوم قوات الأمن على المتظاهرين فى شارع محمد محمود. كان أحمد ماهر ومجموعة من شباب الثورة فى طريقهم لعقد هدنة وطرح مبادرة لوقف الإشتباكات بين قوات الأمن والمتظاهرين فى شارع محمد محمود إثر الاشتباكات التى اندلعت فى أعقاب مذبحة استاد بور سعيد، إلا أن قوات الأمن بادرتهم بإطلاق كثيف لقنابل الغاز المدمعة وطلقات الخرطوش.



إسلام لطفي

إسلام لطفي، ناشط سياسي وأحد مؤسسي حزب التيار المصري، واحد ممن يطلق عليهم» شباب الإخوان«. كان إسلام هو ممثل لجماعة الإخوان المسلمين في المكتب التنفيذي لائتلاف شباب الثورة قبل فصله من الجماعة. أثار إسلام الجدل بتصريح له ً عن إصدار تعليمات من مكتب الإخوان لشباب الإخوان بالانسحاب يوم معركة الجمل حرصا على سلامة الشباب، ولكنه رفضّ الانسحاب، وفضل الموت على ترك الميدان. إسلام تم فصله من الجماعة بعد ً 16عاما من العمل داخلها، بسبب مخالفة قرار اتخذه الإخوان بعدم النزول في أحد أيام الجمعة. وقد ترشح للانتخابات البرلمانية عام 2011 على قائمة الثورة مستمرة، لكنه لم ينجح.



أسماء محفوظ

أسماء محفوظ، عضو مؤسس في حركة 6 أبريل وإحدى أنشط الداعيات لمظاهرات 25 يناير ،2011 حيث دعت في فيديو شهير لها جموع الشعب للاستجابة لنداءات النزول إلى الشارع يوم 25 يناير للتنديد بالنظام البوليسي القمعي والثورة على الفساد. أسماء كذلك أحد أعضاء حزب التيار المصري. أسماء من مواليد 1985 وحاصلة على بكالوريوس إدارة الأعمال من جامعة القاهرة. وقد تعرضت لحملة تشويه كبيرة ومنظمة منذ بداية الثورة، منها اتهامات بالعمالة والخيانة والعمل لتنفيذ أجندات خارجية، مثلها مثل عديد من أعضاء الحركات الثورية وشباب الثورة. وحققت النيابة العسكرية معها في أغسطس 2011 بتهمة »الإساءة إلى المجلس العسكري « عبر ما تكتبه على صفحتها على موقع »تويتر« . ثم أخلت النيابة سبيلها بكفالة 20 ألف جنيه مصري. بعدها سقطت القضية وتم التنازل عن البلاغ المقدم ضدها بسبب الضغط الشعبي ولكنها لم تسترد حتى الآن قيمة الكفالة التي دفعتها.

28



بثينة كامل

بثينة كامل، إعلامية وناشطة سياسية وكانت عضوا في حركة »كفاية« المعارضة ومن مؤسسي حركة »شايفينكم « المكافحة للفساد الحكومي. قدمت برنامجا باسم »اعترافات ليلية« في الإذاعة المصرية، استمر قرابة ست سنوات، وكان يناقش المشكلات الشخصية للبالغين. في 14مايوَ 2011مثُلت أمام النيابة العسكرية بعد اختتامها نشرة الأخبار المسائية بجملة » تحية للثورة والميدان«، واتُّهمت على أثرها بسب الجيش، ثم فوجئت بقرار منعها من الظهور في التلفزيون المصري نظرًا إلى موقفها المنحاز للثورة. أعلنت بثينة كامل نيتها للترشح لانتخابات الرئاسة المصرية .2012



حسام بهجت

حسام بهجت، الناشط الحقوقي، هو المدير التنفيذي ومؤسس المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، التي هي واحدة من أهم المنظمات الحقوقية في مصر قبل الثورة وبعدها، والتي تأسست عام 2002، وهو المدير المساعد لـ » الجمعية المصرية لمناهضة التعذيب« . يقدِّم حسام من خلال المبادرة إسهاما كبيرًا في العمل الحقوقي بمصر، وشارك في الثورة بصفة شخصية وكحقوقي من خلال توثيق الانتهاكات ضد الثوار وتقديم دراسات / حلول لمشكلات معقدة مثل إعادة هيكلة الداخلية، وتقارير لتقصي الحقائق في أحداث العنف، مثل مذبحة بورسعيد.



خالد عبد الحميد

خالد عبد الحميد، الناشط السياسي اليساري، شارك في جميع الأحداث الاحتجاجية، منذ حرب الخليج 91، مرورا بأحداث الحرم الإبراهيمي 94 والانتفاضة 2000 وغزو العراق 2003 وجميع مظاهرات »كفاية«، وحملة »كلنا خالد سعيد« وأحداث الثورة المصرية، و»محمد محمود « و»مجلس الوزراء «، وحتى حملة »عسكر كاذبون « التي يلعب فيها دورًا مهما. خالد عبد الحميد هو ممثل تيار التجديد الاشتراكي بائتلاف شباب الثورة، وعضو المكتب التنفيذي للائتلاف الذي كان له الدور الأساسي في الدعوة للتظاهر يوم 25 يناير مع مجموعة» كلنا خالد سعيد « وحركة 6 إبريل، وعضو مؤسس بحزب التحالف الشعبي الاشتراكي.



خالد علي

المحامي خالد على، هو رئيس المركز المصري للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، وهو أهم مركز حقوقي مصري يتولى قضايا العمال. الحكم بالحد الأدنى للأجور، 1200جنيه، الذي حكمت به المحكمة الإدارية، كان أحد منجزات المحامي خالد علي قبل الثورة. بعد الثورة اهتم المركز بتوثيق أسماء وعدد الضحايا. يباشر خالد أيضا قضايا هامة تتعلق بمرحلة ما بعد الثورة، مثل الطعن في دستورية المادة 48 من قانون القضاء العسكري التي تفتح الباب على مصراعيه لمحاكمة المدنيين أمام القضاء العسكري دون أي معايير أو ضوابط، وقضايا تعويضات مصابي الثورة والمطالبة بمعاشات استثنائية لهم. خالد يشارك أيضا في كل التظاهرات بصفة شخصية، وتدعو تيارات يسارية لترشيحة رئيساً للجمهورية.

29



زياد العليمي

النائب زياد العليمي، هو عضو المكتب التنفيذي لائتلاف شباب الثورة، كما كان متحدثًا رسميا باسم الائتلاف ، وهو أيضا من مؤسسي الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي. خاض زياد انتخابات برلمان 2011 ضمن قوائم الكتلة المصرية وحاز على المقعد في الجولة الأولى عن الدائرة الرابعة بالقاهرة. يعمل زياد بمهنة المحاماة. قبل إعلان نتيجة انتخابات البرلمان تَعرَّض زياد للضرب على يد قوات من الجيش أمام مجلس الوزراء، خلال فض الاعتصام هناك بالقوة، في أحداث مجلس الوزراء ديسمبر الماضي. زياد هو أوّل نائب برلماني بعد الثورة أعلن إضرابه عن الطعام واعتصامه بالمجلس لتجاهل رئيس المجلس طلبه

باستجواب رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ورئيس الوزراء، ووزير الداخلية، ووزير الدفاع، تمهيدا لسحب الثقة منهم، على خلفية مذبحة بورسعيد. أثار زياد العليمي ضجة كبيرة، في الفترة الأخيرة، بإدلائه بتصريحات اعتبرها المؤيدون للمجلس العسكري مسيئة للمشير طنطاوي.



شادي الغزالي حرب

شادي الغزالي حرب، الناشط السياسي، عضو بائتلاف شباب الثورة، وهو أيضا نائب رئيس حزب الوعي. شادي مدرس مساعد للجراحة العامة بكلية طب قصر العيني. تعرض للاعتداء والاختطاف قبل ثورةَ 25 يناير لمعارضته نظام مبارك، وكان من الداعين إلى مظاهرات 25يناير من خلال عضويته للمكتب التنفيذي لائتلاف شباب الثورة.



صفوت حجازي

الشيخ صفوت حجازي، يعمل بوظيفة أمين عام دار الأنصار للشؤون الإسلامية، وهو أيضا إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية . الشيخ صفوت أحد دعاة الفضائيات المصريين وينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين. وهو كذلك أحد أئمة صلاة الجمعة بميدان التحرير وأحد الوجوه المشاركة بقوة على مدار أيام الثورة سواء بالمشاركة في مظاهرات يناير التي انتهت برحيل مبارك، أو المظاهرات التي تلتها، ولكنه أثار كثيرًا من الجدل بتصريحاته، مثل أن جماهير الألتراس لم تشارك في ثورة 25 يناير، واعترافه في أحد اللقاءات المصورة بصفقة للإخوان مع الجيش بأن يسلمهم الحكم مقابل عدم فتح ملفات الفساد ومحاكمة الفاسدين.



عبد الرحمن منصور

عبد الرحمن منصور، 24 سنة، قبل أن يتخرّج، في كلية آداب إعلام جامعة المنصورة ،2010 كان يعمل مراسلا لعديد من المواقع، من بينها موقع »الجزيرة توك« و»عشرينات« . كان عبد الرحمن منصور هو »الآدمن« الثاني لصفحة »كلنا خالد سعيد « التي دعت إلى التظاهر يوم 25يناير. يمارس منصور العمل العام كناشط سياسي منذ عام 2004وهو من الذين وثّقوا لعمليات تزوير الانتخابات البرلمانية في .2005 بعد الدعوة إلى يوم الثورة في 25 يناير، استدعى الجيش عبد الرحمن منصور في 17يناير لتأديةً الخدمة العسكرية ، وهو ما جعله غائبا عن المشهد في مصر طوال هذه الفترة ، وهو ما دفع وائل غنيم وبقية المسؤولين عن الصفحة لإخفاء عبد الرحمن عن المشهد خشية تعرُّضه لأي أذى بحكم علاقته المؤقَّتة بالمؤسسة العسكرية في مصر.







علاء عبد الفتاح

علاء أحمد سيف الإسلام عبد الفتاح، المعروف باسم علاء عبد الفتاح والمولود في 18 نوفمبر .1981 وهو مدوِّن ومبرمج وناشط حقوقي مصري، ومؤسس مدوَّنة »منال وعلاء« بالاشتراك مع زوجته المدوِّنة منال حسن. وفي 30 أكتوبر 2011, قررت النيابة العسكرية في مدينة نصر حبس علاء على ذمة التحقيق لمدة ً 15 يوما، على خلفية اتهامه بالتحريض والاشتراك في التعدِّي على أفراد القوات المسلحة وإتلاف معدَّات تخصِّ القوات المسلحة والتظاهر والتجمهر وتكدير الأمن والسلم العام في »أحداث ماسبيرو«، التي أسفرت عن مقتلً 25قبطيا بعد الاشتباك مع قوات الجيش. رفض علاء الاعتراف بشرعية المحاكمة العسكرية له كمدني، ورفض الإجابة عن أسئلة النيابة العسكرية له. كانت هذه لحظة فاصلة في قضية إحالة المدنيين إلى المحاكم العسكرية. حيث تعددت الوقفات الاحتجاجية مساندة لموقفه وأضربت والدته عن الطعام. تم تحويله لاحقا إلى نيابة أمن الدولة العليا، التي رغم أنها محكمة استثنائية فإنها مدنية، وفي يوم الأحد 25 ديسمبر قرَّر قاضي التحقيقات الإفراج عنه على ذمة القضية واتهاماتها، التي يظنها حقوقيون لن تفضي إلى شيء.



ليلى مرزوق (أُم خالد سعيد)

ليلى مرزوق، هي والدة الشهيد خالد سعيد، » شهيد الطوارئ « بالإسكندرية، كما يُسمى. بعد وفاة ابنها صارت أم خالد أحد رموز ضحايا النظام السابق. دعت أم خالد كل مصري وكل مصرية للنزول إلى ميدان التحرير والتظاهر يوم الثلاثاء 25 يناير .2011 وقامت بزيارة ميدان التحرير أكثر من مرة، لتعلن أنها موجودة مع المعتصمين بميدان التحرير حتى تتحقق مطالب الثورة، وكانت بمجرد صعودها إلى المنصة الرئيسية تلهب حماس المتظاهرين ليهتفوا: »أم البطل أم البطل « و»

كلنا خالد سعيد. « قامت أيضا في بادرة رمزية بزيارة وتعزية أم الشهيد مينا دانيال .







ماجد بولس

ماجد بولس، نقيب بالقوات المسلحة، أطلق الثوار عليه لقب »أسد ميدان التحرير« نظرًا إلى ما أبلاه من بسالة يوم الأربعاء الدامي، يوم معركة الجمل . فقد قام بسدِّ مدخل شارع طلعت حرب المؤدِّي إلى ميدان التحرير بدبَّابته وجنوده، وكان المدخل الوحيد الذي لم يتمكن الثوار من إغلاقه بعد نفاد الأشياء التي كانوا يستعملونها كحواجز. النقيب الشجاع سد المدخل واستعمل سلاحه لصد هجوم بلطجية مبارك. قام بإطلاق الرصاص فوق رؤوس البلطجية مما دفعهم إلى التراجع، كما طارد ماجد القنَّاصة الذين كانوا يمطرون الثوار برصاصهم. ولحظة هجوم الخيول والجمال على المتظاهرين بالميدان، ووقوع عدد من القتلى

والمصابين، وقتها انتاب ماجد شعورٌ ً بالعجز عن حماية الشعب، خصوصا أنه كان هناك تشديد من المجلس الأعلى للقوات المسلحة بعدمٌّ إطلاق النار بزعم أن المتظاهرين العزل والبلطجية المسلحين من المدنيين ولا ينبغي للجيش التدخل، وعندها ثارت مشاعره وبكى بشدة ووضع سلاحه على رأسه ليفجره في نفسه، فاحتضنه الشباب ومنعوه من ذلك.







مالك مصطفى

مالك مصطفى ، ناشط سياسي ومدوِّن وأحد أبرز شباب ثورة . 25 فقد مالك عينه اليمني في أثناء إطلاق الشرطة الرصاص المطاطي والخرطوش على المتظاهرين يوم 19 نوفمبر في أثناء أحداث محمد محمود. مالك مصطفي (26سنة) هو صاحب مدوَّنة »مالكوم إكس«، ويعمل في مجال البرمجيات. اشتهر مالك بنشاطه السياسي القوي ومعارضته لنظام مبارك وشارك في تظاهرات

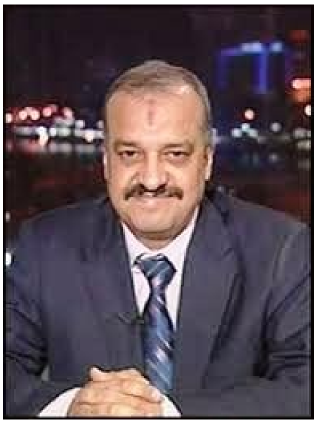
»كفاية « وجميع التظاهرات الأخرى قبل ثورة 25 يناير، كما كان مسئولاً عن تنظيم توزيع الطعام على الثوار والمعتصمين في التحرير

31



محمد البرادعي

محمد مصطفي البرادعي (مواليد 17يونيو 1942) دبلوماسي مصري ومرشح سابق للرئاسة في انتخابات الرئاسة المصرية .2011 حاصل على جائزة نوبل للسلام سنة 2005 في أثناء عمله في الوكالة الدولية للطاقة الذرية مديرًا لها. ورئيس الجمعية الوطنية للتغيير. في نوفمبر َ 2009وفي خضم جدل سياسي حول انتخابات رئاسة الجمهورية المستحقة في مصر سنة 2011 والعوائق الدستورية الموضوعة أمام المرشحين بموجب المادة 76 المعدَّلة في 2007 وتكهنات حول توريث جمال ابن الرئيس المخلوعٌّ محمد حسني مبارك، أعلن محمد البرادعي احتمال ترشحه لانتخابات الرئاسة في مصر، مشترطا لإعلان قراره بشكل قاطع وجود »ضمانات مكتوبة « حول نزاهة وحرية العملية الانتخابية، في رسالة محرجة إلى النظام من شخصية ذات ثقل دولي، مفادها أن عملية تداول السلطة في مصر تحتاج إلى إعادة نظر، في وقت افتقر فيه الجميع إلى شجاعة تسمح لهم بتصريحات مماثلة. وفي يوم 9 مارس 2011 وبعد ثورة 25 يناير أعلن البرادعي نيته الترشح في الانتخابات الرئاسية المقبلة، إلا أنه أعلن في 14 يناير 2012 انسحابه من الترشح للانتخابات الرئاسية المزمع إجراؤها في شهر يونيو ،2012 وذلك لما وصفه بـ» التخبط في الفترة الانتقالية وغياب أجواء الديمقراطية في مصر تحت قيادة المجلس الأعلى للقوات المسلحة. « حمل البرادعي للمصريين الأمل قبل الثورة، وفي أثنائها كمرشح للرئاسة، وحتى بعد انسحابه كمناضل يستمر في المعركة بغض النظر عن موقعه فيها.



محمد البلتاجي

الدكتور محمد البلتاجي، عضو مجلس الشعب عن دائرة قسم أول شبرا الخيمة ، 2011 هو قيادي بارز في حزب الحرية والعدالة الذي هو أحد مؤسسيه، وهو أستاذ بقسم الأنف والأذن بكلية الطب جامعة الأزهر. مثَّل البلتاجي الإخوان المسلمين في تأسيس الجمعية الوطنية للتغير (فبراير (2010 وكان له دور بارز في فاعليات الجمعية بمختلف محافظات مصر وهو أيضا كاتب نُشرت له مقالات عديدة في صحف عربية ومصرية. شارك د.البلتاجي في ثورة يناير وتمَّ اختياره بمجلس أمناء الثورة.





مصطفى النجار

مصطفى النجار ، الطبيب والناشط الحقوقي، أحد مؤسسي حزب العدل الذي تمَّ تأسيسه بعد الثورة، من مواليد مدينة الإسكندرية عام 1980، وتخرج في كلية طب الأسنان بجامعتها. فاز بالمقعد الفردي (فئات) بدائرة مدينة نصر والقاهرة الجديدة في انتخابات مجلس الشعب المصري .2011اعتقله النظام السابق أكثر من مرة نظرًا إلى نشاطه السياسي، من بينها في شهر يناير عام 2010 بنجع حمادي عقب زيارته مع وفد المدونين والنشطاء للعزاء في ضحايا مذبحة نجع حمادي من الأقباط، وكان آخرها مساء يوم 25 يناير 2011 بعد فض الاعتصام بميدان التحرير وإصابته. د.مصطفى من أوائل الأطباء المصريين الشباب الذين

سافروا إلى غزة في أثناء الحرب على غزة لعلاج الجرحى وتوثيق جرائم الحرب، وهو أحد مؤسسي الجمعية الوطنية للتغيير، وواحد من رموزها الشابة قبل الثورة، كما تولى منصب منسق» الحملة الشعبية لدعم البرادعي ومطالب التغيير« قبل الثورة.

32

مظهر شاهين

الشيخ مظهر شاهين ، هو إمام وخطيب مسجد عمر مكرم ، الذي يكتسب أهميته من وجوده في ميدان التحرير. يُلقب الشيخ مظهر بـ»خطيب الثورة« ، حيث يُلقي الخطب ويَؤُم المصلِّين في ميدان التحرير، خصوصا في ظل أهمية يوم الجمعة في الحشد ً للمظاهرات المليونية وأداء صلاة الجمعة دائما في الميدان في أيام التظاهر. تم استدعاء الشيخ مظهر شاهين من قبل النيابة للتحقيق بتهمة التحريض على أحداث العنف والشغب التي شهدها مجلس الوزراء، قبل استبعاد الاتهام ضده.



ممدوح حمزة

ممدوح حمزة، رجل الأعمال والناشط السياسي، هو مهندس استشاري أشرف على بناء مكتبة الإسكندرية، وأحد أبرز أعلام ميدان التحرير في أثناء ثورة 25 يناير، وهو أيضا الأمين العام للمجلس الوطني المصري. استدعاه قاضي التحقيقات في قضية أحداث مجلس الوزراء ووضع اسمه على قائمة الممنوعين

من السفر، قبل أن تُستبعد الاتهامات ضده ويُرفع اسمه من قوائم الممنوعين من السفر .






منى سيف

منى أحمد سيف الإسلام عبد الفتاح، مواليد 1986 ناشطة سياسية وحقوقية مصرية، وهي شقيقة الناشط علاء عبد الفتاح. منى من مؤسسي مجموعة »لا للمحاكمات العسكرية للمدنيين « التي تهدف إلى القيام بضغط شعبي وإعلامي من أجل الإفراج عن المدنيين الذين أُحيلوا إلى المحاكم العسكرية ومحاكمتهم أمام قاض مدني، والذين يُقدَّر عددهم بأكثر من 12 ألف مدني منذ قيام الثورة حتى نهاية أغسطس 2011، بالإضافة إلى التحقيق في حالات التعذيب التي تقوم بها الشرطة العسكرية على وجه الخصوص. اعتقلت قوات من الشرطة العسكرية، ظهر الجمعة 16 ديسمبر، منى سيف، وكذلك شقيقتها سناء، من أحد شوارع جاردن سيتي، وتعرضت للضرب والسحل، ثم تم الإفراج عنها في نفس اليوم.فاحتضنه الشباب ومنعوه من ذلك.



منى مينا

بالإضافة إلى أنها من أهم الناشطات السياسيات ، فالدكتورة منى مينا عضو ائتلاف »أطباء بلا حقوق « التي تزعمت الدفاع عن حقوق الأطباء ، وعضو بمجلس نقابة الأطباء. شاركت د .مني منذ اليوم الأول في تظاهرات ميدان التحرير ، وتطوعت مع مئات من رفاقها لإنشاء ما سمي بـ» المستشفى الميداني« لأوّل مرة مساء يوم الجمعة 28 يناير ، نظرًا لكثرة عدد الإصابات بدءا من هذا اليوم ، وكان لدى الجميع تخوف من إلقاء القبض عليهم إذا ذهبوا إلى المستشفيات العامة. قبل ثورة 25 يناير كانت من بين 200 شخصية عامة طالبت بإقالة وزير داخلية نظام مبارك حبيب العادلي ، واعتقلتها شرطة مبارك إبَّان مظاهرات العراق .2003



نوارة نجم

نوارة الانتصار أحمد فؤاد نجم (مواليد القاهرة،1973) مدوِّنة وناشطة سياسية وصحفية مصرية، تعمل محرِّرة أخبار ومترجمة بقناة »النيل للمعلومات« . مدوَّنة نوارة اسمها »جبهة التهييس الشعبية« . تثير نوارة الجدل دائما حولها بجرأتها وصراحتها اللا متناهية. وجه إليها قاضي التحقيق في أحداث مجلس الوزراء تهمة التحريض على إحراق المجمع العلمي والاشتباكات مع قوات الأمن، قبل أن تُستبعد من التحقيقات. تعرضت أيضا للاعتداء البدني من بعض مؤيدي المجلس العسكري أمام ماسبيرو في يناير .2012

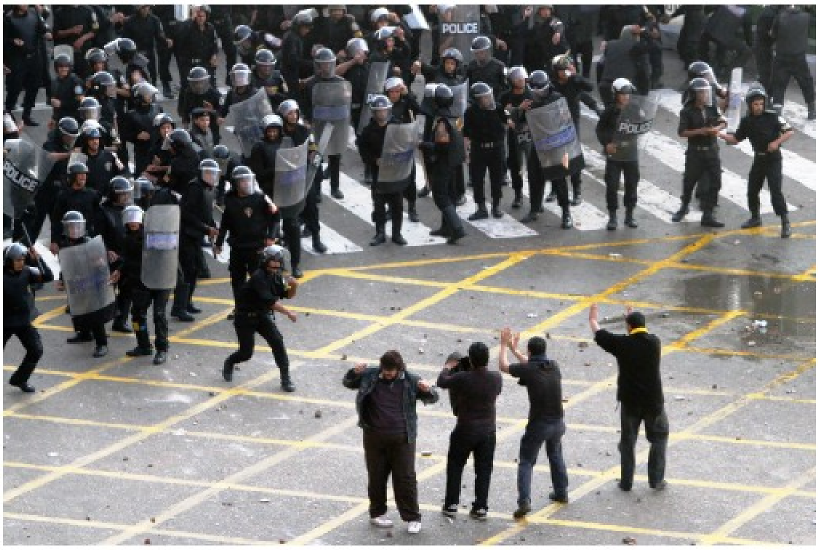


وائل غنيم

وائل سعيد عباس غنيم، مواليد 23 ديسمبر 1980، حاصل على البكالوريوس في هندسة الحاسبات من كلية الهندسة جامعة القاهرة عام 2004, وعلى شهادة الماجستير في إدارة الأعمال من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام 2007، ويشغل منصب مدير التسويق الإقليمي في شركة» جوجل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا« . وائل واحد من أبرز مفجري ثورة 25 يناير، من خلال دوره في مجموعة »كلنا خالد سعيد«، ففي عام 2010 قام وائل غنيم بتأسيس صفحة » كلنا خالد سعي د«، على موقع »فيسبوك« تضامنًا مع خالد سعيد الذي تَعرَّض للتعذيب حتى الموت على أيدي رجال الشرطة في الإسكندرية, ودعا من خلال الصفحة إلى مظاهرات الغضب يوم عيد الشرطة في الخامس والعشرين من يناير 2011 احتجاجا على الممارسات الأمنية الوحشية مع المواطنين. تَعمد وائل أن يخفي شخصيته تماما ونجح في هذا حتى قيام الثورة. تم اعتقال وائل غنيم مساء الخميس 27 يناير من ِقبل أشخاص يرتدون زيًّا مدنيا حيث تم اقتياده إلى مباحث أمن الدولة. وبدا أن النظام لم يقو على مقاومة الضغوط الشعبية َ الشبابية في هذا الشأن فخرج رئيس الوزراء الفريق أحمد شفيق ليعد بسرعة الإفراج عنه، وتم الإفراج عنه ظهر السابع من فبراير بعد أن قضى 12يوما وهو معصوب العينين لا يدري ما يجري من حوله.

صور

35



ايمان هلال 25/1/ 2011

36



فادي عزت 1/28/ 2011

37



محمد حسام الدين 1/28/ 2011

38



يحيي دوير 28/1/ 2011

39



فادي عزت 29/1/ 2011

40



روجيه أنيس 29/1/ 2011

41



روجيه أنيس 31/1/ 2011

42



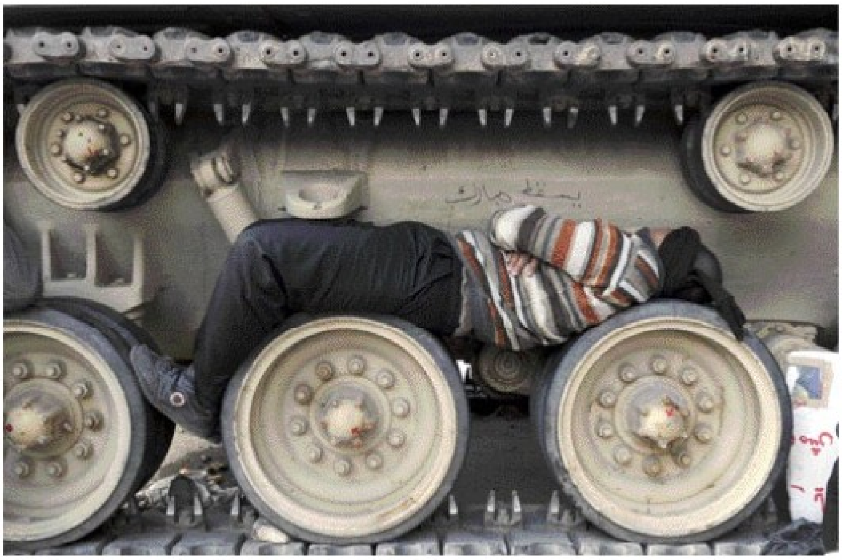
نادر أسامة 2/2/ 2011

43



محمود خالد 3/2/ 2011

44



محمد حسام الدين 2/6/ 2011

45



رندا شعث 2/6/ 2011

46



إيمان هلال 2/7/ 2011

47



أحمد هيمن 2/10/ 2011

48



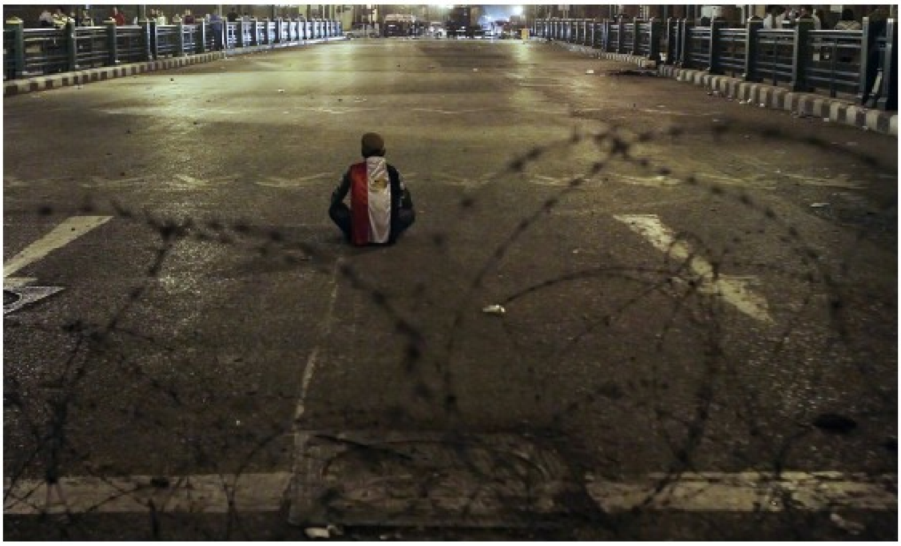
أحمد هيمن 2/11/ 2011

49



محمد عمر 2/11/ 2011

50



أحمد عبد اللطيف 4/9/ 2011

51



إيمان هلال 4/12/ 2011

52



توماس هارتويل 26/6/ 2011

53



مجدي إبراهيم 23/7/ 2011

54



توماس هارتويل 10/10/ 2011

55



حمدي رضا 20/11/ 2011

56



محمد عمر22/11/ 2011

57



يحيي دوير 23/11/ 2011

58



جوناثان رشاد 16/12/ 2011

59



جوناثان رشاد 16/12/ 2011

60

61

هتافات

- عيش حرية عدالة اجتماعية
- الشعب يريد إسقاط النظام
- ارحل يعنى امشى ياللى مابتفهمشي
- مش هنمشي هو يمشي
- ثورة ثورة حتى النصر ... ثـــــورة فى كل شوارع مـــــصــر
- اعتصام اعتصام ...حتى يسقط النظام
- الجدع جدع والجبان جبان واحنا يا جدع بايتين في الميدان
- كلموه بالعبري مابيفهمش عربي
- يا حرية فينك فينك ....أمن الدولة بينا وبينك
- يسقط يسقط حكم العسكر، مصر دولة مش معسكر
- إللي بيحمي حسني مبارك عمره ما يحمي داري ودارك
- مش هيفيدك كاب وبيادة ... انتو جهنم وإحنا شهادة
- أيوه بنهتف ضد العسكر، إحنا الشعب الخط الأحمر

- الثوار مش بلطجية، ليه يحاكمونا عسكرية
- يا أبو دبورة ونسر وكاب، إحنا اخواتك مش إرهاب

62

- عايزين يركبوا على ثورتنا ... إلا الثورة على جثتنا
- الثورة ثورة شباب ... مش محتاجة مكتب إرشاد
- من ماسبيرو للميدان، دم الشهدا فى كل مكان
- اقتل خالد اقتل ميــنا ...كل رصاصه بتقويــنا
- اضـرب غاز اضـرب مطاطي ... إحنا شباب مش بنطاطي
- اللي بيقتل أهله وناسه، يبقى خسيس من ساسه لراسه
- ده مفهومكم عن العدالة ؟ ... ترموا الشهدا في الزبالة
- بدلـــة جيشـــك مش هتفيـــدك ... عند بنــــاتنا هنقطع
- إيـــــدك عمر السجن ما أخر بكرة ... عمر القهر ما غير فكرة
- قايم نايم فى التحرير ... الأسفلت عملته سرير... كنت بقول ارحل يا مبارك... دلوقتي بقول ارحل يا مشير

63

رسوم كاريكاتورية

65 -64


ثورة يناير
بيتك.. بيتك
خلاص يا ابنى
يناير خلص

66


أنا لفيت وسط البلد ودورت فى عمر أفندى وكارفور
والتوحيد والنور .. مالقيتش أبداً
الخرطوش اللى بيقولوا
عليه

67



★ الداخلية "تتعهد" بألا يتدخل قطاع الأمن الوطنى ★
فى حياة المواطنين

68



69



70



و يستمر اطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين

71



72



● حملة جمع تبرعات "بديلة" عن المعونة الأمريكية ●

73



74


facebook

75


الجنّة
ممنوع الدخول... لازم الأول
تجيب صوره من صحيفة الحالة
الجنائية بتاعتك وصورتين ليك
٤x٦ ...!!!
اللواء الفنجري: سنفرق بين من ماتوا كشهداء ومن ماتوا كبلطجية!!!
25 يناير
2011

76


شهادة لله.. لا كان فيه شهدا
ولا كان فيه ثورة ولا
شفنا يناير نفسه

77


وزى ما هو واضح فى الشكل
هى دى خطتنا
لإدارة المرحلة الإنتقالية
2011

78


قَطْع
إيدك

79



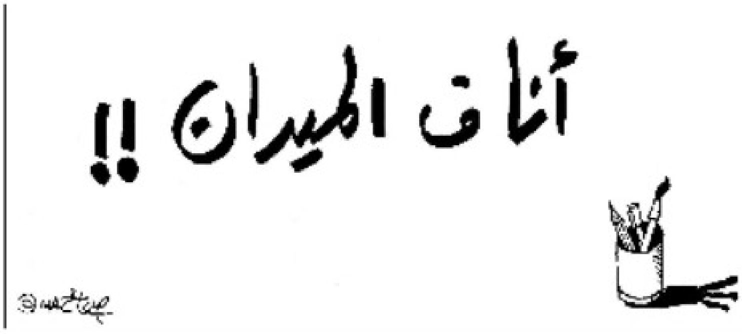
80



81


أنا اللى ستفت الاونطة جوة الشنطة وانا اللى صهفزت الهوى وبهيظت الشفاشى باللونوة
عبد الله أحمد

82


أنا ف الميدان !!

83



84


"الراغبي عدم التميز..بك ايجار جديد..مفروشة..موقع متميز..تشطيب سوبر لوكس..بحري..موارد بشرية و زراعية وصناعية و مائية و معدنية بالعبيط..البيع لظروف السفر للخارج..الوسطاء يمتنعون.
من الرئيس الى المشير....
يا قلبي..احزن
ولا حمادة لمن تنادي
ومازال الشعب المصري مكتئبا

85


إتفضلوا إنتخبوا !!

86


لأ.. كفاية
ها؟
أجيبلك باقي
القوى السياسية

87



88


طبعاً معلوم إن الجيش المصري نزل الميدان أعزل من غير سلاح والفرقة ٧٧٧ كانت نازلة تعمل إستعراض راقص

89


الثورة!!
منطقة عمل

90



91



92

وخلصنا الانتخابات والمفروض بقى نقعد كده على مهلنا ونفكر بقى كده واحدة واحدة ونحلل الفترة اللي فاتت ونعرف سلبياتها وايجابيتها ونخطط للفترة الجاية خطوة خطوة

تاريخ المعارضة المصري بقاله سنيييييييييين شغال ومفيش حاجة فعلية بتتغير بالعكس الفساد بيزيد اكتر واكتر وبقى زي القطر بيدوس اي حد يقف قدامه

واحنا بقت كل خطواتنا مكررة كل واقفتنا وكل مظاهراتنا حتى كل بياناتنا وخناقتنا واعتقالتنا والاخبار والبرامج وكله كله بقى شبه بعضه لحد ما حاجات كتيير بنعملها فقدت قيمتها

لكن ميتهيأليش ان في اي وقت قعدنا وفكرنا كده تفكير منطقي
طب في اسئلة يمكن سالناها لنفسنا كيتير بس ياترى لقينا جوابها بجد ولا مجرد ايجابات عايمة ؟؟

-1احنا هدفنا ايه ؟؟

-2احنا دي اللي هو مين ؟؟

-3ايه هي مشكلة البلد الحقيقية ؟؟

-4 هي المشكلة في مبارك بس ؟؟ يعني لو شيلناه هنحل كل مشاكلنا ؟؟؟

-5 يعني ايه تغيير ؟

-6ايه هو نظام الدولة ؟؟

-7 نسبة كام في المية من الشعب مستفدين من الوضع الحالي وكام في المية عايزين تغيير؟

-8 ياترى احنا وضعنا زي وضع اي دولة تم التغيير فيها ؟؟ وظروفنا زي ظروفها ؟؟ وثقافة شعبنا زي ثقافة شعبهم ؟؟ يعني نقدر بسهولة ننسخ تجاربهم وننجح ؟؟ ولا احنا وضعنا مختلف ؟؟

-9 لو وقعنا النظام ده ايه النظام البديل ؟؟ طب فكرنا لو وقع الوضع هيكون ايه من كل النواحي ؟؟

واسئلة كتيييييييييير اوووووي موجودة وكل واحد فينا ممكن يجاوب عنها باسلوبه وطريقته ووجهة نظره لكن ياترى احنا فكرنا نناقش كل ده مع بعض ونفتح اسئلة ونتعب عشان دور على اجاباتها ؟؟

اللي عايز يبني عمارة مينفعش يجيب من السوق عمارة متنية ويفكها هتبقى عمارة مرة واحدة صح ؟

ده بيشوف الاول الارض وبيشوف ظروف الارض ايه ولو في الارض دي في مشكلة بيصلحها وبيؤهلها للبناء وبعدين يحفر ويرمي اساس وبعدين يحط الصبة وبعدين يبني بطوبة طوبة لحد ما يبني اول دور وهكذا تاني دور وهكذا التغيير بالظبط زي بناء العمارة

================

عشان نصنع تغيير لازم نقعد ونتعب اووي في بناء خطة وعشان نبني خطة لازم الاول نرمي كل معلوماتنا في ورقة عشان نبني خطتنا عليها

- ايه ظروف البلد داخليا وخارجيا
- النظام بيتكون من ايه ؟ ايه هي مميزاته وعيوبه
- من هو الشعب , ونقسمه فئات ول فئة نعرف ايه ثقافته وايه هي المشاكل المشتركة ومين مع النظام
ومين ضده وليه

- ايه هو الفساد ؟؟ مصدره ايه وانتشر ازاي ونقسم الفساد اقسام
- من هم المعارضة ؟ ونقسمها ونعرف ايه سلبياتهم ومميزاتهم
رمينا كل ده ويتكتب كده في لوحة كبيرة ويتحط قدامنا ونبتدي نفكر بقى
ايه هو هدفنا ؟ هدفنا ده نوصله ازاي ومحتاجين ايه عشان نوصله
« ازاي » دي نوصلها ازاي ؟ في خطوات
ونقسم هدفنا ده لاهداف صغيرة ونرتبهم , ونمسك هدف هدف ونشوف هننفذه ازاي
ونرسم تخيل لكل حاجة نجحنا فيها هنمشي ازاي ولو فشلنا فيها هنمشي ازاي
وكل حاجة لازم يكون ليها بدائل
مواردنا ايه بقى وايه اللي نقدر نستغله وسلبياتنا ايه ونقدر نصلحها ولا لا
وحاجات كتيييييييييييير تتقال وتتكتب المفروض نعملها
عشان يوم ما نقول احنا بنطالب باسقاط مبارك نبقى بنقولها واحنا عارفين اننا بنقول كلام منطقي
ما يمكن منقدرش في الوقت الحالي فتبقى طلباتنا منطقية بالنسبة لكل اللي اتكلمنا فيه ده
وعشان لما نقول مقاومة نعرف احنا بنقاوم ايه
امتى نقدر نقول احنا هنعمل عصيان مدني ؟
امتى وازاي نعمل مظاهرة واحنا متأكدين ان نسبة استجابة الجماهير هتكون واسعة والمظاهرة هتهز النظام بجد او الجهة المعنية
يوم ما ننزل للناس ونوزع عليهم ورق نبقى كاتبين كلام موجه لمين ؟ منطقة شعبية ولا منطقة متوسطة واي نوع من الكلام هيفهموه

هنقدر نخلي المعارضة تتحد في حركة واحدة ؟؟ ولا نتحد في هدف ؟ ولا معنى ؟ ولا وقفة ؟
ايه اللي نقدر نتحد فيه بجد
كل ده هيساعدنا اننا نفكر بجد عشان قبل ما نعمل مجهود نبقى مخططينله صح
بدل ما بنحلم ونطيييييير باحلامنا وفجأءة نقع على رقابتنا ونعيط من الاحباط
بدل ما بنحمس ناس كتيييييييير وندخلهم السياسة وبايدنا نحبطهم ونخرجهم منها ونخليهم يحبطو غيرهم
انا مبقولش ناخد اجازة لحد ما نعمل كل ده لأ .. انا بقول ان لازم يكون في توازي بين شغلنا دوقتي وبين تفكيرنا ووضعنا لخطة
كل ده مش هييجي بين يوم وليلة ده لازم يجي في ايام ويمكن شهور وهياخد مجهود كبيير مننا
ومينفعش كل واحد لوحده يفكر هيبقى غلط ومجهود ضايع
لازم كلنا او على الاقل مجموعة مننا تقعد تعمل عصف ذهني ونفكر سوا من غير فرض اراء تبقى حلقات نقاش وتفكير , وفي واحد عمال بياخد كل الكلام ده ويحطه في الجزء بتاعه لحد الصورة تكمل
ناس كتيير بتسالني انا بجيب الامل منيين ... عايزة اقولهم اني الحاجة الوحيدة اللي ممكن تحبطني اننا نعمل كل حاجة وبردو مفيش حل
لكن احنا مجربناش حاجة .... هي هي نفس الاساليب وهي هي نفس الطرق

هي تجربة واحدة وبنعيد ونزيد فيها من غير تفكير
عشان كده عندي امل
عندي امل اننا نقعد ونفكر واكيد اكيييييييد هنوصل لاول الطريق اللي هيوصلنا للتغيير اللي احنا عايزينه اكييد هنطلع بتجارب منها هننجح فيها ومنها هنفشل فيها ساعتها لازم نحلل كل حاجة بنعملها عشان نعرف نتعلم منها ايه ونكمل في ايه ونوقف ايه
ياااريت تساعدوني اننا نقعد مع بعض ونفكر تفكير استراتيجي منطقي نطلع منه بازاي هنغير مصر

واحنا مش اقل من غيرنا عشان منبتكرش تجربتنا الخاصة .. ليه نقلد تجارب لدول مختلفة عننا

ليه منبدعش ونبتكر واحنا بني ادمين ربنا خلقلهم مخ مليان بذكاء يمكن ميكنش مستغل بالشكل الممكن لكن في ذكاء لازم نتستغله وجه الوقت اننا نبتدي نستغله ونفكر سوا

صح ؟؟ ولا ايه ؟

95



96

هو انتم عايزين إيه ؟

من ساعة ما بدأت الصفحة وكل شوية يوصلني السؤال ده بصيغ مختلفة ومن أشخاص مختلفة.. منهم ناس عايزة تحبط الشباب وخلاص ومنهم ناس مقتنعة بإن البلد لازم تتغير بس مش فاهمين إيه الهدف اللي احنا بنحاول نعمله ومنهم ناس مش مقتنعة أصلا إن البلد محتاجة تتغير وشايفين إن الاستقرار مهم جدا ومصر مش سهل إنك تغيرها من غير ما تحصل مشاكل كتير إحنا مش قادرين نستحملها.

فكرت شوية هو أنا كمصري نفسي في ايه ؟ وحبيت أسأل كل واحد فيكم نفسه في إيه لأن أكيد مشاكلنا مختلفة حتى لو كان سببها واحد ..

نفسي أحس إن لي صوت في بلدي .. باختار عضو مجلس الشعب بتاع دايرتي و باختار رئيس جمهوريتي .. مش عايز أحس إن صوتي مالوش لزمة وإن فيه تزوير بيحصل بغض النظر عن صوتي ورأيي .. مش عايز أروح لجنة الانتخابات فيقول لي: لأ خلاص إحنا صوتنا بالنيابة عنك ويضحك ..

نفسي في ديموقراطية حقيقية مش مزيفة

نفسي الفساد يتحارب في البلد .. مش عايز أعرف إن الحكومة الأمريكية عاقبت مرسيدس لأنها دفعت رشوة لمسؤوليين حكوميين في دول ومنها مصر والحكومة اتفقت مع أمريكا إن إسم المسؤول ميطلعش لحد .. طب ليه ؟ هو

مش دي فلوس الشعب ؟ ولما حد بيسرق بيتك من حقك تعرف مين هو وتشوفه بيتعاقب ويرجع اللي سرقه ؟

نفسي المدرسين يغرزوا في الولاد والبنات حب العلم والتعلم .. مش سياسة الحفظ والصم ..

ونفسي وزير التعليم بتاعنا يكون قامة علمية في مجال التربية .. والحكومة تدعمه بميزانية كبيرة لأن تعليم الأجيال الجديدة هو أملنا الوحيد لو عايزين نطور بلدنا .. احنا عندنا عقول رائعة بنضيعها كل سنة بسبب الاهمال

نفسي إن ضابط الشرطة يبقى زي زمان في الأفلام .. الشخص الوقور المحترم اللي بيراعي ضميره وبيتقي ربنا في السلطة اللي معاه .. يبقى متواضع بس حازم .. ميهينش اللي قدامه لمجرد إنه فقير ومعدم وفي نفس الوقت يرفع التحية لابن باشا لمجرد إن أبوه رجل أعمال مشهور ..

نفسي يقفلوا التلاجات اللي في كل قسم عشان التعذيب ..

ونفسي وكيل النيابة يبقى فعلا وكيل عن الشعب ويمثلنا ويراقب الضباط بشكل حقيقي

نفسي نبطل واسطة ومحسوبية في البلد .. مش عايز أعرف إن ابن نقيب المحاميين اتعين وكيل نيابة رغم إنه جايب مقبول .. ولا عايز أعرف إن فلان الفلاني أخد حتة أرض بسعر التراب لأنه صاحب الوزير الفلاني

نفسي الرشوة تبقى جريمة كلنا بننكرها .. بدل ما نكون متعودين عليها ..

ونفسي الشخص اللي يطلب رشوة يكون هو الغريب والمجنون مش العكس

نفسي الحكومة تراجع طريقتها في توظيف الناس .. ملايين من الموظفين في الحكومة محدش بيستغلهم ومهاراتهم مع الوقت بقت ولا حاجة غير قراءة الجرائد وقزقزة اللب ده لو حضروا أصلا ..

نفسي كمان الناس اللي بتشتغل وبتتعب ميكونش مرتبه في الآخر 500 جنيه يصرف نصهم مواصلات ويضطر يقبل الرشوة ويدخل الحرام لبيته

نفسي الحكومة تبطل تتعامل مع الشعب على إنه شوية أطفال مش قادرين يفهموا فمضطرين يضحكوا عليهم .. الموضوع ده تسبب إن كلنا فقدنا الثقة في

حكومتنا وأحيانا بتكون فيه أخبار حلوة وحقيقية والناس لمجرد إن خلاص عامل الثقة مبقاش موجود بيشككوا في الأخبار وبيعتبروها مؤامرة جديدة لتحسين الصورة

نفسي الشعب يتعامل مع بعضه من غير طبقية .. والناس تبطل تأليه الأشخاص .. صحيح ربنا خلقنا غني وفقير بس ده ميمنعش إن المعاملة تكون متشابهة .. يا ريت نتعلم دي من الناس الأجانب اللي بتلاقي الشخص اللي سايق مرسيدس زي الشخص اللي سايق فيات .. محدش ليه أفضلية ولا احترام عن الآخر في حقوق الإنسان .. لأن أصلا داء الكبرياء بييجي للناس لما بيحسوا إن اللي حواليهم مديينهم أكتر من حقهم .. زي مثلا لما بنقول كلنا للظباط يا باشا

نفسي المسؤول الحكومي يبقى فاهم إن معظم الإيرادات اللي بتحققها الدولة في الموازنة العامة من ضرائب الشعب .. وإنه بصفته موظف حكومي مرتبه ده من ضرائب الشعب .. يعني الفلوس اللي أنا وأنت وأي حد تاني بيدفعها شهريا للشركة (اللي هي الحكومة) هي اللي بتتسبب إنه ياخد مرتبه .. فيبدأ يتعامل مع الناس من منطلق إنه موظف عندهم مش مدير عليهم .. عمركم كلمتم الدعم الفني لشركة محمول ولقيتوا الشخص بيتنطط عليكم ؟

نفسي نتخلص من السلبية اللي معرفش زرعوها فينا بقصد ولا بدون قصد وزرعوها ازاي .. بقينا من الشعوب اللي متأخرة تقريبا في كل حاجة ومتقدمة في الحاجات السلبية بس .. طب ليه ؟ ليه كلنا عمالين نقول : البلد دي بلدهم وياكش تولع وأنا مالي هو أنا هاغير الكون

نفسي نتعلم نختلف من غير ما نشتم بعض ..

نفسي يكون فيه مسلم معتز بدينه وشايف إن المسيحي غلط .. ومسيحي معتز بدينه وشايف إن المسلم غلط بس الاتنين بيتعاملوا مع بعض باحترام وبيفرضوا في بعض حسن النية .. ومعندهمش خطوط حمراء في الكلام بيتكلموا بحرية واحترام مع بعض .. ومش خايفين من بعبع اسمه فتنة طائفية ضحكوا عليه بينا..

نفسي نفهم إننا كلنا مصريين وفي الدنيا حقوقنا متساوية وربنا هو اللي هيحاسبنا في الآخرة

نفسي منختزلش علاقتنا بالدين بإننا نسبح مائة مرة ونصلي على النبي خمسين مرة ... لأن الدين أصلا ربنا عمله منهج لحياة الإنسان والدين بيعلم الإنسان

الإيجابية والبناء والمودة والرحمة وحسن الخلق والعدل ومحاربة الظلم .. كفاية إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق

<u>نفسي</u> نحب بعض .. نحب بعض بجد .. بقى عندي إحساس غريب إن الناس بتستغرب أي حاجة حلوة حواليها .. لو حد اجتهد وبيعمل حاجة عشان بلده يبقى أكيد عميل أو ممول من بره .. أو على أقل تقدير بيحاول يكسب شهرة .. ليه بقت مشاعر الغيظ والكراهية وسوء الظن طاغية على مشاعر الحب والوفاء وحسن الظن ؟ على فكرة .. من حقي أحلم ومن حقي أسعى لتحقيق حلمي .. ومن حقك تحلم .. وبجد لو بطلنا نحلم نموت

أدمن كلنا خالد سعيد

98



99

إيران يا مصر، زينا ..كان عندهم ما عندنا .. الخالق الناطق هناك ..الناطق الخالق هنا.

هكذا كتب الشاعر الكبير أحمد فؤاد نجم من وحى الثورة الإيرانية فى 1979مبشرا بتغير مصرى لم

يحدث . لكن حماس نجم، ولمعة عيون كل الباحثين عن التغيير الاجتماعى الجذرى، التى تثيرها مجددا انتفاضة الشعب التونسى التى أطاحت بالديكتاتور بن على، مبررة تاما.

فى السنوات الأخيرة من العقد الثانى من القرن العشرين ، هزت الثورة الروسية مشاعر البشر ، وتسببت فى إلهام الملايين فى أوروبا لتتوالى خلال السنوات

التالية ثورات اجتماعية فى ألمانيا والمجر ثم إضراب عام فى بريطانيا ، وكل ذلك فى عصر علم فيه عموم الناس فى أوروبا بحدوث ثورة الروس بعد قيامها بشهرين. فما بالك بعصر الفضائيات وتويتر وفيس بوك، الذى تطالع فيه الثورة وهى تحدث وبرواية من يقومون بها.

لكن كما حدث فى الثورة الإيرانية، التى توقفت داخل حدود إيران، فإن سيناريو العدوى (الذى تكرر عدة مرات فى العقدين الماضيين: مرة فى أوروبا الشرقية ومرة فى جورجيا وأكرانيا وصربيا، ثم فى أمريكا اللاتينية فى بوليفيا والاكوادور والأرجنتين) ، لا يحدث بطريقة أوتوماتيكية. التحركات الجماهيرية لها شروطها وقوانينها الخاصة. تفاجىء الجميع فى أغلب الأحوال.. فى التوقيت وفى الطريقة وأحيانا فى البلد الذى تشتعل فيه. لكن يجمع بينها ما يخلق أساسا لحدوثها فى مكان ولعدم حدوثها فى آخر.

لماذا وقعت الانتفاضة فى تونس..وكيف نجحت ؟

تميل الصحافة إلى تفسير هذه التحولات الاجتماعية الكبرى بتسمية الأبطال الشعبيين الذين تسببوا فى أولى الشرارات التى فجرتها. وتونس فى ذلك ليست استثناء. وهكذا يأتينا حادث حرق الشاب محمد البوعزيزى لنفسه أمام بلدية سيدى بوزيد فى مئات ومئات المقالات والتحليلات على أنه سبب الانتفاضة ومحركها. وتتشابه تونس فى ذلك مع أغلب الانتفاضات والثورات الشعبية الحديثة. ففى روسيا ،1917كانت نساء سان بطرسبرج العاملات المحتجات على نقص الخبز فى يوم المرأة العالمى هن الطليعة التى جرَّت وراءها عمال المدينة لإضراب عام ثم امتد الاحتجاج لسائر روسيا.

وفي فرنسا 1968 كان قرار بوزن الفصل بين الطلبة والطالبات فى المدينة الجامعية هو المفجر الأول لمظاهرات طلابية تحولت إلى ثورة سيطر العمال فى إحدى حلقاتها على مدينة فرنسية واستقال على أثرها ديجول بكل عظمته .

وفى رمانيا ،1989 كان اعتقال قس سببا فى اندلاع احتجاجات نادرة من نوعها للمطالبة بإطلاق سراحه، انتهت بالإطاحة بالديكتاتور تشاوشيسكو بكل جبروته.

لكن الثورات، التى تقوم من أحداث قد تتكرر سنوات دون أن يكون لها أى أثر، لها أسبابها فى عمق المجتمعات وطريقة إدارتها وتوزيع ثرواتها والتوازن السياسى بين القوى المختلفة فيها.

وفى هذا تشترك ثورة الياسمين التونسية مع غيرها من الإنتفاضات الشعبية التى شهدها العالم خلال العقدين الماضيين فى العديد من السمات. كانت كل هذه التحركات فى دول ما يسمى بالعالم الثالث.

وكانت فى جميع الحالات رد فعل على السياسات الاقتصادية النيو ليبرالية التى أفقرت قطاعات جماهيرية واسعة.

100

وعلى الأزمات الحادة التى عرضت لها هذه السياسات اقتصاديات هذه الدول مجبرة الملايين على دفع ثمن باهظ لم يكن من الممكن احتماله طويلا.

فى إندونيسيا، كانت الأزمة الآسيوية فى الخلفية. فى أمريكا اللاتينية كان التطبيق الكامل لتعليمات صندوق النقد وما أفرزه ذلك من أزمات مالية فى الأرجنتين والإكوادور وبوليفيا وغيرها هو الشرارة التى فجرت انتفاضات متتابعة فى القارة دشنتها الإكوادور فى يناير 2000. وتونس ليست استثناء من ذلك.

المعجزة التونسية والأزمة العالمية

على مدى سنوات حكم بن على، اتبع الاقتصاد التونسى سياسات فتح الأسواق والاندماج فى الاقتصاد العالمى . ولطالما نالت السياسات الاقتصادية هناك مديح المؤسسات الدولية التى وصفت التجربة بالمعجزة بعد أن نجحت فى تحقيق متوسط للنمو يصل إلى 5% سنويا على مدى عقدين من الزمان وليس 5 أعوام فقط كما هو الحال فى مصر. ثم جاءت الأزمة العالمية فى 2008 لتهبط بمعدل النمو بعد أن تقلص الطلب الأوروبى على الصادرات التونسية. ومع مضى سنتين على الأزمة عادت أسعار الغذاء والمواد الأولية للصعود متجاوزة مستوياتها القياسية فى 2008.

وفى هذا لا تشذ تونس عن الأرجنتين مثلا، التى لقبها الصندوق بصانعة المعجزات قبل أن ينهار اقتصادها الذى قادته الخصخصة وسياسات التكيف الهيكلى فى 2001، ونفس الشيء حدث فى إندونيسيا، التى كانت نمرا قبل أن تجيء الأزمة الآسيوية وما استتبعته من رفع للأسعار وانهيار فى الاقتصاد. وفى الحالة الأولى غيرت الجماهير المضربة 3 رؤساء قبل أن تقبل استمرار الرابع بغير سياسات من سبقوه. وفى الثانية أسقطت ديكتاتورية سوهارتو التى حكمت الدولة الآسيوية الكبرى لعقود بالدم والنار.

وعلى العكس من الأسطورة السائدة التى تربط الانتفاضات الجماهيرة بالثورات على أساس أنه فقط البؤس المزرى يحرك الجماهير، فإن ثورات عديدة ترتبط بتحسن فى مستوى معيشة وتعليم قطاعات من الجماهير ، تحفزها تناقضاته وما يكشفه من سوء توزيع وغياب للديمقراطية الاجتماعية، على اقتناص حريتها.
كما أن النمو فى تونس (كما فى الأرجنتين وإندونيسيا ومصر) اقترن بما يسمى بالتطور المركب واللامتكافئ. أى أن ثماره لا تتوزع بشكل عادل بين الفئات المختلفة فى المجتمع، خاصة بين جموع المنتجين ولا فى الأقاليم المختلفة.
وهكذا تظهر مجتمعات الصفوة المرفهة لأبعد الحدود جنبا إلى جنب مع العشوائيات وشرائح واسعة تحت خط الفقر أو على حافته. وفى تونس لم يتجاوز من هم تحت خط الفقر 4% من السكان، لكن فى حين أن المناطق الساحلية استفادت من النمو، فإن المناطق الجنوبية والريفية أصبحت أكثر تهميشا.
وتخلفت مناطق وسط البلاد وغربها وجنوبها (ومنها سيدى بوزيد) من حيث توفير البنية التحتية الأساسية

ووالخدمات الاجتماعية. وظلت هذه المناطق تفتقر للمياه الصالحة للشرب والمجارى والخدمات الصحية والكهرباء والمسكن اللائق, المطالب الاقتصادية والسياسة .
فى أوروبا تحدث إضرابات عامة ويخرج ملايين البشر إلى الشوارع ولا تسقط حكومات ولا حتى أنظمة، بل إن هذه التحركات لا تطالب بذلك من الأصل. لكن تحت سياط الديكتاتورية يختلف الوضع. إن أى إضراب صغير للمطالبة بزيادة بدل الوجبة أو للاحتجاج على فصل عمال يتحول فورا إلى مواجهة سياسية. وهكذا كان الأمر فى تيميشوارا وهكذا تحول الأمر فى إندونيسيا.
وفى مواجهة لحظات الانتفاض النادرة فى ظل الديكتاتوريات، يصبح لعنف الدولة دور هام فى حسم تطور الأمور. فى تونس، استخدمت الشرطة النيران الحية وقتلت ما يزيد عن 60 محتجا وحاصرت فى البداية سيدى بوزيد. وفى العلوم السياسية هناك ما يسمى بمنحنى العنف الحكومى. فى بدايته فإن التحرش بالمتظاهرين يحفزهم أكثر قبل أن يصل إلى نقطة يصبح فيها الأكثر فعالية إذ أنه

برفع درجة العنف يردع البعض خوفا. أما إذا فشل هذا الإجراء فإن زيادة مستوى العنف لا تنجح أبدا.
وفى تيميشوارا التى أعلنت كأول مدينة في رومانيا يسقط النظام الستالينى فيها، تكلف المحتجون المتظاهرون قرب مركز المدينة فى 16ديسمبر 1989 أكثر من 1000قتيل والآف الجرحى فى مواجهات دموية مع قوى الأمن. لكن حكم تشاوشيسكو سقط بعد أسبوع من تلك الأحداث فى المدينة. وقد لعب هنا ما يحدث فى الجيش، كما فى الثورة الروسية وفى تونس، دورا رئيسيا فى مجرى الأحداث. إذ أن انحياز قيادة الجيش أو جنوده لمطالب المحتجين تغير قواعد التوازن تاما على الأرض.
تلعب هنا درجة التماسك التى تحتفظ بها النخبة الحاكمة دورا فارقا. فالعنصر الأول فى أى ثورة هو أن المحكومين يدركون أنه لا يمكن قبول الطريقة التى يحكمون بها أكثر من ذلك. أما العنصر الثانى الذى يخلق تحركا جماهيريا ناجحا فهو أن النخبة الحاكمة تصل إلى قناعة بأنه لا يمكنها أن تحكم بنفس الطريقة التى اعتادت عليها. يعنى ذلك ببساطة أنها تنقسم سياسيا. وظواهر هذه الانقسام بادية فى تونس . وفى إندونيسيا كان أهم ظواهر هذا الإنقسام، الذى وسع دائرة المستفيدين من اسقاط سوهارتو، هو أن قطاعات واسعة من الطبقة الوسطى العليا، وحتى بعض رجال الأعمال المتضررين من احتكار سوهارتو وأقاربه وأصدقائه للاقتصاد، كانت ناقمة على الوضع وترغب فى تغييره لصالح خدمات أفضل ودولة أكفأ وقانون يطبق على الجميع.

أين القوى السياسية ؟

لا يستطيع أحد إدعاء أنه حرك ثورة الياسمين أو قادها. ولم أسمع عن قوى سياسية هناك ادعت ذلك. والحقيقة أن تحول انتفاضة العاطلين للإضراب العام السياسى فى غياب قوى سياسية قائدة هو الآخر ليس نشازا ولا خاصية تونسية فريدة. فحتى الثورة الروسية، التى تلتصق فى الأدبيات وكتب المؤرخين بالحزب البلشفى، قامت على ذلك العنصر التلقائى والعفوى الجارف للجماهير.
ويحكى أنه فى إحدى اللحظات الفارقة قضت قياداته الليل تناقش الدعوة للإضراب العام من عدمه حتى اكتشفوا أن العمال قاموا به بالفعل.

وبالتالى فإن وجود قوى سياسية منظمة ليس شرطا ضروريا لا استغناء عنه للانتفاضات الجماهيرية، وإن

كان يستطيع تغيير طبيعتها وأفقها. وفى الحالة الإندونيسية كان ظهور القوى الحزبية المنظمة فى المراحل الأخيرة من التحرك الجماهيرى، فى صورة أمين رئيس زعيم تيار الإسلام السياسى، إيذانا بإيقاف المكاسب السياسية التى حصلت عليها الانتفاضة عند اقالة سوهارتو والحصول على حق التنظيم النقابى والسياسى ودرجة من الديمقراطية الانتخابية. لكن أعمدة النظام بقيت حتى أن أحد الجنرالات القريبين منه عاد للحكم عبر الانتخابات بعد سنوات قليلة.

درجة تنظيم القوى السياسية، وارتباطها بقواعد شعبية (وهو أمر غير مألوف فى ظل الديكتاتوريات) له أهمية بالغة فى تحديد مكاسب وآفاق التغيير السياسى والاجتماعى فى أعقاب إسقاط الديكتاتوريات. هذا حقيقى . لكن التجربة التونسية، تقول إن اسقاط الديكتاتوريات ممكن حتى لو لم تكن هناك قيادة موحدة مسيسة ذات جذور، وذلك إذا توفرت الأسباب الهيكلية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

مصر ليست تونس ؟

فى اللحظة التى بدا فيها أن نظام بن على قد سقط ، قفز السؤال: هل يتكرر الأمر فى باقى المنطقة العربية، على أساس نظرية "تأثير قطع الدومينو"، التى كانت أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية أبرز أمثلتها بسقوط الأنظمة الستالينية واحدا تلو الآخر فى الأولى، وسقوط الديكتاتوريات العسكرية وحكومات الليبرالية الجديدة بالتتابع فى الثانية.

ومع السؤال سارع كثيرون بنفى إمكانية حدوث تحرك للعاطلين والفقراء على الطريقة التونسية فى مصر، من أرضيات مختلفة وبحيثيات متباينة.

الفكرة الأولى طرحها د. عمرو الشوبكى فى مقال فى »المصرى اليوم « أمس الأول، ومفادها أن التونسيين ظلوا قادرين على التحرك دفاعا عن قيم الحرية العليا بينما » مصر المصابة باللوثة الدينية جعلت احتجاج المصريين من أجل أى قيمة عليا (الحرية. العدالة. مواجهة. البطالة. حد أدنى للأجور) غير وارد. « ويقارن الشوبكى بين هتافات بالروح بالدم التونسية لفداء اتحاد الشغل

والأخرى الموازية فى فداء الصليب والاسلام ليدلل على هذا التخلف فى الوعى الذى يجعل المجتمع »خربا« مقارنة بتونس الأكثر تعليما وعلمانية.

غير أن التاريخ يقول لنا شيئا آخر. فالمصريون تضامنوا عن بكرة أبيهم مع الانتفاضة الفلسطينية الثانية فى مطلع العقد الحالى. والتضامن ومع شعب آخر قيمة سياسية عليا. كما أن احتجاجات المصريين لا تفتقر إلى القيم بنفس القدر الذى تحملها فيه تحركات العاطلين من أجل حقهم فى كسب العيش. وفيما قبل الثورة الروسية كان الوضع فى روسيا أسوأ بكثير. فقد سيطرت الخرافات على الريف والمدينة لدرجة أن القيصر ذاته كان يستعين بمرشد من نوعية راسبوتين. ناهيك عن انتشار الجهل والأمية وضآلة الطبقة العاملة الصناعية.

إن قانون التطور المركب واللامتكافيء، الذى يسمح للآى باد بالوجود جنبا إلى جنب مع أحجبة الحسد هو عنصر أساسى فى الثورات الاجتماعية. التطور المادى الذى تخلقه الرأسمالية لا يخلق بشكل موازى أوتوماتيكى قيما جديدة، وهذا تناقض أساسى موجود فى صلب أسباب التحركات الاجتماعية الكبرى.

الانتفاضات الاجتماعية تنفض هذا الوعى المتخلف وتخلق طفرات كبرى فى المجتمعات كما حدث فى ثورة 1968فى فرنسا، حيث تجاوز العمال الفرنسيون مثلا كل حساسياتهم وعداواتهم العنصرية تجاه العمال المهاجرين وتحركوا جنبا إلى جنب فى مواجهة الدولة.

الحيثية الثانية ترتكز على أن النظام لدينا ليس ديكتاتوريا كتونس، على حد تعبير المدافعين عنه، أو يسمح للجماهير بالتنفيس عن غضبهم بالصحافة والبرامج وبعض التحركات الصغيرة هنا وهناك. وفى هذا الإطار فإنه من الصعب حسم الخلاف حول درجة الحرية السياسية. ففى وقت تمنع فيه تونس اليوتيوب وتسمح به مصر، يتمتع الاتحاد التونسى للشغل (أيَّد بن على للرئاسة) بحركية ومجال حركة وهامش مناورة وتنوع لا يتمتع به الاتحاد العام لنقابات عمال مصر. ونصيب البلدين فى تقارير منظمات حقوق الإنسان عن الانتهاكات كبير، وإن زاد أحدهما عن الآخر أحيانا.

ناهيك عن أن هوامش الحرية والحركة، إن وجدت، ليست بحال من الأحوال خصما من قدرة الجماهير على تحقيق التغيير، إن وجدت الأسباب الهيكلية لغضبها.

أما الحيثية الثالثة ، فهى التى تتكلم عن نظام الدعم ، الذى يقى مصر من تغييرات الأسعار العالمية. وقد أكد وزير التجارة والصناعة رشيد محمد رشيد فى أول تعليق على امتداد مظاهرات العاطلين الجوعى من تونس للجزائر والأردن أن هذا السيناريو غير ممكن فى مصر لأن ارتفاع أسعار القمح لا يعنى ارتفاع أسعار الخبز بسبب الدعم الحكومى. وفى هذا الشأن فإنه من المؤكد أن مصر فى أولى الدول المرشحة

من الفاو ومنظمات دولية عديدة للتأثر بحمى ارتفاع أسعار الغذاء العالمية بسبب اعتمادها على الاستيراد الذى يجعل قابلية أسواقها عالية لتضخم الأسعار ، خاصة بإضافة عنصر الاحتكار فى الأسواق. وفى

موجة 2008 وبرغم وجود الدعم ، قفز التضخم إلى حدود 24%، وهو رقم هائل يضرب الفقراء أول ما يضرب.

ينهى نجم قصيدته عن الثورة الإيرانية قائلا: تسك ودانك من قفاك .. تسك ودانك من هنا.. اللى حصل فيهم هناك.. لازم حيحصل عندنا . ولا أستطيع أنا أو غيرى أن نجزم بنفس الإندفاع العاطفى لشاعر أن السيناريو التونسى سيحدث فى مصر اليوم أو غدا أو بعد سنة. غير أن العناصر الهيكلية الأساسية الموجودة هناك موجودة فى مصر، من نمو اقتصادى لحساب القلة، وتنمية مفقودة فى الصعيد، وتصاعد للتذمر فى صفوف الطبقة الوسطى وحتى بين قيادات النخبة الحاكمة، التى لا تبدو متفقة على الخطو القادمة ، جنبا إلى جنب مع الأزمة الاقتصادية العالمية وقابليتنا العالية للتأثر بها. الخالق الناطق هناك.. الناطق الخالق هنا.

104

كلنا وائل غنيم

نيفين مسعد
جريدة الشروق
٢٠١١/٢/١٠

105

فجر وائل غنيم بصدقه وعفويته ودموعه فى لقاء العاشرة مساء كل ما تبقى فى نفوسنا من مشاعر غضب كنا نتصور أننا استنفدناها بالكامل من هول ما شاهدناه على مدار الأسبوعين الماضيين.

شريط فيديو يصور القتل غيلة لمتظاهر أعزل فى أحد شوارع الإسكندرية ولا يَقتل فى الظهر إلا جبان . جثة متظاهر تجثم عليها بوحشية فائقة عربة أمن مركزى فترسم حولها دائرة واسعة من الدم والعار. وجوه ملائكية لشباب لهم ملامح أبناء لنا . وأخوة وفى خلفيات صورهم ماء وخضرة ونور وكأنهم يتواصلون معنا من جنات عدن حملتهم إليها الشهادة من أجل وطن حر .

طبيب مسجى على فراشه مشلولا لأنه ظن أن من قذفوا المتظاهرين بالمولوتوف تركوا باب التوبة مواربا أمام أنفسهم فهرع لإسعاف الجرحى فى ميدان التحرير، ولم يكن يعلم أن الجناة المأجورين لا يتوبون فإذا هم يقنصوه هو نفسه. مشاهد تنطق الحجر وتدمى القلب َتصورنا يا وائل أنها سحبت كل رصيدنا من الغضب فإذا بشهادتك الصادمة تودع فى حسابنا المزيد و تمد حبل الدموع على الغارب ما بين عينيك ومآقينا.

فى لحظة واحدة امتلأ الفيس بوك بصورتك ومقاطع من حوارك وبعبارات التصميم على المضى فى الطريق حتى النهاية. كان البعض يحتاج إلى شحنة عاطفية كتلك التى فجرتها فى شرايينه حتى يجدد حماسه ويفسد على النظام لعبة كسب الوقت فيغلق جهاز التليفزيون ويلتقط أقرب كوفية وينطلق إلى ميدان التحرير. لست فى حاجة إلى أن تبرئ ذمتك من خيانة الوطن يا وائل، فالخونة هم من يطلقون على شعبهم المجرمين بالسيوف والخيول و الإبل.

الخونة هم من يترصدون ذاكرة هذا البلد فيهرعون منذ البيان رقم 1 إلى المتحف المصرى ليسرقوه فيفشلوا فيدقوا عظامُ مومياواته فيوقفوا ثم يحرقوه فيمنعوا.

الخونة هم من يبيعون ولاءهم لنظام بعد نظام فيتغنون اليوم بثورة 25 يناير بعد أن وصفوها قبل أسبوعين بمؤامرة من الداخل والخارج على أمن مصر، وعناوين جرائدهم تفضح زيفهم.

أما أنت يا وائل الذى تُسخر جهدك بنكران مطلق للذات من أجل تعبئة الملايين خلف هدف الثأر لمقتل خالد سعيد دون ذنب جناه، أنت القابض على هويتك الوطنية وجواز سفرك الأخضر ولا شئ سواه، أنت من تقطع آلاف الكيلومترات لتتظاهر مناديا بالحرية والكرامةُ فتخطف وتُعصب عيناك وتُعزل عن أهلك وناسك وحال بلدك ثم تخرج لتقول إنك لم تعان، أنت وأمثالك ممن تناضلون لإنقاذ مصر

من براثن أصحاب الشعور المصبوغة والوجوه الجامدة ومبدأ أنا ومن بعدى الطوفان فإنكم تقدمون نموذجا فذا للوطنية المصرية الخالصة.

السر فى حدوتتك الرائعة يا وائل جملة قصيرة من كلمتين : الإرادة والخيال. فلو لم تكن لديك الإرادة لما اقتنعت بأن نضال الكى بورد قادر على مواجهة بلطجة راكبى الجمال والخيول، لكنك وأمثالك واجهتم نظاما عنيدا عنيفا راسخا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

ولو لم تملك الخيال لما تصورت أن ثورة شباب الفيس بوك يمكن أن تتحول إلى ثورة شباب مصر ثم إلى ثورة كل مصر بأطيافها ودياناتها ورجالها ونسائها، ولما أثبت أن شباب الفيس بوك هم فعلا ليسوا شباب مصر كما قال أحد رموز النظام السابق لكنهم فى واقع الأمر هم مصر نفسها.

106

من حقك يا وائل أن ترفض شعار الحزب الوطنى وسياساته وألا تنطلى عليك لعبة الكراسى الموسيقية فيما بين قياداته ، فالاستمرار لا ينفع مع التغيير وفاقد الشئ لا يعطيه. ولسوف يأتى على مصر يوم قريب يصير فيه الحزب الوطنى كحزب البعث فى العراق بعد الاحتلال يلفظ فيه الناس كل من انتمى إليه وتسلق على أكتافه وتربح منه ، ثم من بعد يقتصدون فى إطلاق صفتى الوطنية والديمقراطية على أى حزب ناشىء.

أبكيتنا يا وائل وأدميت قلوبنا لكنك جددت دماءنا وكونت طابورا طويلا من شيوخ الفيس بوك يناضلون مع شباب مثلك بالكى بورد ، نضال لم يألفوه ولا نشأوا عليه من قبل لكنه تجاوز كل وسائلهم العتيقة وأثبت أنه أقوى من أى سلاح.

107



هزّ زلزالان سياسيان مدويّان الوطن العربي في شهر كانون الأول / ديسمبر وكانون الثاني/ يناير الماضيين: نجاح ثورتي الياسمين في تونس والميدان في مصر وتحطيم صنميهما (بن علي ومبارك) . وفي هذه اللحظات التاريخية، أعيد وضع هذا الوطن على الجغرافيا من جديد، وعاد الشعور بأناقة العروبة إلى أبناء الوطن. وأهمية هاتين الثورتين أنّه يكمن فيهما التقاء الاجتماعي والديموقراطي في مطالب الشعبين التونسي والمصري.

ففي تونس، حدث أن لحق بانتفاضة مدينة قفصة في تونس قبل سنتين حول الخبز والبطالة، تظاهرة مستخدمي الإنترنت . والفايسبوك في مدينة جرجيس التونسية، مطالبين بتحرير المسجونين وإعطاء حرية الرأي والتعبير .

في الانتفاضتين التونسية والمصرية، تمثّلت انتفاضة الشباب الجامعي المتعلم والعاطل من العمل والعمال، تلك التي اتّسمت بقدرتها على دمج الاجتماعي بالديموقراطي. فحساسية المتظاهرين من البطالة وعداؤهم للنظام الاقتصادي النيوليبرالي والـ) Neopatrimonialism استخدام موارد الدولة من الزعيم لضمان ولاء فئات من الشعب له) مربوطة بحساسيتهم بأهمية بالعدالة (في تونس هوة اقتصادية بين أقاليم الداخل والجنوب، من جهة، والعاصمة والأقاليم الساحلية الشرقية، من جهة أخرى) والكرامة والحرية: حرية الانتماء للأحزاب والجماعات السياسية، حرية التعبير، حرية ممارسة الشعائر الدينية، حرية الكتابة ضد الفاسدين من أعضاء الحكومة، أو عائلتي مبارك وبن علي وعائلة زوجته الطرابلسي.

وهكذا، فإن التقاء الاجتماعي بالديموقراطي هو الذي جعل الشباب التونسيين والمصريين يشعرون بأنّهم تحولوا إلى كائن مستباح (Homo Sacer), بالمعنى الذي يعطيه له الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبن. أي أصبحوا أجساداً عزلاء جائعة، جرّدها النظام من ذاتيتها السياسية ومن حقها في الانتماء لتيارات وأحزاب ، وأدخلها النظامان في دائرة الممنوع (كما هي الحال في حركة النهضة الإسلامية وحزب العمال الشيوعي التونسي وحركة الإخوان المسلمين وحزب الكرامة) .

فعندما تحول الرئيسان إلى حاكمين وصاحبي القرار الوحيد في تطبيق القانون أو تعليقه ، وفي منح أو حرمان الإنسان التونسي والمصري من الحياة الكريمة والعادلة ، استباحت أجهزتهما هذا الإنسان عبر النهب الاقتصادي والتسلط البوليسي والاعتقال والتعذيب والتصفية من دون محاسبة عادلة. لقد كتب السوسيولوجي التونسي محسن بوعزيزي ، في الكتاب الجماعي الذي حررته حول » حالة الاستثناء والمقاومة في الوطن العربي «، عن التعبيرات الصامتة لدى الشباب التونسي ليؤكد اللامبالاة بالشأن العام والانصراف عن السياسة والغرق الكلي في الشأن الخاص. لكن ما لم يره بوعزيزي هو أن ابن مدينته سيدي بوزيد (محمد بوعزيزي) قد تجاوز مجرد اللامبالاة، إذ انفصل عن البنى الاجتماعية ليتحول الى ذات محركة للحركة الاجتماعية.

فجسده، كجسد الكثير من الشبان التوانسة، الذي هو مرمى للنظام القمعي للسلطة التأديبية والحيوية الهادفة إلى التجريد الجذري من أي شكل من أشكال الفاعلية السياسية، قد أصبح بانتحاره موقفاً لمقاومة هذا النظام ، وفيه تتحقق الفاعلية في لحظة تدمير الجسد لذاته . إننا في لحظة، كما وصفتها الباحثة الفلسطينية مي الجيوسي) في الكتاب نفسه المشار إليه أعلاه) ، شبيهة بحالة المقاومين الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة. تحدى هؤلاء السلطة السيادية التي أرادت لهم أن يكونوا أناساً مستباحين، يمكن قتلهم بدون التضحية بهم (هو الموت الذي لا قيمة له). لقد تحول محمد بوعزيزي ورفاقه الذين ماتوا انتحاراًّ إلى فاعلين ضحوا بأنفسهم، قالبين بذلك العلاقة مع السلطة السيادية.

لكن على الرغم من شراسة نظام بن علي وفساده واستخدامه لحالة الاستثناء والطوارئ الدائمة، ليس هناك

نظام استبداد كلي) (Total Institution, فالدولة المصرية ذات المليون ونصف مليون رجل أمن

و شرطي و 450ألف جندي عسكري والسجون التعذيبية (خدمة لأجهزة الاستخبارات العالمية).

لم تستطع مواجهة الشباب الثائر في ساحة التحرير والتظاهرات في المدن الأخرى. وفي تونس كان البطش عامل ضعف لا قوة. فمن المثير للانتباه أن

نظام بن علي »العتيد القوي « لم يستطع جعل الجيش يبطش، كما فعلت الشرطة التونسية. ومن هنا كان للجيش دور مهم في دفع بن علي إلى الفرار . ومظهر آخر من مظاهر ضعف النظام هو نفي معارضيه من المثقفين إلى خارج تونس، فتحولوا إلى منظرين لهذه الانتفاضة وناطقين باسمها. أما مع النظام المصري، فقد أدّت خصخصة الدولة وتحولها إلى دولة خاصة للتوريث ولشلة رجال الأعمال المرتبطين بالحزب الحاكم وأعوانه، إلى زوال القواعد الطبقية والاجتماعية والطائفية. جعلها ذلك هشة أمام مجموع الشباب المرتبطين بشرائح واسعة متوسطة وعمالية.

أخذ البعد الرمزي لهاتين الثورتين أقصى مداه .ففي مصر ظهر الشباب حاملو مطالب الثورة أفراداً متعلمين ، سلاحهم الهاتف النقال لأخذ الصور،والكمبيوتر المحمول للتواصل الاجتماعي. هم شبان وشابات،مسلمون ومسيحيون، يحملون لافتات صنعت باليد . فهذه الثورة ليس وراءها الـ USAID والمانحون الذين اعتادوا تنظيم ورشات حول حقوق الإنسان والديموقراطية في فنادق الخمس نجوم. في المقابل عبأت الدولة المتكلسة البلطجيين ومعهم خيولهم وجمالهم، فاقتحموا الميدان وبيدهمّ الطوب والسكاكين والعصي .

في كلتا الثورتين لم تغب موضوعة الصراع العربي - الإسرائيلي. فكلا النظامين من محور الاعتدال، وهذا ما أوجد هوة سحيقة بين خطابهم ومشاعر الجماهير التي رأت في اعتدالهم بطاقات خضراً لاستمرار المشروع الاستيطاني الإسرائيلي وحصار غزة وقمع الفلسطينيين. ويلفت بعض الكتاب في جريدتي »الأهرام« و»الأخبار «الحكوميتين النظر، بعدما انتقدوا مبارك لاستقباله نتنياهو في 4 كانون الثاني/ يناير، في اليوم التالي لإعلان إسرائيل هدمها أربعة بيوت عربية من القدس وقصف غزة وقتل ثلاثة فلسطينيين فيها.

هكذا فإن رهاب إسرائيل في هاتين الثورتين له معنى، إذ لن يستمر الوضع العربي الضعيف المستجدي للدفاع عن أنظمته. وما ستؤول له الأمور هو إرجاع الدور القائد إلى مصر ودورها الوحدوي العربي، وتمكين ممثلي الشعب الفلسطيني (منظمة التحرير وحماس) من مقاومة المشروع الصهيوني. واستخدمت كلمة الكرامة كثيراً في خطاب ممثلي الثورتين. فكرامة الأمة قد أهانها هذان النظامان.

طبيعة الحركة الاجتماعية

هناك فئتان من الفاعلين في الحركة الاجتماعية:

أولاً الشباب المتعلم، غير المنظم حزبياً، الذي تفاعل سريعاً مع نشاط الأحزاب والنقابات التي أدّت دوراً يتظلل هذه الحركة، وأعطاها الزخم اللازم للاستمرار والتعبئة والتأطير.

ثانياً، شرائح العمال، المؤطرة نقابياً أو غير المؤطرة، التي أغفلها الكثير من المحللين في محاولة واعية أو لا لطمس بعدها الطبقي.

إذاً، هاتان الثورتان في تونس ومصر هما حركتان اجتماعيتان اندمج فيهما، بروعة، البعد الكلاسيكي الطبقي مع البعد المدني الجديد . بُعدان برزت فيهما أهمية الفرد - الناشط في قدرته على تطوير قدرات التبصر الذاتي، حسب ما بينه آلان تورين، فيستطيع الناشط أن يندمج مع بعض البنى وينفصل عن أخرى. وكانت لافتة قدرة بعض الناشطين الشباب، المنتمين إلى حركة الإخوان المسلمين، إذ تبنّوا أجندة مختلفة في الشعارات وطريقة الفعل في هذه الحركة.

لقد أشعل محمد بوعزيزي وحده فتيل الانتفاضة، وانتفض الشباب بنحو غير منظم، لكن ما لبثت النقابات العمالية أن نظمتها ونقلتها من مدينة إلى أخرى. لقد كان الاتحاد العام التونسي للشغل بارعاً في التعامل مع النظام: ففي شمال تونس، وخاصة في العاصمة، كان قادته يتفاوضون مع النظام، بينما في الجنوب كانوا يعارضونه . أما الاتحاد العام لطلبة تونس، وهو خليط من مجموعات مؤيدة للنظام ويسارية وإسلامية معارضة ، فقد أدّى دوراً أساسياً في تعبئة طلاب الجامعة ضد النظام الزائل. أما نقابة المحامين فدورها مهم ورائد في توسيع التظاهرات لتشمل كل الأعمار، عوض أن تكون محصورة بالشباب فقط ، وفي العاصمة تونس.

أما في مصر فقد بدأت الثورة بتحرك مجموعة شبابية هي » 6أبريل « التي نشأت بتفاعلها مع الحركة العمالية الإضرابية من المحلة الكبرى وتحولت عن طريق الشبكات الاجتماعية (الفايسبوك وتويتر) إلى مجموعة متعاضدة. واستطاعت هذه المجموعة، باستخدام العالم الافتراضي، تعبئة آلاف المتظاهرين من 25 كانون الثاني/ يناير، ثم رفعت الأحزاب والنقابات المصرية مستوى التعبئة حتى صح الحديث عن مسيرات مليونية في كل من القاهرة والإسكندرية والسويس،

وأيضاً المنصورة ودمنهور والزقازيق... إلخ. نحن أمام ثورات يتعاظم فيها السياسي والحقوقي المدني على حساب الأيديولوجي. لقد ظنت الكثير من الأنظمة وبعض المفكرين العرب والغربيين أن الشارع لا يعبئه إلا الإسلام السياسي. أظهرت الحالتان التونسية والمصرية أن الإسلاميين هم قوة مهمة، لكنها ليست الوحيدة، ولا يمكن أن تحكم وحدها بدون تعاونها مع قوى أخرى. كذلك بينت أن قوتها الضاربة تجاوزت تبسيطية شعار»الإسلام هو الحل « لتطرح قضايا الحرية والديموقراطية كمثيلاتها من الأحزاب المعارضة.

لكن ماذا عن الجمعيات الحقوقية والأهلية وغير الحكومية ؟

لقد اختزل كثير من المانحين والمنظمات الدولية مفهوم المجتمع المدني في هذه الجمعيات، وظنوا أنّهم هم الذين سيحملون رياح التغيير. وأدّت هذه الجمعيات دوراً مساعداًّ للنقابات والأحزاب المعارضة، وتجلى ذلك بمواكبة منظمات حقوق الإنسان في تونس وفي الخارج الانتفاضة ونشر معلومات موثقة عن حجم الخسائر البشرية، وبتحفيز القوى العالمية الأهلية والسياسية الرسمية على أخذ مواقف حازمة من النظام. ومن هنا فإن من أهم مواصفات المجتمع المدني الحي تعاضد النقابات والأحزاب مع الجمعيات الأهلية. وآن الأوان للمانحين الذين يعبئون فقط للجمعيات الأهلية أن يوزعوا دعمهم على كل هذه المؤسسات. وإلا، فإن تضخم الجمعيات لن يحول دون حدوث التغيير المرتجى، فحسب، بل سوف يضعف النقابات والأحزاب، إذ سيتوجه خيرة شبابها إلى العمل في قطاع الجمعيات.

إذاً، على عكس الحركات الاجتماعية التي شهدتها أوروبا الشرقية، حيث كان هناك قيادة معارضة موحدة، تشهد الحالتان التونسية والمصرية شرذمة وانفصاماً وضعف تبصر ذاتي) (Reflectivity لدى ناشطي الثورتين. وهناك منطق شباب الثورة العفويين (على طريقة الثورة الفرنسية)، الذين هم في طور التنظيم، والأحزاب السياسية التي قبلت بالتفاوض مع السلطة السياسية والبقاء في الشارع بآن واحد.

وثمة فاعل ذو أهمية قليلة لكن فعالة، هو دور الإعلام المرئي، الذي حفز الجماهير في ظل التعتيم الإعلامي الكلي في محطات التلفزة المحلية التونسية والمصرية. وفي هذا الصدد، تحولت قنوات الجزيرة، العربية، BBC العربية و 24

Franceإلى شاشة لنقل الصور التي جمعها الناشطون بهواتفهم النقالة، وإلى منارة لنقل آراء المعارضين للأنظمة البوليسية. أخص بالتحديد هنا قناة الجزيرة التي رفضت نموذج » عدم التدخل « في الشؤون الداخلية للأقطار العربية، لتبني نموذج» التضامن« مع الشعب المسحوق من مواجهة النظام التسلطي.

111

فحوى الحركة الاجتماعية

هناك علاقة وثيقة بين الخبز والحرية، فعلى الرغم من وعود بن علي ومبارك بحل مشكلة البطالة وتوفير الأسعار المناسبة للاحتياجات" الغذائية الأساسية، فإن ثورة الجماهير لم تتوقف. رأى الشباب والمهنيون أن لقمة العيش مربوطة بحرية الصحافة، ورفع القيود عن الإنترنت، وعبرت عن ذلك المعارضة. وتحولت الشبكة العنكبوتية إلى أداة معرفية وتعبوية حاسمة، صنعتها قدرات بسيطة للأفراد، والمدوّنون والجمعيات لمعرفة ماذا يحصل في تونس ومصر والتواصل مع العالم، فهم ليسوا بحاجة إلى الإعلام الرسمي المزيّف الداخلي والخارجي .

كان هناك صمت رهيب ومريب للولايات المتحدة وفرنسا وللمجموعة الأوروبية التي دعمت بكل قواها الديكتاتوريات العربية، حيال ما يجري . وتجلى الدعم بالعزف على الفزاعة البالية من أن استبدال هذه الأنظمة يجلب إلى الحكم الجماعات الأصولية، وأن هذه الديكتاتوريات هي الوحيدة القادرة على حفظ الاستقرار السياسي والمشاركة بـ»الحرب على الإرهاب« . وليس المقصود غالباً بالإرهاب فقط تنظيم القاعدة، بل لكن أيضاً أي إسلام سياسي. في هذا الصدد، كان مذهلاً موقف بعض المثقفين الفرنسيين القريبين من السلطة . وخاصة ألكسندر ألدر وبرنار هنري - ليفي وآلان فنكلكروت ودورهم في تخويف الرأي العام الفرنسي من الثورتين في تونس ومصر.

وهناك ثلاثة أسباب لذلك:

الأول، المصالح الغربية التي تريد أنظمة ضعيفة ومرتبطة بها لحماية مصالحها ومصالح إسرائيل في المنطقة. أنجيلا ميركل، المستشارة الألمانية، هنأت الشعب على خلع مبارك وخاطبت مصر باستعلاء ، وطالبتها باحترام اتفاقية كامب ديفيد وضمان أمن إسرائيل (11شباط/ فبراير) . لقد صمتت فرنسا أكثر من ثلاثة أسابيع على ما يحصل في تونس، دعماً لابنها المدلّل بن علي. وصرح فرنسوا بارو

الناطق الرسمي باسم الإليزيه قبل أسبوع من هروب الرئيس (8كانون الثاني/ يناير) بأن ما يحصل في تونس هو شأن داخلي. فلماذا لم يعدوا الانتخابات في ساحل العاج أو ما يحصل في إيران أو في لبنان شأناً داخلياً ؟ لقد اكتفت السلطة الفرنسية بإبداء القلق من الاستخدام المفرط للقوة عندما شعرت بأن نظام بن علي في طريقه إلى الأفول. وبذلك تظهر فرنسا كغيرها من الدول الغربية، وخاصة الولايات المتحدة، خوفها من الجماهير. فالكثير منهم يدعمون التغيير في الوطن العربي فقط عندما هناك ضمان لطبيعة النخبة الجديدة التي سوف تتسلم الحكم، كما حصل في العراق .

السبب الثاني، هو ثقافي. يتحول فجأة بعض المفكرين والصحافيين الأميركيين والأوروبيين إلى منظرين للتعددية الثقافية، معلنين أن الديموقراطية لا تتوافق مع الثقافة الإسلامية. ومثلما صرّح سلافوي جيجيك في مقابلة معه على قناة الجزيرة (5شباط/ فبراير(2011 فإن المطلوب من الغرب موقف تضامني له بعد العالمية .(Universalist)فمطلب الشعب في قهر الدولة البوليسية والدولة التسلطية هو مطلب عالمي ولا علاقة له بـ»طبيعة الثقافة الإسلامية« .

أما السبب الثالث فهو مصالح النخب السياسية الغربية الفاسدة التي رشتها الأنظمة الاستبدادية العربية، فكما كشفت الصحف الفرنسية في 7 شباط/ فبراير عن تقديم رجل أعمال تونسي قريب من الرئيس البائد بن علي رحلتين خاصتين (إحداهما بعد بدء الانتفاضة) لوزيرة الخارجية الفرنسية ميشيل إليو - ماري، ودفع النظام المصري فاتورة رحلة أعياد الميلاد لرئيس الوزراء الفرنسي فرانسوا فيون وعائلته إلى مصر.

وأخيراً، لعل هذه الانتفاضة الرائعة ليست إلا نقطة البدء بعملية ديموقراطية مليئة بالألغام. لم يعد الشعب يقنع بمعادلة الاستقرار والأمن من الديكتاتورية أو الفوضى/ خطر الإسلام المتطرف. وعلى أية حال، ينطبق

على هذا الوضع ما قاله ماو تسي تونغ : »هناك فوضى عظيمة، لا يمكن أن يكون الوضع أحسن من ذلك« وعلينا أن نتوقع ظرفاً صعباً يجتاح المنطقة وتسلم الجيش لمقدرات الحكم في كلا البلدين، لكن التغيير بعد 30 عاماً من الاستبداد يستحق ذلك.

وبهذا الصدد هناك رهانان اثنان في المرحلة المقبلة:
الرهان الأول يتجلى في قدرة المعارضة على توحيد صفوفها ضد الدولة البوليسية السلطوية،
فيما الرّهان الثاني هو على قدرة الحركات الإسلامية، كحركة النهضة والإخوان المسلمين، في تقديم نموذج رائد في المشاركة بالحكم على الطريقة التركية.
هناك أكثر من تيار يدور بين قطبي الاعتدال وقطب السلفية المحافظة. لقد بين المختصون في الإسلام السياسي، ومنهم فرانسوا برغا وحسام تمام، قوة القطب الأول وضعف الثاني، مما يمكن أن يعطي بعض الآمال في إمكانية ترافق موضوعة الديموقراطية مع الحريات الفردية.
ومع تحطيم أصنام الاستبداد في تونس ومصر وإحالتها إلى مزبلة التاريخ، السؤال الذي يتوارد إلى ذهن كل عربي: ماذا بعد ؟
لم يعدّ في مقدور الأنظمة الادعاء أن ضرورات توفير الخبز للجميع أو ضرورات المعارك القومية الكبرى أو تحرير القدس تكون عبر التراجع عن الليبرالية السياسية المتمثلة بحق كل إنسان في التعبير عن نفسه وحقه في معرفة المعلومة من مصادر غير مراقبة من الأنظمة.
من هو النظام العربي التالي المرشح لتصله رياح التغيير؟ أغلب أنظمتنا إما ملكية/ أميرية متوارثة مع دور محدود جداً للبرلمان، أو أنظمة جمهورية استبدادية متوارثة أو في طور التوارث، حيث يبقى فيها الرئيس/ الملك إلى »الأبد« . وكلنا نلاحظ في العديد من الدول العربية شعار» إلى الأبد يا «... , ولكم الحرية في ملء هذه النقاط حسب اسم الزعيم الذي ترغبون.

الثورة والسلطة: تناقضات الوضع الراهن للثورة المصرية

مصطفى كامل السيد
جريدة الشروق
٢٠١١/٢/٢١

114

العلامة البارزة على انتصار كل الثورات على حكم مستبد هى وصول الثوار إلى سلطة الحكم، وإسقاطهم للنظام القديم، الذى يسبق بداية بنائهم للنظام الجديد، كان هذا هو حال كل الثورات الناجحة فى تحقيق أهدافها ، ولكن السمة الفريدة لثورة الخامس والعشرين من يناير أن الثوار لم يصلوا إلى السلطة، ولا يبدو أنهم سيصلون إليها، بل العجيب أنهم لا يفكرون فى ذلك، بل إنه لو صحت الأنباء عن اتفاقهم على مجلس أمناء، فإنهم يريدون أو يريد بعضهم تفويض آخرين للتحدث باسمهم، أما الذى تولى السلطة فى مصر فى أعقاب قيام هذه الثورة فهم قادة القوات المسلحة الذين لم يفكروا إطلاقا فى القيام بثورة ، وإنما وجدوا أنفسهم مضطرين لحكم البلاد لأن عناد الرئيس السابق حسنى مبارك وتشبثه بالسلطة فى مواجهة رفض شعبى عارم له واكتفاء الجماهير الشعبية بالاحتجاج على حكمه دون أن يدور فى ذهن قادة الثورة الذين أصروا حتى النهاية على طابعها السلمى استخدام القوة للإطاحة بالنظام الذين هتفوا بسقوطه. طبعا كان الالتزام بسلمية الثورة ضروريا حتى لا يقع صدام بين الثوار والقوات المسلحة التى انحازت للثورة منذ أيامها الأولى عمليا برفضها استخدام العنف ضدهم، وهو الأمر الذى لم يدرك مغزاه الرئيس السابق. وأيا كان الأمر فقد أدت هذه التطورات إلى أن بقى الثوار فى الشارع، وتولى الحكم على مستواه الأعلى قادة القوات المسلحة الذين لم يكن فى نيتهم أصلا أن يصبحوا هم من يقرر مصير البلاد فى هذه اللحظة الحاسمة من تاريخها يقتربان أحيانا، ويبتعدان أحيانا أخرى، ولكن التطابق بينهما غير قائم، ولا يبدو أنه سيحدث فى المدى القريب. وتلك هى المشكلة الرئيسية للثورة

المصرية فى الوقت الراهن، فما النتائج التى تترتب ؟ على هذا الوضع ؟، وكيف يمكن تلافى أخطاره ؟

رؤى وخلفيات متباينة

ثوار التحرير والقوات المسلحة هما الفاعلان الأساسيان على مسرح الحياة السياسية فى مصر فى الوقت الحاضر، وهما اللذان سيحددان مصير الثورة، والتوافق بينهما أساسى لبلوغ هذه الثورة أهدافها المرجوة، ومع ذلك فإدراك الفوارق فى الرؤية بينهما ضرورى لكى يمكن التقدم على طريق بلوغ أهدافها.

شباب التحرير هم من عانوا، ولأسباب مختلفة، من إخفاقات حكم الرئيس حسنى مبارك، بعضهم انزعج من تردى مكانة مصر بين الأمم، والذين خرجوا وراءهم قاسوا من البطالة وتعاطفوا مع الفقراء من حولهم، وهم بحكم رؤية ثاقبة لم يجدوا مخرجا من هذه الأوضاع إلا بسقوط النظام، وذلك بالإضافة إلى روح الشباب التى تجعلهم لا يطيقون صبرا على بقائه، أما قادة القوات المسلحة، فهم وإن كانوا يدركون خطر سياسات النظام على وضع مصر الإقليمى والدولى، إلا أن واجبهم المهنى هو حماية النظام الذى كانوا واحدا من أعمدته، وهم بحكم دورهم المعتاد فى الدولة، حريصون على الاستقرار، ويسعون بكل الطرق إلى استعادته، ولهذا يمكن أن نرى كيف يؤدى تباين الخلفية والرؤى إلى تباين محسوس فى الاستجابة لمتطلبات الثورة، التى أعلن قادة القوات المسلحة تأييدهم لها.

الثوار يرون أن كل ما تحقق هو مجرد إقصاء رئيس الدولة، ووقف العمل بالدستور، والسعى لتعديل بعض مواده، ولكن مع ذبول نفوذ رجال الأعمال المباشر مؤقتا فى الغالب، والاعتراف بالإخوان المسلمين كقوة سياسية مشروعة، والتحقيق مع بعض قيادات الحكومة السابقة والحزب الوطنى، إلا أن كثيرا من شخوص النظام السابق مازالوا موجودين فى مواقع التأثير فى المجتمع، كما أن الجانب الأكبر من الأطر الدستورية والتشريعية التى كانت قاعدة الاستبداد مازالت تحكم الحياة السياسية فى البلاد، وبعض المؤسسات التى وفرت الحماية له مستمرة، فضلا على أن أسلوبه الفوقى فى إدارة الحياة السياسية هو الأسلوب المتبع فى إصدار قرارات مهمة.

وتفصيل هذه النقاط واضح.

نصف وزارة الدكتور أحمد نظيف موجود فى الحكومة التى شكلها الفريق أحمد شفيق، ومنهم من شارك فى صياغة تعديلات الدستور سيئة السمعة فى سنة 2007 , ومن عادى القضاء بسياسات وإجراءات مستفزة، بل وشارك فى تزوير انتخابات سابقة، وآخرون لا يرى المواطنون سببا للاحتفاظ بهم فى مواقعهم لأن أداءهم لم يكن مما يستجيب لتطلعات المواطنين، فضلا عن أن هذه الحكومة قد أقسمت اليمين أمام الرئيس الذى أطاحت به الثورة، أى أن أساس شرعيتها قد اختفى برحيله.
وعندما ينظر الثوار إلى من يتربعون على عرش الإعلام الذى كان قد شهر بهم فى أيام الثورة الأولى يجدون أنهم هم الذين يديرون الإعلام الآن ، ويحاولون وضع قناع جديد كما لو كانوا ليس فقط من المتحمسين للثورة، بل يدعى بعضهم أنه دافع عن نفس مبادئها منذ زمن.
وعلى رأس مؤسسات الحكم المحلى كل المحافظين الذين شاركوا فى تزوير الانتخابات، الذين شأنهم فى ذلك شأن الوزراء، قد اختارهم رئيس الدولة الذى أطاحت به الثورة، كما أن نفس الأطر الدستورية والتشريعية التى قننت الحكم السلطوى هى التى تحكم الحياة السياسية بما فى ذلك السلطات الواسعة التى يمنحها الدستور لرئيس الجمهورية، التى ليست موضوعة للنظر فيها أمام لجنة تعديل الدستور. وإذا لم ينصلح هذا الوضع فسوف يمارس رئيس الجمهورية القادم نفس السلطات الواسعة التى زاولها الرئيس مبارك دون أى مساءلة، كما يستمر العمل بقانون الأحزاب الذى يحول دون قيام أحزاب ذات مصداقية، وكذلك فإن بعض المؤسسات المشكوك فى جدواها مثل مجلس الشورى سيكتب لها عمر مديد، ومؤسسات أخرى ثبت ضررها البالغ على الوطن مثل جهاز أمن الدولة باق برئيسه وبعناصره التى مارست التنكيل بمعارضين شرفاء ومواطنين عاديين خصوصا فى فترات الانتخابات.
وأخيرا فلم يستقر المجلس الأعلى للقوات المسلحة على اعتماد التشاور مع القوى السياسية المصرية بما فيها قادة الحركات الشبابية أسلوبا لصنع القرار، وهو ما ظهر فى التحفظ تجاه تشكيل لجنة تعديل الدستور، وإن كان الجميع يقدرون رئيسها أشد التقدير، كما تأخر المجلس كثيرا فى اتخاذ قرارات نفعها على الوطن مؤكد، ومخاطرها ضئيلة للغاية، مثل إنهاء حالة الطوارئ، وإطلاق سراح

المعتقلين والمسجونين السياسيين، وبدء التحقيق الفورى مع المسئولين عن مقتل 365 مصريا وإصابة قرابة خمسة آلاف، خصوصا فى أحداث الأربعاء المشينة.

تضييق الفجوة بين الثوار والسلطة

لاشك أن كلا من الثوار وأعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة يتطلعون إلى تضييق الفجوة بينهم، فهو شرط ضرورى لنجاح الثورة، وهو كذلك لا غنى عنه لاستقرار الوطن، فما هو السبيل لذلك. فى مقدمة الخطوات التى يمكن أن يتخذها المجلس إعادة تشكيل الحكومة القائمة وتغيير المحافظين.

كيف يمكن القول بأن النظام قد تغير، ومنفذو سياساته مازالوا قائمين، ونظرا لأن عضوية الحزب الوطنى قد ضمت مواطنين كثيرين انضموا إليه ربما تحت ضغوط وظيفية أو إيثارا للسلامة فى ظل نظام سلطوى، فإن الحكومة الجديدة، وإن كان أعضاؤها يمتلكون الخبرة اللازمة فى مجال عملهم، ويتمتعون بالاستقلال فى الرأى والقدرة على الحوار مع المواطنين، فلا ينبغى أن يكون من بينهم من احتل مواقع قيادية فى الحزب الوطنى أو كان عضوا فى لجنة السياسات التى كانت السلم الذى صعد عليه نجل الرئيس السابق فى سعيه لخلافة أبيه فى حكم مصر، أما فيما يتعلق بالقيادات الجامعية والإعلامية، فحتى لا يكون تغييرهم تعبيرا عن روح انتقامية، يجب اتباع الأسلوب الصحيح فى اختيار القيادات، وهو أسلوب الانتخاب تحقيقا للديمقراطية فى هذه المؤسسات، وأن يبدأ ذلك على الفور.

وسوف تتعزز ثقة المواطنين فى المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإنهائه حالة الطوارئ، وإسقاط القيود على الحريات العامة وفى مقدمتها تلك التى تحد من حرية

تشكيل الأحزاب، وكذلك بتوسيع مهام لجنة تعديل الدستور لتشمل تقييد سلطات رئيس الجمهورية، بما فى ذلك المادة 74 التى تسمح للرئيس باتخاذ إجراءات استثنائية فى حالات معينة، وهى ذلك المادة 74 التى استند إليها الرئيس الراحل أنور السادات عندما اتخذ قرارات سبتمبر 1981 المشئومة.

وأخيرا وحتى يؤكد المجلس التزامه بأسلوب الحوار طريقا لاتخاذ القرار، فإنه مما يحقق هذا الهدف تشكيل مجلس استشارى يضم عشر شخصيات أو خمس عشرة

شخصية من الشخصيات ذات الوزن، والخبرة التى تمثل القوى السياسية والتيارات الفكرية الفاعلة فى المجتمع وقيادات المجموعات الشبابية التى دعت إلى ثورة الخامس والعشرين من يناير يستأنس المجلس بآرائها فيما يعنى له ولهم اتخاذه من قرارات لإدارة المرحلة الانتقالية. ألم تعد مصر لنا جميعا, فلنشترك جميعا فى رسم مستقبلها الباسم بجهدنا معا.

117



118

يوم 15 فبراير، وفي الساعة 09:45 صباحا، كُتب تعليق على وول صفحة »كلنا خالد سعيد «على موقع فيس بوك، التي يشرف عليها وائل غنيم، بالغ الشهرة الآن، عن خبر يقول أن الحكومات الأوروبية تتعرض لضغوط لتجميد أرصدة أفراد نظام مبارك الذين أقيلوا حديثا. قال التعليق : »أخبار رائعة ... لا نريد الانتقام من أي شخص ... من حقنا جميعا مسائلة أي شخص أساء إلى هذا الشعب. بالقانون نريد أموال الشعب التي سرقت ... لأنها أموال المصريين، الذين يعيش منهم % 40 تحت خط الفقر« . في الوقت الذي قمت فيه بتفريغ هذا التعليق، بعدها بواحد وعشرين ساعة، كان 5999 شخص قد ضغطوا على» like « وتقريبا 5500تركوا تعليقات. لم أحاول تجشم عناء هذه المهمة الهرقلية، قراءة ما يزيد عن خمسة آلاف تعليق) التي لا شك أن المزيد منها يضاف بينما أكتب) ، ولكن نظرة عامة مطولة نسبيا لم تترك أدنى شك في أن أغلب التعليقات كانت لناس

ضغطت على» « like على صفحة فيس بوك. كانت هناك أيضا تعليقات قليلة من مدافعين عن النظام ومن آخرين لم يحبوا هذا التأليه الذي أحاط بالسيد غنيم. يحمل هذا التعليق الفيس بوكي أعراض هذه اللحظة. الآن وقد سقط نظام مبارك، جاءت للصدارة رغبة ملحة في مسائلة هذا النظام على جرائمه وتحديد المتواطئين معه. كانت الهتافات والأغاني والأشعار التي قيلت في ميدان التحرير دائما ما تحتوي على شيء من الغضب نحو »الحرامية« الذين أفادوا من فساد النظام . الآن توجد قوائم لمؤيدي النظام يتم تداولها في الصحف والمدونات. مبارك وأقرب أقرباءه (ابنيه جمال وعلاء) دائما ما يكونوا على رأس هذه القوائم. تعطي المقالات التي عن ثرواتهم الشخصية أرقاما بحد أدني 3-2 مليار دولار أمريكي وبحد أقصى 70مليار دولار أمريكي (تكرر ظهور الرقم الأعلى على العديد من لافتات المتظاهرين.) يفترض أن أحمد عز، السكرتير العام المقال للحزب الوطني الديمقراطي وأكبر أقطاب الصلب في الشرق الأوسط، لديه 18مليار دولار أمريكي؛ وزهير جرانة، وزير السياحة السابق 13 مليار دولار أمريكي؛ وأحمد المغربي، وزير الإسكان السابق 11مليار دولار أمريكي؛ ووزير الداخلية السابق حبيب العادلي، الذي يكرهه الناس كثيرا لإشرافه على دولة بوليسية ّ بلغت تجاوزاتها ما لا يمكن تصوره، نجح أيضا في جمع 8 مليار دولار أمريكي - ليس سيئا لموظف حكومي كان يعمل طيلة عمره. هذه الأرقام ربما يثبت أنها غير دقيقة. ربما تكون بالغة الانخفاض أو ربما بالغة الارتفاع. وربما لن نعرف أبدا بالتحديد، لأن أغلب هذه الأموال خارج مصر، والحكومات الأجنبية لن تحقق في التعاملات المالية لأعضاء نظام مبارك إلا إذا قدمت لها الحكومة طلبا رسميا بأن تفعل هذا. أيا كانت الأرقام الصحيحة ، ففساد نظام مبارك ليس موضع شك. أقل رقم تم ذكره (في صحيفة نيويورك تايمز) لثروة مبارك الشخصية،» فقط « 3- 2 مليار دولار أمريكي، إدانة كافية لرجل دخل القوات الجوية عام 1950 وعمره 22عاما ليبدأ مهنته التي استمرت ستين عاما في» الحكومة« .

ربما تكون ملاحقة مليارات أتباع النظام نزعة طبيعية لفترة ما بعد مبارك ، ولكنها يمكن أيضا أن تضلل جهود إعادة بناء النظام السياسي. من الواضح أن الجنرالات التي تحكم مصر الآن سعداء بينما يدعون اللوم يلقى على السياسيين. لم تكن أسماءهم في قوائم الأكثر فسادا على نحو فاضح بين أفراد نظام مبارك، رغم أن ،

في الحقيقة ، الرتب الكبيرة في الجيش أفادت طويلا من نظام كان يشبه (وأحيانا تقاطع مع)
هذا الذي كان وراء ثراء شخصيات مدنية أبرز بكثير وفي محل اهتمام الجميع، مثل أحمد عز وحبيب العادلي.
أن تصف الاستغلال الصارخ للنظام السياسي من أجل الكسب الشخصي بالفساد يبدو مثل أن تخطئ إصابة الغابات فتصيب الأشجار. مثل هذا الاستغلال هو بالتأكيد انتهاك ضد المواطنين المصريين، ولكن تسميته بالفساد يشير إلى أن المشكلة تكمن في سلوك منحرف من نظام لولا ذلك كان ليعمل بدون مشاكل.

119

إذا كانت هذه هي الحالة ، إذن يمكن إسناد جرائم نظام مبارك في بساطة للشخصيات السيئة : غير الناس فتنتهي المشاكل. ولكن المشكلة الحقيقية مع النظام لم تكن بالضرورة أن أصحاب المناصب الرفيعة بالحكومة كانوا لصوصا بالمعنى المعتاد. لم يسرقوا بالضرورة مباشرة من خزانة الدولة. في الواقع أنهم اغتنوا من خلال اتحاد السياسة والتجارة تحت قناع الخصخصة . لم يكن هذا انتهاك للنظام بقدر ما كان تجارة بالشكل المعتاد. مصر مبارك ، بإيجاز شديد، كانت، على نحو نموذجي، دولة ليبرالية جديدة.
رغم أن الليبرالية الجديدة الآن مصطلح واسع الاستخدام، فلا يزال من المفيد التوقف لحظة والتفكير عما يعنيه. في كتابه» تاريخ موجز لليبرالية الجديدة « Brief History of Neoliberalismاستعرض عالم الجغرافيا الاجتماعية ديفيد هارفي »نظرية ممارسات سياسية اقتصادية تقترح أن رفاهة الإنسان يمكن الارتقاء بها بأفضل ما يكون عن طريق تحرير الحريات والمهارات الاستثمارية للفرد داخل إطار مؤسسي يتميز بحقوق ملكية خاصة قوية، وأسواق حرة، وتجارة حرة« . الدول الليبرالية الجديدة تضمن، بالقوة إذا لزم الأمر، »العمل المناسب «للأسواق؛ وحيثما لا توجد تلك الأسواق (مثلا، في استخدام الأرض، والماء، والتعليم، والرعاية الصحية، والأمن الاجتماعي، أو التلوث البيئي) ، فينبغي على الدولة أن تخلقها. ضمان قدسية الأسواق يفترض به أن يكون هو حد وظائف الدولة الشرعية، وتدخلات الدولة ينبغي دائما أن تكون في مرتبة أدنى بالنسبة للأسواق. كل سلوك إنساني، وليس فقط إنتاج البضائع والخدمات، يمكن اختزاله

إلى تعاملات سوقية. تصبح الأسواق غاية في حد ذاتها، وحيث أن الوظيفة الشرعية الوحيدة للدول هي الدفاع عن الأسواق ومدها لدوائر جديدة، فالديمقراطية يمكن أن تكون مشكلة بقدر ما يمكن للناس أن تصوت لصالح اختيارات سياسية واقتصادية تعطل التشغيل الذي بلا قيد للأسواق، أو تحفظ مجالات ما من المساعي الإنسانية (التعليم، على سبيل المثال، أو الرعاية الصحية) من منطق الأسواق. من هنا كان يمكن فلسفيا أن يناط بالدولة الليبرالية الجديدة النقية الدفاع عن الأسواق حتى ضد مواطنيها. كأيدولوجيا، لا تقل الليبرالية الجديدة يوتوبية عن الشيوعية. يؤدي تطبيق الليبرالية الجديدة اليوتوبية في العالم الواقعي إلى مجتمعات مشوهة مثلما بالتأكيد فعل تطبيق الشيوعية اليوتوبية.

هناك ملاحظتان صحيحتان عن تاريخ مصر كدولة ليبرالية جديدة.

أولا، مصر مبارك كانت تعتبر في مقدمة من بدأوا السياسات الليبرالية الجديدة في الشرق الأوسط (ليس منافيا للمصادفة، كذلك كانت تونس بن على) .

ثانيا، كانت حقيقة اقتصاد مصر السياسي في عهد مبارك شديدة الاختلاف عن لغة الخطاب، كما كان الحال في كل دول الليبرالية الجديدة الأخرى، من تشيلي إلى إندونيسيا.

نشر عالم السياسة تيموثي ميتشل مقالا كشف الكثير عن صنف الليبرالية الجديدة التي في مصر في كتابه

» حكم الخبراء« Rule of Experts(في الفصل الذي بعنوان »دريم لاند« - المسمى باسم مدينة سكنية بناها أحمد بهجت، أحد أتباع نظام مبارك والذي فقد مصداقيته الآن بسقوط النظام؛ ونشرت نسخة منه ايضا في Merip) . كان خلاصة صورة ميتشل لليبرالية الجديدة لمصر هي أنه بينما كانت مؤسسات مثل صندوق النقد الدولي تشيد بمصر كمنارة لنجاح الأسواق الحرة، كانت الأدوات القياسية لقياس الاقتصاديات تعطي صورة غير مناسبة على نحو فظيع للاقتصاد المصري. في الحقيقة فإن عدم تقييد الأسواق وأجندة الخصخصة تم تطبيقهما على أحسن حال، على نحو متفاوت. كانت الناس الوحيدة التي عملت من أجلها الليبرالية الجديدة في مصر »كما يقول الكتاب« هي أكثر أفراد المجتمع عرضة للتأثر.

ولم تكن خبرتهم مع الليبرالية الجديدة بالصورة الجميلة. تم قمع العمل النقابي في عنف شديد. فرّغت أنظمة التعليم العام والرعاية الصحية من محتواها بمزيج من الإهمال والخصخصة. وعانت الغالبية

120

من الأجور ثابتة أو التي تنخفض نسبيا بالنسبة للتضخم. قدرت البطالة رسميا % 9.4 تقريبا العام الماضي (وأعلى بكثير بالنسبة للشباب الذين تقدموا ثورة الخامس والعشرين من يناير) وقرابة %20 من التعداد يقال أنه يعيش تحت خط الفقر الذي هو 2 دولار أمريكي يوميا لكل شخص.

بالنسبة للأغنياء، كانت القواعد شديدة الاختلاف. لم تقلص مصر كثيرا من قطاعها العام، كما يتطلب الأمر بالنسبة لمذهب الليبرالية الجديدة، حيث أنها أعادت تخصيص الموارد العامة لصالح نخبة صغيرة وثرية بالفعل. أسقطت الخصخصة ثمارا يانعة للأفراد ذوي العلاقات الجيدة سياسيا، الذين أمكنهم أن يشتروا الأصول التي تملكها الدولة بأقل بكثير من قيمتها السوقية، أو يحتكروا ريع الإيجار من مصادر متنوعة مثل السياحة والمساعدات الأجنبية. جاءت نسب ضخمة من الأرباح التي حققتها شركات توفر مواد البناء الأساسية، مثل الصلب والأسمنت، من عقود حكومية، نسبة منها بدورها كانت ترتبط بمعونات من حكومات أجنبية. والأهم من كل ذلك، أن الوظيفة المحدودة جدا للدولة التي يرشحها مذهب الليبرالية الجديدة نظريا كانت مقلوبة على رأسها في الحقيقة. في مصر مبارك كانت التجارة والحكومة مشتبكتين على نحو وثيق لدرجة أنه كان يصعب غالبا على أي مراقب خارجي فصلهما. ولأن العلاقات السياسية كانت الطرق المؤكدة أكثر للأرباح الفلكية، كانت هناك لرجال الأعمال دوافع قوية لشراء مناصب سياسية في الانتخابات المزيفة التي أدارها الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم. أيا كانت المنافسة التي كانت لأجل المقاعد في مجلسي الشعب والشورى فهي حدثت في الأساس بداخل الحزب الوطني. أما تمثيل الأعضاء الذين لا ينتمون للحزب الوطني في البرلمان ، من طرف أحزاب المعارضة، فكان في حزم مسألة الحسابات السياسية التي ُصنعت لانتخابات ما: اترك القليل من المرشحين المستقلين الذين يعرفون بانتسابهم للإخوان المسلمين يدخلون، في 2005(وابدأ إرسال هزات الخوف إلى واشنطن) ؛ وآمر بسيطرة الحزب الوطني كاملة عام

2010 (لإخلاء الطريق لجولة جديدة متوقعة من توزيع الأصول العامة على مستثمرين
» خاصين«) .
كان الاقتصاد السياسي لنظام مبارك تشكله تيارات كثيرة في تاريخ مصر الخاص، ولكن لم تكن خطوطه الواسعة فريدة بأي شكل من الأشكال. يمكن سرد قصص مشابهة في كل أنحاء باقي دول الشرق الأوسط، وأمريكا اللاتينية، وآسيا، وأوروبا، وأفريقيا. في كل مكان تم تجربة الليبرالية الجديدة فيه كانت النتائج متشابهة: الوصول إلى المثال اليوتوبي مستحيل؛ إجراءات رسمية للنشاط الاقتصادي تخفي وجه التفاوتات الهائلة في ثروات الأغنياء والفقراء؛ تصبح النخبة » أسياد الكون «باستخدام القوة للدفاع عن امتيازاتها، والتلاعب بالاقتصاد لمصلحتها، ولكنها لا تعيش أبدا في أي شيء يشبه العوالم المسوقة]حولت إلى أسواق[بشدة والتي يتم فرضها على الفقراء.
ينبغي أن تبدو القصة مألوفة للأمريكيين أيضا. على سبيل المثال، الثروات الهائلة لعضوي وزارة ولاية الرئيس بوش، دونالد رامسفيلد وديك تشيني، من خلال تورطهما في شركات مثل هاليبرتون وجيليد ساينسس ، هي نتاج نظام سياسي يسمح لهما - بشكل يكاد يكون قانوني - بغرس أحد أرجلهما في» التجارة« والأخرى في » الحكومة« إلى نقطة يصبح عندها التمييز بينهما غير واضح. في الولايات المتحدة، يفترض بالسياسيين في المناصب الحكومية أن يبيعوا أسهمهم في الشركات التي قد تخلق تعارضا في المصالح مع مناصبهم السياسية، ولكن هذا أصبح حتى لا يكاد يكون إجراء شكلي في العقود الأخيرة. يتحرك السياسيون من المكتب الحكومي لقاعة اجتماعات مجلس الإدارة إلى منظمة الضغط، ثم يعودوا مرة أخرى. تشيني ورامسفيلد ببساطة رفضا أن يتعاونا مع قواعد تعارُض المصالح، وكلاهما تربّح

121

كثيرا من شركات كانت لها صلات متميزة بالحكومة، وشمل ذلك (في حالة هاليبرتون) عقودا لخدمات عسكرية تم خصخصتها أثناء غزو واحتلال العراق . بينما لا تسمح عقيدة الليبرالية الجديدة بأي دور شرعي للحكومة باستثناء حراسة قدسية الأسواق الحرة، تميز التاريخ الأمريكي الحديث بالخصخصة المنتظمة

للخدمات والموارد التي كانت توفرها أو تسيطر عليها الحكومة في السابق. ولكنه بشكل حتمي، هؤلاء الذين لهم صلات أقرب بالحكومة هم الذين في أفضل الأماكن للتربح من حملات الحكومة لبيع الوظائف التي كانت تقوم بها سابقا. ليس فقط الجمهوريين هم الذين كانوا متورطين في هذا الفساد المنظم. تورط وزير الخزانة روبرت روبن في عهد كلينتون مع سيتي جروب لا يصمد أمام الفحص الدقيق. قدم لورنس سامرز دعما شديد الأهمية لكي يجعل عقود المشتقات المالية خارج السيطرة الحكومية بينما كان وزير الخزانة بوزارة كلينتون، وتربّح كثيرا من الشركات التي تعمل في نفس الممارسات بينما كان يعمل لأوباما (وبالطبع المشتقات المالية المبعدة عن سيطرة الحكومة كانت عنصرا أساسيا في الأزمة المالية التي أدّت إلى إنقاذ مالي فيدرالي ضخم لكامل الصناعة البنكية) .

هكذا، فباللغة المصرية، عندما حاصر أحمد عز، السكرتير العام للحزب الوطني الديمقراطي، سوق الحديد وأعطي عقودا لبناء مشروعات مقاولات عامة - خاصة، أو عندما اشترى وزير البرلمان السابق طلعت مصطفى مساحات شاسعة من الأراضي للمدينة السكنية الراقية »مدينتي « بدون أن يضطر للدخول في عملية مناقصات تنافسية) ولكن مع الاستفادة من الطرق التي توفرها الدولة ومرافق البنية التحتية) ، ربما كانا يمارسان فسادا منطقيا وأخلاقيا. ولكن ما كانا يفعلانه كان أيضا أمريكيا، لا يقل أمريكية عن فطيرة التفاح، على الأقل في غضون العقدين الأخيرين.

على أي حال ، في المناخ الحالي أهم شيء ليس القضاء على أتباع نظام مبارك الذين تم عزلهم. إنه نوعا ما دور الجيش في النظام السياسي . إنه الجيش الذي يحكم الآن الدولة ، وإن كان كسلطة انتقالية ، أو كما يأمل ذلك أغلب المصريين. لا يظهر أي ممثلين للرتب العليا في الجيش المصري على القوائم العديدة لحلفاء النظام القديم الذين تستوجب مساءلتهم. على سبيل المثال، الصفحة الرئيسية للنسخة الورقية من » الأحرار«

، الجريدة الناطقة باسم الحزب الاشتراكي الليبرالي، يوم 17 فبراير كان يزينها العنوان» أرصدة الفاسدين تصل إلى 700 مليار جنية] تقريبا 118 مليار دولار أمريكي[في 18دولة« . ولكن المقال لم يقل كلمة واحدة عن مكان الجيش في ملحمة السرقة تلك. ولكن الجيش كان رغم ذلك جزء من أتباع رأسمالية عهد

مبارك. بعد سنوات مهنة قصيرة نسبيا في الجيش يتم مكافئة الضباط ذي الرتب العالية بمزايا إضافية، مثل مناصب مربحة للغاية في مجالس إدارة المشروعات الإسكانية والمراكز التجارية. بعض منها كانت في الأساس شركات قطاع عام تم تحويلها إلى القطاع العسكري عندما تطلبت برامج التعديل الهيكلي التي أمر بها صندوق النقد الدولي إجراء خفض في القطاع العام المدني. ولكن الجنرالات تتلقى أيضا دخلا ذي قدر من القطاع الخاص. الإنفاق العسكري نفسه كان أيضا مربحا لأنه يشمل كلا ميزانية الدولة وعقود مع الشركات الأمريكية التي قدمت الأجهزة والخبرات الفنية. قدمت الولايات المتحدة الكثير من تمويل هذا الإنفاق تحت شروط تطلبت تدوير قدر كبير من هذا المال لمؤسسات أمريكية، ولكن كل هذه الصفقات تطلبت وسطاء. من يعمل كوسيط لعقود المعونات الأمريكية الأجنبية أفضل من رجال من نفس الجيش الذي يتلقى الخدمات التي تدفع كلفتها من هذه المعونات ؟ في هذا الصدد كان مركّب العسكري -الصناعي المصري مرة أخرى يسرق صفحة من صفحات الكتاب الأمريكي لخطط اللعب؛ بالفعل بقدر ما أفاد الجيش المصري من المعونات الأجنبية الأمريكية بقدر ما كانت مصر جزء من مركّب العسكري -الصناعي الأمريكي، الذي يشتهر بنظام الباب الدوّار خاصته، وتدوير العسكريين المتقاعدين كأعضاء بجماعات الضغط وموظفين متعهدي دفاع.

بناء على هذا، فإنه تقريبا لا يمكن تصور أن جنرالات المجلس الأعلى للقوات المسلحة سوف يسمحون طواعية بأكثر من تغييرات تجميلية في الاقتصاد السياسي لمصر. ولكن يمكن إجبارهم على فعل هذا، على مضض. الجيش قوة غير حادة، ليست مناسبة للسيطرة على حشود المتظاهرين. البيان الأخير للمجلس الأعلى للقوات المسلحة كرر تأكيده على شرعية مطالب الحركات المطالبة بالديمقراطية وضرورة توقف الاحتجاجات حتى ترجع الدولة للعمل مرة أخرى . إذا استمرت المظاهرات إلى نقطة يشعر عندها المجلس الأعلى للقوات المسلحة أنه لم يعد بإمكانه أن يحتملها، عندئذ فإن الجنود الذين سيؤمرون بأن يقمعونها)

 بالفعل، تقول بعض الروايات أنهم بالفعل كانوا قد أمروا بأن يقمعونها في وقت سابق في الثورة ورفضوا أن يفعلوا هذا(بقوة القتل، ليسوا هم الجنرالات الذين

كانوا جزء من فساد عهد مبارك، ولكنهم مجندين. المتظاهرون المطالبون بالديمقراطية والمتعاطفون معهم كثيرا ما يرددون الشعارات» الجيش والشعب إيد واحدة « و»الجيش منا. « كانوا يفكرون في المجندين، وكثير منهم لم يكونوا واعين بمدى الاختلاف التام بين مصالح الجنود والجنرالات.
بين المجندين والجنرالات هناك فريق من الضباط المحترفين ذوي مستوى متوسط كانت ولاءاتهم محل الكثير من التكهنات. الجنرالات، من جانبهم، يريدون أن يحافظوا على امتيازاتهم، ولكن بدون أن يحكموا بشكل مباشر . الحكم المباشر الممتد يترك ضباط المجلس الأعلى للقوات المسلحة عرضة لتحديات من ضباط آخرين تُركوا بالخارج. أيضا الحكم المباشر سيجعل من المستحيل إخفاء أن ضباط النخبة ليسوا في الحقيقة جزء من» الإيد الواحدة «التي تتكون من الشعب والجيش (من المجندين) . إنهم، بدلا من هذا، منطقيا، في نفس معسكر أحمد عز، وصفوت الشريف، وجمال مبارك، وحبيب العادلي - تحديدا، الأسماء على هذه القوائم التي تشكّل حلقات أعضاء النظام وأتباعه الذين يجب أن تتم محاكمتهم.
في النهاية، التخمين المضني لمقدار النقود التي سرقها نظام مبارك وكم يمكن أن يتوقع الناس ضخه ثانية للشعب، لهو أمر يراد به صرف الانتباه عن المسألة الحقيقية. إذا ظهر أن الرقم هو 50 مليار دولار أمريكي أو 500 مليار، لن يهم إذا ظلت مصر دولة ليبرالية جديدة مخصصة (اسميا) لأصولية أسواق حرة ، من أجل الفقراء، بينما هي تخلق أصولا جديدة بعد خصخصتها يمكن أن يعاد تدويرها لسياسيين من الداخل ، من أجل الأغنياء. إذا بحث المرء عن دلائل توحي إلى أي مدى ستعيد ثورة الخامس والعشرين من يناير بناء مصر، سيكون الأجدر بنا أن ننظر إلى مثل هذه المسائل مثل أي نوع من المشورة تلتمسها الحكومة المؤقتة من الجنرالات في تحقيق تفويضها بإعادة تشكيل الحكومة المصرية . فترة الحكومة العسكرية ستكون على الأرجح قصيرة كما أعلن عنها ويتبعها، كما يأمل المرء، حكومة مدنية مؤقتة لفترة محددة ما) على الأقل عامين) سيسمح أثناءها للأحزاب السياسية بالتنظيم على الأرض في استعدادها للانتخابات الحرة. ولكن الحكومات المؤقتة لها طريقة في أن تصبح دائمة . يسمع المرء أحيانا دعوات بتكوين حكومة» تكنوقراط« يمكنها أن تتولي المسائل العملية للحكم. تبدو كلمة

»تكنوقراط « محايدة – الخبير الفني الذي يتخذ قرارات تخص مسألة » علمية. « كثيرا ما كان يطلق المصطلح على يوسف بطرس غالي، على سبيل المثال، وزير المالية السابق، الذي كان واحد من أولاد جمال مبارك، الذين أتى بهم للوزارة عام 2006، على ما يبدو لتمهيد الطريق لابن الرئيس حتى يتولى السلطة. بطرس غالي متهم الآن بتخصيص 450 مليون جنيه مصري لصالح أحمد عز. ذات مرة جلست إلى جوار بطرس غالي في عشاء أثناء إحدى رحلاته بالخارج ، وواتتني الفرصة لسؤاله متى ستكون الحكومة المصرية مستعدة لإجراء انتخابات حرة. كانت إجابته ترديدا لجملة النظام التي ظهر كذبها الآن، بأن الانتخابات مستحيلة لأن الديمقراطية الفعلية سينتج عنها مجيء الإخوان

123

المسلمين للسلطة. من الجائز أن بطرس غالي سيفند تهمة توجيه أموال الدولة على وجه التخصيص لأحمد عز. ولكن حتى إذا ثبتت براءته من أفظع تجاوزات نظام مبارك، فبوصفه مهندس أساسي لبرامج خصخصة مصر، لا يمكن بأية حال القول أنه لم يكن واعيا بأنه كان يسهل نظاما مكّن إمبراطورية حديد عز بينما في نفس الوقت الذي فيه دمر الأنظمة التعليمية وأنظمة الرعاية الصحية في مصر .
المرة الأخيرة التي قابلت فيها كلمة» تكنوقراط« كانت في كتاب نعومي كلاين » مذهب الصدمة «
– The Shock Doctrine اتهاما شديدا لليبرالية الجديدة يقول أن أصولية الأسواق الحرة التي روّج لها عالم الاقتصاد ميلتون فريدمان) والمؤثرة على نحو هائل في الولايات المتحدة) تعتمد على إعادة هيكلة الاقتصاديات في أعقاب تعطيلات كارثية لأن المجتمعات والأنظمة السياسية التي تعمل على نحو طبيعي لن تختارها أبدا. التعطيلات يمكن أن تكون طبيعية أو من صنع الإنسان، مثل ... الثورات. الفصول في »مذهب الصدمة« عن بولندا، وروسيا، وجنوب أفريقيا، تصبح قراءتها أكثر تشويقا في سياق الثورة المصرية. في كل حالة انهارت فيها الحكومات (شيوعية أو تمييزية عنصرية) تم إحضار» التكنوقراط« للمساعدة في إدارة البلاد، التي أصبحت فجأة بدون حكومات، وخلق بنية تحتية مؤسسية لخلفائهم. بدا دائما أن الدواء الذي يصرفه التكنوقراط أحد أشكال ما أطلق عليه كلاين» العلاج بالصدمة« - فرض برامج خصخصة كاسحة قبل أن يفكر الشعب،

المصاب بالدوار، في اختياراته ويصوت ربما لاختيارات أقل نقاء من الناحية الأيديولوجية، وفي صالحه.

آخر موجة كبيرة من الثورات حدثت عام .1989كانت الحكومات التي تنهار وقتئذ شيوعية، وبدا الاستبدال في »لحظة صادمة « لنظام اقتصادي متطرف بنقيضه شيئا متوقعا، ولكثيرين حتى طبيعيا. أحد الأشياء التي ربما تجعل الثورتين التونسية والمصرية هامتين على مستوى العالم هي أنهما حدثتا في دولتين بالفعل من دول الليبرالية الجديدة. فشل الليبرالية الجديدة الكامل في الوصول إلى »رفاهة الإنسانية «بالنسبة لأغلبية كبيرة من المصريين كان أحد الأسباب الرئيسية للثورة - على الأقل بمعنى المساعدة على تجهيز ملايين من الناس لم تكن متصلة بالوسائط الاجتماعية للخروج إلى الشوارع إلى جانب النشطاء المطالبين بالديمقراطية. ولكن ثورة الخامس والعشرين من يناير لا زالت »لحظة صادمة« . حتى من النشطاء الذين قادوا الثورة ، نسمع نداءات بإدخال التكنوقراط. على ما يبدو أنهم يعنون حكومة تسيير أعمال للحفاظ على سير القطارات وسداد الفواتير بينما يمكن تشكيل حكومة . ولكن يتم إخبارنا كل يوم أن الموقف مائع ، وأن هناك فراغ في السلطة في أعقاب ليس فقط الحزب الوطني الديمقراطي الموصوم ولكن أيضا أحزاب المعارضة الشرعية التي فقدت مصداقيتها على نحو كبير ، والتي لم تلعب أي دور أيا كان في ثورة الخامس والعشرين من يناير. ولكن في سياق جماهير مصابة بالدوار واقتصاد يصدر أصوات طقطقة، فالدعوة لحكومة تكنوقراط تبدو بعض الشيء مثل دعوة الثعلب للعودة إلى حظيرة الدجاج. على الأرجح أن الجنرالات سعداء بكل الحديث عن استرداد الأموال التي سرقها النظام، لأن الوجه الآخر من هذه العملة تيار من القلق يرتبط بحالة الاقتصاد. فكرة أن الاقتصاد في حالة انهيار - ابتعاد السائحين، تقويض ثقة المستثمرين، التوظيف في قطاع المقاولات في توقف تام، كثير من الصناعات والمشروعات التجارية تعمل بأقل كثيرا من طاقتها - يمكن أن تكون لحد بعيد هي الأساس المنطقي المتفرد، والأكثر خطورة، لفرض إصلاحات تجميلية تترك العلاقة المغلقة والمستبعدة للدخلاء، بين الحكومة والتجارة، كما هي لم تمس. أو الأسوأ، إذا تركت الحركة المطالبة بالديمقراطية نفسها تتعطل لأجل حكاية » الدمار الاقتصادي «.

يمكن أن توضع هياكل في موضعها الصحيح بواسطة » التكنوقراط «وتحت رعاية الحكومة الانتقالية العسكرية يمكنها أن تهاجم الحكومة المدنية اللاحقة للإسراع في إيقاع الخصخصة فعليا . أصحاب الأيديولوجية،

124

ومن بينهم هؤلاء من صنف الليبرالية الجديدة ، عرضة لنمط تفكير سحري: إذا لم تعمل التعويذة ، فليس الخطأ خطأ الساحر، ولكن الشامان الذي أدى التعويذة . بمعنى آخر، يمكن أن يكون المنطق أنها ليست الليبرالية الجديدة التي دمرت مصر مبارك ، ولكنه التطبيق الخاطئ لليبرالية الجديدة . يتم إطلاق بالونات اختبار لحكاية السحر هذه بالفعل خارج مصر. نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالة بتاريخ 17فبراير 2011 تطرح الجيش بوصفه قوة رجعية تناهض الخصخصة وتسعى للعودة للمذهب الناصري لمركزية الدولة . المقالة تباري بين »الجانب الجيد« في الظاهر لنظام مبارك (برامج الخصخصة) ضد» مركزية الدولة القومية العربية القديمة السيئة « متجاهلة كلية حقيقة أنه بينما ربما يحافظ نظام الامتيازات العسكرية على بعض موارد القطاع العام المحولة من الاقتصاد المدني تحت ضغط برامج التعديل الهيكلي لصندوق النقد الدولي ، فإن إمبراطورية الجنرالات تكاد تقتصر على قطاع عام في حلقة تحوطها السياج، وتقريبا تحت الأرض. كان الضباط يكافئون أيضا بمزايا إضافية بالقطاع الخاص ؛ الإمبراطوريات المدنية السياسية/التجارية مزجت بين الأدوار العامة والخاصة إلى درجة أن ما كان حكوميا وما كان خاصا كان لا يمكن التمييز بينهما؛ كلا الجيش والمدنيين كسبوا كسبا سريعا من الإيجارات في المعونات الأجنبية.

ربما يفضل الجنرالات إلى حد كبير جولة جديدة من سحر الليبرالية الجديدة. المزيد من الخصخصة سوف يحرر من الأصول والإيجارات التي يمكن فقط الذين لديهم علاقات جيدة سياسيا (ويشمل ذلك الجنرالات) أن ينولوها . إصلاح دولة ليبرالية جديدة فاشلة بتطبيقات أكثر صرامة من الليبرالية الجديدة يمكن أن يكون أكثر الطرق التي تأكد لهم الحفاظ على امتيازاتهم. الحل بالليبرالية الجديدة سيكون على أي حال مأساة للحركة المطالبة بالديمقراطية. مطالب المتظاهرين كانت واضحة وسياسية في الأساس: إسقاط النظام، إنهاء قانون الطوارئ, إيقاف تعذيب الدولة، إجراء انتخابات حرة ونزيهة. ولكن كان متضمنا في هذه المطالب

من البداية (وقطعا قبل النهاية) توقع عدالة اجتماعية واقتصادية أكبر. الوسائط الاجتماعية ربما أمكنها أن تساعد على تنظيم نواة لحركة أطاحت في النهاية بمبارك، ولكن عنصر كبير مما أتى بما يكفي من الناس في الشوارع للتغلب في النهاية على قوات أمن الدولة كان التظلمات الاقتصادية، التي هي جوهرية بالنسبية لليبرالية الجديدة. هذه التظلمات لا يمكن اختزالها في الفقر المدقع، لأن الثورات لا يقوم بها أبدا أفقر الفقراء . بل كان الأمر إلحاح احساس بأن بعض المجالات الإنسانية يجب أن تكون خارج منطق الأسواق . مصر مبارك حطت من شأن المدارس والمستشفيات وضمنت أجورا غير متكافئة على نحو فظيع، خاصة في القطاع الخاص الذي لا يكف عن الاتساع . كان هذا ما حول مئات النشطاء المخلصين لملايين من المتظاهرين ذوي العزم . إذا لم ينتج عن ثورة الخامس والعشرين من يناير أكثر من مجرد خفض نفقات الليبرالية الجديدة، أو حتى تكثيفها، فهذه الملايين سيكون قد تم خداعها . يمكن أن يتم خداع بقية العالم أيضا. مصر وتونس هما أول شعبين ينفذا ثورة ناجحة ضد الأنظمة الليبرالية الجديدة. يمكن أن يتعلم الأمريكيون من المصريين . بالفعل، هناك علامات بأنهم بالفعل يتعلمون. أستاذة وسكونسن المتظاهرين ضد محاولات محافظهم بإلغاء الحق في التفاوض الجماعي حملوا لافتات تساوي مبارك بمحافظهم. ربما يمكن للمصريين أن يقولوا لأمريكا » عقبالك !«

125



126

ذعرٌ حول صعود الإسلاميين من فراغ ما بعد التقلبات العربية. هواجس من مغبة وصولهم إلى السلطة هناك وهنالك.

من الخائف ؟ المسيحيون مقذوفون إلى الواجهة، ولا سيما في مصر وسوريا ولبنان. لماذا المسيحيون ؟ الخوف الحقيقي الأكبر هو بين المسلمين المعتدلين والعلمانيين، فهم أكبر المتضررين من حكم الأصولية. أما المسيحيون، ففي مصر اعتادوا الحرمان وفي سوريا الاندماج وفي لبنان » التعايش . «

والواقع أن الموضوع هو عند الإسلاميين أنفسهم، لماذا نحمل همهم وقت يجب أن يحملوا هم هذا الهم ؟ مسؤولياتهم أمامهم، وهي صارخة الوضوح، فليتحملوها. لقد آلت الكفة إليهم. هذا ما أرادوه وما استسلمت إليه الأكثريّات راغبة أو لاهية.

وعلىّ الإسلاميين من المحيط إلى الخليج أن يتعاملوا مع الشعوب والعالم أجمع على أساس أن كل تصرّف يقدمون عليه هو امتحان لإسلامهم. الحكم باسم الدين محكوم بالاشتباه والريبة في كل زمان وكل مكان، ونادراً، بل الأرجح ولا مرّة نجا من الإدانة . بين الإسلاميين، وقُل بين المسلمين عموماً َ ، من يرحب بمنح السلفيين فرصة. والديموقراطيون يقولون: الأكثريّة تريدهم، فلننحنّ للديموقراطية. حسناًّ ، أضف إلى الديموقراطية الحسابات الأميركية والإسرائيلية التي تبني على صعوبة تكيف الأيديولوجيات الإسلامية مع تحديات الحداثة وتُعلق الآمال على تعميق التخلف العربي، فضلاًّ عن إهداء الكيان الإسرائيلي كيانات دينية تُساويّ بين دول الشرق الأوسط في تقاسم التعصب والرجعية ... أضف هذه العوامل ومعها تناقضات المجتمعات العربية القابلة للاشتعال لألف سبب آخر، بل ولأتفه الأسباب ، لا تعود تتبّين َمن يرفض ومن يقبل ومن له قدرة ومن ليس له إلا أن يُدار.

بصرف النظر عن الحيثيات، وعما إذا كان استتب الأمر للإسلاميين أم لا يزال في طور التهيؤ، لنضعهم، نحن غير الإسلاميينّ وغير الأصوليين وغير السلفيين، نحن المتوجسين والمستهولين، لنضعهم أمام مسؤولياتهم وليتحملوها : أيّها الإسلاميون، إخواناً وغير إخوان، أنتم مؤتمنون بعد اليوم على سلامة المختلفين عنكم، أقليات وأكثريّات، وعلى أمنهم النفسي والاقتصادي والاجتماعي والسلوكي وحريّة معتقداتهم وممارساتهم وطقوسهم وحريّة تعبيرهم، وكلٍ شعرة تسقط من رؤوسهم فرادى وجماعات ستكون اتهاماً لإسلامكم.

كلام، صحيح، غير أنّه على وضوح لم يكن متاحاًّ في ظل الأنظمة » العلمانية . «
لقد فظع صدام حسين بالشيعة والأكراد ولم يفتح أحد فمه ، وفظع »الأشباح «
بالأقباط ولم تحمهم مسالمة البابا شنودة ، وفظع
» المجهولون « بالمسيحيين وغير المسيحيين في عراق ما بعد صدام ولم يجرؤ أحد على اعتقال أحد منهم، وجميعهم معروفون، في الموصل على الأقل وفي غيرها تماماً. والآن يُفزّعون مسيحيي سوريا بشبح الإسلاميين ومسيحيي لبنان بشبح الجميع.
وعلى ذكر لبنان، الغائب الأكبر عن أحداث العالم العربي، لن ننسى كيف جلس العرب يستمتعون بانفراد حافظ الأسد في»تربية «اللبنانيين ثلاثين سنة، ثلاثين سنة كان من المأمول، لو مضى لبنان في استكمال انبعاثه منذ الأربعينات والخمسينات والستينات، دون أن تصطاده شبكات الاستخبارات السوريّة، لو تابع نموه بصورة ّ طبيعية لكان اليوم غير ما صار إليه من تزيق وانحدار. كان التوسع في الحريّة كفيلاًّ وحده بحمايته من نفسه ومن جيرانه، وبدفعه إلى استتمام عناصر شخصيته الفذّة القائمة على خليط ّ عجيب من الفولكلور والعالمية، من اللا أخلاق والمثالية، من المركنتيلية والصوفية، ومن المارونية الفرنسية والمارونية الفلاحية والمارونية الكارهة ذاتها، مع إسلام َ يضرب لإسلام العرب والعالم مثَلاً في الفرديّة والألمعية وعدم ممالأة السلطة، إلى مزيج من الطوائف الأخرى لم تعرف ولن تعرف تراباً لها أخصب من تراب لبنان.

127

ما حصل حصل والحاصدة ماضية في الحصد والشعوب في الرقص على أنغام الحواة. تريد أميركا مديرين عامين وقائمقامين محل الطغاة والملوك. رؤساء مجلس إدارة. أليست هذه هي الديموقراطية ؟
راجع خريطة أوروبا الشرقية. حكّام موظفون. بلا وجوه ولا ظلال. لا نجوم بعد اليوم إلا في هوليوود.
... ونضرب شيعة السعوديّة بسنّتها وسنّة البحرين بشيعتها وأهل الخليج بإيران وإيران بإسرائيل وإسرائيل بإيران ودول المغرب ّ ببربرها والبربر بعربها والأردن بفلسطينييه وأوروبا بمسلميها. لقد استراح اليهود، هذه الأقلية المزعومة، بإشعال فتيل العنصريّة والطائفية والمذهبية في نفوس الآخرين الذين راحوا يلعقون دم

بعضهم بعضاً بشراهة الحرب الأهلية، النظريّة والدمويّة، المعروفة" تاريخياً بأنّها »أصدق « الحروب.
أيّها الإسلاميون العرب، لا تتشجعوا بالمثال التركي، أنتم واقعون في فخ أكبر

128



129

هل تبتسم لأنك رأيت الجنة ؟ هل تبتسم لأن الملائكة قالت لك البشارة قبل أن تصعد روحك إلى جوار عرش الرحمن ؟ هل تبتسم لأنك قبل أن تموت رأيت مصر وهى تُبعث من جديد ؟

لماذا تبتسم يا صديقى ؟ لعلك قبل أن يخترق الرصاص جسدك تذكرت نكتة قالها لك الحلاق الذى صنع لك هذه السكسوكة اللطيفة عندما ذهبت إليه ربما يوم الأربعاء 26 يناير، لماذا ذهبت إليه أصلا، هل كان هناك مشروع خطوبة أو مشروع خروجة ؟ ما الذى جعلك تبتسم ؟

هل كنت تهتف »تغيير.. حرية.. عدالة اجتماعية« وعندها تذكرت مفردات مرتبك الذى يفترض أن تعيش به عيشة آدمية كريمة ؟ أم لعلك عندما استقرت بداخلك الرصاصة عرفت أنهم سينشرون صورتك فى الصحف لكى يتعرف أهلك عليك دون أن يدركوا أن أهلك لا يمكن أن يشتروا صحفا لا تخصهم ولا تتحدث عنهم ولا تعنيهم فى شىء، أم أنك تذكرت خطبة لمبارك وهو يقول إن محدودى الدخل فى قلبه وعقله، هل تذكرت أحلامك التى كانت تثير سخرية أصدقائك على القهوة، أم لعلك تذكرت وجه حبيبتك التى حال بينك وبينها الفقر، تسألنى : كيف عرفت أنك فقير ؟

لو لم تكن فقيرا لما دفنوك غريبا وحيدا يا صديقى، لو لم تكن فقيرا لما ابتسمت وأنت ترى الرصاصة قادمة نحوك.

لماذا خرجت إلى الشارع يومها يا صديقى ؟ مم كنت تشكو ؟ لو كان نزولك إلى الشارع صدفة فلماذا لم تبتعد عن المظاهرة إيثارا للسلامة ؟ لو كنت غير معنى

بكل ما حدث فلماذا لم تختبئ طلبا للأمان ؟ لماذا لم تقل لنفسك » وأنا مالى.. إياكش تولع.. ربنا يولى من يصلح.. مش هنلاقى أحسن منه.. ده ريسنا وأبونا وراجل كبير« ؟

لماذا لم تخف على نفسك يا صديقى ؟ وهل وجدت فرصة لكى تنطق بالشهادتين، أم أن آخر كلمة خرجت من فمك كانت »سلمية.. سلمية« ؟ أى الهتافات كان أحب إليك، أيها كان معبرا عنك أكثر ؟ وهل كانت تلك مظاهرتك الأولى والأخيرة ؟.

لماذا أنت صامت يا صديقى ؟ أجبنى، لماذا قتلوك ؟ وأين قتلوك ؟ ومن الذى قتلك ؟ هل قتلك الذى أطلق الرصاص عليك، أم الذى أمره بإطلاق الرصاص عليك ؟. هل تبتسم تلك الابتسامة الساخرة لأنك تصورت أن كل هذه الأسئلة لن يسألها أحد فى وطن يُنسى فيه كل شىء بعد حين ؟

هل تبتسم ساخرا لأنك تدرك أننا قد ننساك مثلما نسينا شهداء ستة وخمسين وسبعة وستين وبحر البقر ومصنع أبو زعبل وتلاتة وسبعين ؟

هل تبتسم لأنك رأيت وجوه الجنود المجهولين وهى تلوح لك وتقول لك تعال إلى حيث النسيان، تعال إلى حيث النكران، تعال إلى حيث مرارة الحياة التى تجعل الشهيد يضحى بدمه لكى يأخذ الأحياء إجازة فى ذكرى رحيله، تعال إلى حيث تُسدل ستائر النسيان على أبشع الجرائم باسم المصالحة والاستقرار والمصلحة العليا، تعال إلى حيث ينسى الصامتون والمتواطئون تلك المقولة الخالدة» افعل ماشئت كما تدين تُدان« .

لا يا صديقى، اطمئن، أنا لن أنساك يا صديقى، أنا وكل الذين خرجوا إلى الشوارع من أجل حريتهم وكرامتهم ومستقبل بلادهم، لن ننساك لأننا سنرى فى وجهك المشرق مصيرا كان ينتظرنا ومستقبلا صنعته لأبنائنا، سنقاوم كل محاولة لمحو ابتسامتك الجميلة من ذاكرة الأجيال القادمة، لن نسمح بأن تذهب تضحياتكم هدرا ولن نترك قاتليك يفلتون من العقاب، ولن نسمح بأن تعود مصر عزبة لأحد أيا كان، لن نسكت على الجهل والنفاق ومسخ الذاكرة وإلباس الحق بالباطل، سنحارب من أجل أن تكون مصر بلدا لكل المصريين لا يفرق بينهم دين ولا مال ولا نسب ولا حسب ولا طائفة، سنعيد إليها مجدها الذى تستحقه، سنبنيها من جديد ولكن على نضافة.

وحتى يتحقق كل ذلك يا صديقى، ومهما رأيت من أحوالنا فى القريب العاجل أو البعيد الآجل، أرجوك لا تجعل تلك الابتسامة تغادر وجهك أبدا، ففى إشراقها وحده سنجد الخلاص، وبفضل سخريتها سنتذكر أن الثائر الحق لا يهدأ أبدا حتى وهو يبنى الأمجاد.

130



131

وضع السيد أوباما أمام العالم قائمة بما يراه » المصالح الجوهرية « لبلاده فى بلادى ومنطقتى، وقائمة بـ»المبادئ الجوهرية« لبلاده التى ستحكم تصرفاتها نحونا، ووصفا للسياسات التى ينوى اتباعها لدفع هذه المصالح الجوهرية فى إطار تلك المبادئ الجوهرية.

ولنترجم ما يصفه الرئيس الأمريكى بـ»المصالح الجوهرية لبلاده فى المنطقة « إلى أثرها على أرض الواقع :

»مكافحة الإرهاب« ورطت (على الأقل) مصر، وسوريا، والأردن، فى برنامج الولايات المتحدة لنقل الشباب المسلم المحتجز تحت شبهة الإرهاب إلى بلاد يتم تعذيبهم فيها على الرغم من القانون، فجعلت من حكومات هذه الدول جلادين أجراء، وكرست ثقافة هيمنة أجهزة الأمن وتوحشها، وهى ذات الثقافة التى تقتل المتظاهرين فى الشوارع السورية اليوم، والتى مازالت تشكل جزءا أساسيا من القوى الفاعلة المضادة للثورة فى مصر .

» الحد من انتشار الأسلحة النووية« يبرز على نحو مستمر نفاق الولايات المتحدة، وجنوحها للكيل بمكيالين ، فبينما يغتال علماء الذرة العرب، وتهدد الولايات المتحدة إيران وتتوعدها، تهنأ إسرائيل بتنمية وتطوير ترسانتها من الأسلحة النووية السرية.

أما »تأمين التدفق الحر للتجارة « فكان يعنى إرغامنا على ابتلاع نوع شديد القسوة من الرأسمالية غير الأمينة ، رشوة الحكومة بتحفيزها لبيع الأصول المملوكة للوطن، وابتزازنا للدخول فى شراكات واتفاقات ضارة بنا.

وبالطبع فقد أدت» مساندة إسرائيل« إلى سرقة الأكثر والأكثر من الأراضى والعقار والمياه والأمل من الفلسطينيين، بينما تلعب مصر دور السجان والوسيط غير الشريف فى القضية الفلسطينية، فتفقد مصداقيتها بل واحترامها لذاتها.

وتحت يد باراك أوباما كل المعلومات التى تشير إليها الكلمات الـ 161أعلاه . فهو يعلم أن تفانى حسنى مبارك فى تحقيق الـ»مصالح الجوهرية « للولايات المتحدة فى المنطقة هو بالضبط ما دفع الملايين المصرية للمطالبة برحيله، وما جعل التحرير يعلنه» عميل أمريكا وإسرائيل«، وما يضعه اليوم فى موضع الحبس والمساءلة.

وليس اللوم كله على أمريكا: كان النظام المصرى ضعيفا أمام الإغراءات ، ثم صار متورطا ، ثم مساهما بشكل فاعل وراغب ، يبحث وينقب بمثابرة وابتكار عما يخدم المصالح الأمريكية الإسرائيلية ، ويدمرنا. لكننا تخلصنا منه ، بثورة سلمية ، مباركة ، حافظت دائما على حدود القانون والإنسانية . تـ خـ لـ صـ نـ ا مـ نــ ه.

فحين يصر السيد أوباما» سنستمر فى القيام بهذه الأشياء «، أى الأشياء الموصوفة عاليه، فهذا ضرب من التحدى، أما حين يضيف » مع إيماننا الراسخ بأن المصالح الأمريكية ليست مضادة لآمال الشعوب، بل هى عامل أساسى لها« ، فهذا تضليل صريح ومهين؛ مهين لكل مواطنى العالم ــ بما فى ذلك الملايين فى أمريكا ــ الذين تاهوا مع ثوراتنا، وحرصوا عليها ورافقوها بالأمل.

وهو ينوى الاستمرار فى »القيام بهذه الأشياء« عن طريق نفس السياسات التى أدت بنا إلى ما نحن عليه: مشروعات وعقود لشركات أمريكية يتم تمويلها عن

طريق تحميل مصر بالديون، ثم الديون، ثم مخططات جديدة من البنك الدولى وصندوق النقد العالمى، ثم زجنا إلى سياسات من شأنها تفضيل مفاهيم الـ»نمو« الاقتصادى، والسوق» الحرة« على التنمية الحقيقية الذاتية المستدامة والقضايا المحورية مثل قضية الأمن الغذائى أو تأمين المياه . ليس هذا ما نريده.

إذا كان السيد أوباما جادا فى زعمه ان أمريكا سوف تساند حق تقرير المصير وحقوق الإنسان فى منطقتنا فها هى قائمة ببعض المبادرات المفيدة التى يمكنه القيام بها:

رفع الحظر الذى تضعه وزارة الخارجية الأمريكية الآن على السفر إلى مصر .

تحفيز سياحة الأمريكيين إلى مصر وتونس عن طريق الإعفاءات الضريبية .

إعفاء الصادرات المصرية (إلى أمريكا) من الجمارك لفترة معلومة.

البحث عن أموالنا المنهوبة والتحفظ عليها لحين تسليمها إلى حكومة مصرية منتخبة.

تنظيم صناعة الـ»أمن« فى أمريكا بحيث لا تسمح بإفراز أمثال إريك برنس، صاحب شركة بلاك ووتر لتوريد الجنود المرتزقة.

وقف جميع المعونات لمصر ولإسرائيل.

سد الثغرات الضريبية التى تشجع المواطنين الأمريكيين على تويل بناء المستوطنات فى إسرائيل.

حث إسرائيل على الكشف عن أنشطتها النووية والتعامل فى هذا المجال بشكل قانونى.

وفى النهاية، فثوراتنا ليست لأمريكا أو بأمريكا أو عن أمريكا. نحن، فى تونس، ومصر، وقريبا فى ليبيا وسوريا واليمن، نبحث عن الأفكار والنظم التى تمكننا من أن ندير بلادنا بما فيه مصلحة ملايينا، ومصلحة العالم. ونرى أن الديمقراطية عامل أساسى فى هذا، لكن الديمقراطية وحدها لا تكفى. نرى النظم الـ»ديمقراطية « تخذل شعوبها، فى بريطانيا، فى الهند، فى الولايات المتحدة، يغرق الملايين فى العوز والدين، وتبدى الدولة المصارف على الجامعات والمستشفيات، وتلوث البيئة وتدمر، ويتحلل المجتمع بروابطه، ويكرس الإعلام منظومة الزيف، وتمر أمامنا منوعات الفضائح الساسية المالية الواحدة تلو الأخرى.

ليس هذا ما نريده. العالم بحاجة إلى ما هو أفضل . وهو ما نعمل هنا ، فى بلادنا ، من أجل استشفافه ،
ثم بلوغه

133



134

في العلوم السياسية، هناك معضلة فلسفية بشأن مبدأ دعم الديمقراطية. وقد نتج عنها مناقشات لا تعد و لا تحصى . المعضلة تكمن في السؤال التالي: هل دعم الديمقراطية يعني تبني أي قرارات تصدر عن الأغلبية حتى لو كانت تلك القرارات تعني تدمير الديمقراطية المشار إليها ؟ أم أنه يعني التأكد من إستمرار العملية الديمقراطية حتى لو كان ذلك على عكس رغبة الأغلبية ؟ إذا ضللت الفرق هنا، دعني أسوق لك مثالا من المنطقة، من الشرق الأوسط. الجزائر 1991 في عام ,1991كانت المحاولة الأولى الحقيقية للقيام بانتخابات ديمقراطية في الجزائر. وقتها ترشح حزب الجبهة الاسلامية للانقاذ على أرضية مفادها أنه لا ديمقراطية في الإسلام، وأنهم بمجرد وصولهم إلى سدة الحكم سيلغون الانتخابات الديمقراطية المستقبلية. وقد كان، صوتت الأغلبية بالفعل لحزب سيوقف العمل بكل أشكال التصويت! ، مما أدي بالجيش أن يلغي الانتخابات على الفور، ما بدوره بدأ حربا أهلية عصفت بالبلد في أتون الفوضى لسنوات عدة. الآن إذا اعدنا طرح السؤال، من كان على حق ؟ هل كنت تدعم فوز حزب الجبهة حتى لو كان ذلك يعني أنه لن تكن هناك إنتخابات ديمقراطية أخرى للأبد، وبالتالي لا ضوابط ولا موازين على حكمهم ؟ أم أنك تعتقد أن إستمرارية الديمقراطية أهم للحياة السياسية والأجيال القادمة لهذا البلد، حتى لو كان ذلك يفسد على الأغلبية الحالية رغبتها ؟ معضلة لطيفة أليس كذلك ؟ لا يكف الناس عن النقاش حولها.
الأن دعني أخبرك لماذا إشتركت في الثورة بالأساس : بجانب التخلص من نظامنا القمعي الحبيب، كل ما أردت من الثورة هو وثيقة الحقوق المصرية، نافذة نهائية

ولا يجوز صرفها أو إيقاف العمل بها أيا كان من بيده السلطة. أردت حق حرية الرأي والتعبير بكل اشكاله (الفني وغيره) ، الحق في التجمع السلمي، حق الحرية الدينية، حق المساواة بين جميع المواطنين في الحق والحريات (بغض النظر عن الجنس، الدين، العرق، النسب، اللغة، الأصل الاجتماعي أو الرأي السياسي,) الحق في المعلومات والشفافية لتبقى حكومتنا دائما تحت الرقابة وقابلة للمحاسبة، الحق في عدم الخضوع للتعذيب أو القسوة أو أي معاملة غير إنسانية، الحق في حماية متساوية من القانون والأمن، الحق في عدم التعرض للاعتقال أو الإحتجاز أو النفي العشوائي، أو إسقاط الجنسية بغير حق، الحق في إن يعتبر المرء بريئا حتى تثبت ادانته، الحق في محاكمة عادلة أمام هيئة قضائية مدنية نزيهة، يتمتع الجميع أمامها بالتمثيل القانوني، وأخيرا الحق في التعليم. من أجل هذه الحقوق خاطرت بحياتي وبدني، وهي ليست بحقوق جديدة أو أفكار مستحدثة، كلها وأكثر منها يمكن الرجوع إليها في الاعلان العالم لحقوق الانسان . عندما تبدأ ثورة، فإنك لا تقوم بها لتستجدي هذه الحقوق، وانما عليك انتزعها عنوة ممن حرموك اياها. تلك الحقوق هي الركيزة لأي مجتمع أو دولة ديمقراطية متقدمة، وهي لا تقبل الجدال أو النقاش، وملعون أنا إن وصل البرلمان احد يمنعني تلك الحقوق أو يفاوضني أو يساومني عليها. معذرة, أنا أريد هذه الحقوق أن تكن جزء من الدستور، بغض النظر عمن ينتخب للحكم. ولا يسمح بأي حال لمن وصل إلى السلطة أن يعبث بتلك الحقوق أو يغيرها، وله كامل الحرية في أن يفعل ما يريد بباقي مواد الدستور. لكن هذا منطقي أنا، ولك أن تتفق معي أو تختلف بقدر ما تشاء. ما أريد مناقشته الآن، هو لماذا يجب أن يخرج الناس إلي مظاهرات 27 مايو. لن اطلب من أن تذهب من أجل مطالبي، مع أن ذلك سيكون بادرة لطيفة، ولا لأجل مطالب المتظاهرين (يعلم الله أن هناك 7قوائم مختلفة من المطالب يتم تداولها حاليا، والبعض سيذهب بدون قائمة واضحة من المطالب الخاصة بهم(، لأن المتظاهرين غير منظمين ومنقسمين ويئسوا من الحديث مع أي حد إلا مع أنفسهم في الوقت الراهن، ولا أطالبك بالذهاب للدفاع عن الثورة. لا، أنا اليوم أريد التحدث إلى الأغلبية الصامتة عما يهمهم: الإقتصاد، الأمن والاستقرار، ولماذا يجب عليهم، أكثر ممن سواهم، أن يذهبوا إلى مظاهرات 27 مايو، لأنه حقا وصدقا إن كانت تلك النقاط الثلاثة أكثر ما يهمك

فاسمح لي إن أخبرك أنك في مأزق شديد، وكما كان الحال أيام مبارك، ليس بسببنا.
عفوا
أعلم أنك ستختلف بشدة، فدعني اطرح عليك حجتي ثم قرر بنفسك، اتفقنا ؟

135

عن الاقتصاد :

الآن السرد المتداول حول الإقتصاد يجري كالتالي: البلد تجاوزت حافة الهاوية، والآن في سقوط حر سريع، كل الاحصائيات تشير إلى كارثة محققة، إحتياطي الغذاء سينفذ بنهاية الشهر، ومتظاهري التحرير مازالوا مختطفين عجلة الانتاج ومحتفظين بها في التحرير مغطاه بأعداد منهم!
اليس هذا مايقولون ؟ حسنا، دعنا نسرد الحقيقة: الحكومة الانتقالية والمجلس العسكري فشلوا خلال 4 أشهر حتى الآن في أن يقدموا لك ما يمكن أن يشبه خطة إقتصادية عاجلة فيما عدا، الجملة الشهيرة، "المظاهرات لا بد أن تتوقف."
وقد دأبوا، بإحصاءات مذهلة، أن يخبروك بمدى المصيبة التي تواجهنا، من دون أن يعطوك مرة خطة عمل واضحة كيف ينوون انقاذنا! (بالمناسبة، أنا لا أري فارقا بين تأكيد طنطاوي لنا أن أمة فقيرة، يعيش فيها 70% تحت خط الفقر وما بين تصريح مبارك الشهير : " احنا بلد موارده محدوده، أأكلكم منين كلكم ؟") .
تغاضى الآن عن قصة " سينفذ مخزوننا الإستراتيجي من القمح بنهاية الشهر" وهي القصة التي ظل المجلس العسكري يرددها الآن لأربعة أشهر، ودعنا نركز على المشكلة الحقيقية:
أين معونة الطواريء - المكونة من مال وكوبونات غذاء - المخصصة لأقل الطبقات في مصر، والتي من المفترض أن تساعدهم خلال الأشهر القادمة حتى الانتخابات ؟
وأين صناديق التحفيز المخصصة لمساعدة الأعمال المتوسطة والصغيرة لعبور الفترة الانتقالية ؟ ماذا ؟ نحن لا نملك أي أموال ؟ هل رأيت ميزانيتنا ؟ لا أحد منكم فعل. أنت لا تدري ما هي مصروفاتنا ومدفوعاتنا، لأننا ممنوعون حتى اليوم من مراجعة حسابات بلادنا.

أين المبادرات الجديدة التي حفزها التحرير نحو تكوين العديد من الشركات الناشئة والمبدعة ؟ ماذا عن السياحة ؟ كيف لا توجد مبادرة حكومية يتيمة لتشجيع السياحة تستفيد من الروح الجميلة التي نشأت في التحرير؟ لماذا لا توجد حفلات تحتفي بالحرية المكتسبة، معارض أو أحداث سياحية ؟ لماذا على سبيل المثال، لا يوجد متحف ل 25يناير، للناس لتحتفل بمصر الجديدة الحرة ؟ هل قام سعادة وزير السياحة المحترم - صاحب مصنع مربى الفراولة سابقا - بتقديم أي مبادرة مثيلة ؟ وماذا عن العقبة الحقيقية في طريق كل الاستثمارات ومشاريع النمو الاقتصادي التي نتمناها أن تبدأ في مصر : الفساد المؤسسي ؟ لماذا لم يعالج أو حتى يشار إليه حتى الآن ؟ ولماذا تروج لخرافة أن رجال الأعمال مستهدفين ؟ إن وجود 7 أو 8 فاسدين منتفعين مقربين للنظام السابق في السجن ليس أبدا بالأمر الذي يحول الدولة إلى كيان ضد الاستثمار ورجال الأعمال، بل ضد الفساد العلني الرهيب.

أنت يا رجل الأعمال الشريف، تريد أن تبرئ ساحتك وألا تنضم إلى من نفوا أنفسهم إختيار يا من ال منصور أو المغربي أو الحمقى الأخرين الذين حولوا مليارات إلى دبي ؟ هاكم فكرة : تجمعوا وإبدأوا مبادرة للحقيقة والمصالحة.

نحن ندرك أن الأغلبية العظمى منكم ليسوا فاسدين، لكنكم كنتم محاطين بثقافة فاسدة لم تكن لتسمح لكم بعمل أي شيء من دون دفع 18 رشوة مختلفة. نحن نفهم ذلك، لأننا جميعا دفعنا مثلكم رشاوي للحصول على أي خدمة عامة بشكل لائق. حسنا، لقد دفعتم رشوي فيما مضى، لكن الآن لحسن الحظ القانون المصري واضح: لو كنت قد دفعت رشوة وقمت بالابلاغ عن الواقعة، سيذهب هو إلى السجن وليس أنت. فلماذا لا توحدون أنفسكم الآن وتقدمن بلاغات رسمية ضد كل من إضطررتم إلى دفع رشوة له من قبل لتخليص أعمالكم، وننظف البلد مرة واحدة وأخيرة ؟ أنتم لن تتحملوا أي مسؤلية قانونية، وفي الوقت ذاته ستقدمون خدمة جليلة للبلد بفضح الفاسدين في كل الوزارات و المحليات و المصالح الحكومية وتطهيرها كلها دفعة وحدة. تخيل ذلك. تطهير كامل من كل المرتشين في كل المصالح الحكومية ، وبأيديكم. ستصبحون أبطالا على الفور، ولن تضطرون مرة أخرى، أبدا، إلى دفع رشوة لضمان سير أعمالكم ! إنه ربح مضاعف! وإن كنتم لازلتم في خوف من المسؤلية القضائية إطلبوا العفو

والحماية، وهذا جزء المصالحة ! أما عن الحكومة، فإن كانت جادة حقا في تطهير البلد من الفساد وتهدئة مجتمع المستثمرين ، كان عليها إقتراح ذلك، لكنهم لم يفعلوا.
يجب عليك أنت إذن أن تطالب بذلك.

<u>عن الامن :</u>

فلنبدأ بأبسط الأسئلة: أين الشرطة بالضبط ؟ هل تعلم أنه غير بعض الوجوه الذي ظهرت في الشوارع لتنظيم المرور ، لم تظهر الشرطة لتؤدي واجبها ؟ هل تعلم إنه ماعدا في الضواحي الأنيقة لوسط القاهرة
(حيث يتجمع ويتحرك معظم الصحفيين الأجانب والإعلام المحلي) لم تظهر الشرطة بعد ؟ وحينما

136

تظهر ترفض التصرف ؟ هل تدري أن هناك محافظات بأكملها لا أثر للشرطة فيها على الإطلاق بعد
الثورة ؟ وأن الناس هناك لا زالوا يحمون أنفسهم بأنفسهم ؟ ولن اتحدث عن حقيقة أنه في حين قتل ما يزيد عن 800 مصري في الثورة، لم يدأن حتى الآن إلا فرد واحد من الشرطة !، وقد حوكم غيابيا لأنه لا يستطيعون العثور عليه، لأن التعسف وجرائم القتل التي ترتكبها الشرطة لا يبدو أنها تضايقك، مع أنهم لا يهتمون ولا يفرقون بين من يقتلون.
لا، لن اتحدث عن ذلك كله، فلنتحدث بالأرقام: الشرطة هي الجهاز الوحيد في الحكم الذي تلقى زيادة في المرتبات، مرتين ومع ذلك لا يذهبون للعمل .! إذا افترضنا مرتباً مبالغ في تحقيره، قل 1000 جنيه لفرد الشرطة (اخذا في الإعتبار تدني مرتب أمناء الشرطة وتضخم مرتبات اللواءات) ، إضرب ذلك في 1.5 مليون فرد شرطة، يكون الناتج 1.5 مليار جنيه مصري، في الشهر، أي حوالي 6 مليارات جنيه مصري في الأربعة أشهر السابقة فقط، نظير عدم قيامهم بعملهم! إذا أخذنا ذلك في الإعتبار جنبا إلى كوننا مفلسين وميزانيتنا تنزف كمان يقولون، فإن صرف هذه الكمية من الأموال على أفراد لم يكونوا يقوموا بعملهم قبل الثورة، وبعدها يرفضون القيام به، بالتأكيد سيبدو لك غير مقبول. أفراد الشرطة يقبضون مرتباتهم ليقوم بعملهم، فإذا كانوا يرفضون القيام به فلا يجب دفع

مرتباتهم حتى يقوموا به، بالإضافة إلى إنه يجب مجازاتهم على ذلك. من ناحية المبدأ، لقد أقسمو قسما على الموت في سبيل تطبيق القانون و الدفاع عنك، وهاهم يحنثون بذاك القسم، وهو ما يقع تحت بند الخيانة. إلى متى تنوي أن تقبل ذلك وأن تتوسل اليهم ليقوموا فقط بعملهم ؟ الى متى ستحتمل ذلك ؟

عن الاستقرار :

الاستقرار يأتي من الشفافية، من فهم ما يجري حولك، وإلى أين تتجه البلاد، وهو ما لا نفهمه. نحن لا نعرف تاريخا لإقامة الانتخابات، عمليا قد يكون أقل من 100يوم، حتى الآن. نحن لا نعرف شيئا عن سياسات الحكومة ولا عما كانت تفعل مختلف الوزارات في الأشهر الأربعة الماضية. لماذا لا يتضح لنا حتى الآن إن كانت حكومتنا تاخذ اجراءات في مواجهة المشاكل التي توجهنا ؟ لماذا ليس هناك تقرير أسبوعي في كل الجرائد عن المواضيع التي تعامل معها المجلس العسكري والحكومة الانتقالية هذا الأسبوع وماذا على أجندتهم للأسبوع المقبل ؟ لماذا يجب علينا أن ننتظر أمام الفيسبوك حتى يصدروا لنا بيانا غامضا وفي بعض الأحيان مناقض تماما لبيان سابق ؟ وبما أننا نتحدث عن ذلك، لماذا سمح لهذا وهذا أو هذا أن يحدث ؟ كيف يكون هناك إستقرار في ضوء ما سابق كله ؟

وسؤالي الأخير، بعد مراجعة كل هذا، كيف يمكنك أن تظل ساكنا ولا تفعل شيئا ؟ كيف لا تكون أنت بنفسك من ينظم مظاهرة الجمعة المقبلة في التحرير؟ لقد كنت مخلصا، لقد كنت إلى جانب المنطق. لقد أثمت مرات ومرات أنك سلبي للغاية، وأنك مبالغ في الرضا، وأنك مفرط في الرغبة في التنازل بلا سبب، وأنك رافض بشدة لترك الكنبة والوقوف من أجل أي شيء. وأنك لست براغب في القتال من أجل مستقبل بلدك التي تحبها ، وقد تقبلت كل ذلك ، واخترعت الحجة بعد الحجة ، لشهور عديدة، ولا شيء بعد .كيف لا تكون غاضبا ؟؟؟

هذه الجمعة، أنا ذاهب إلى التحرير، وللمرة الأخيرة. وأنا ذاهب لأني أؤمن أن مطالبي عادلة ومشروعة. مطالبك ليست أقل شرعية، وحق لك أن تراها نافذة. لذلك، اذا كنت قد ذهبت للتحرير خلال أيام الثورة الثمانية عشر، ثم توقفت بعد ذلك، فالوقت قد حان لتذهب مرة أخرى، و تعلن مطالبك. وإذا لم تكن قد ذهبت قط للتحرير، وكنت جزءا من الأغلبية الصامتة التي لا تبغي شيئا إلا الأمن والاستقرار والإزدهار الاقتصادي ، فإنك، وأكثر من أي أحد آخر، يجب أن تذهب

للتحرير هذه الجمعة، ولمرة أسمعهم صوتك ولا تبق صامتا بعد كل شيء. إذهب مرة واحدة، وخذ معك كل أصدقائك ممن يفكرون مثلك، ولتر إن كان ذلك لن يحقق مطالبك في أقرب وقت ممكن . إن صبرك قد اتخذ من المسلمات، وكل التماساتك وقعت على آذانا صماء على الجانبين. لقد حان الوقت لك أنت أيضا أن تتخذ موقفا.

137



138

هناك من يعتقد فى داخل جهاز الشرطة أنه فى معركة مع الشعب، وهناك من يتصور أنه لن يعود إلى عمله إلا إذا قبل الناس علاقة القهر القديمة نفسها، وإلا فإن الشرطة ستقف مكتوفة الأيدى لن تحاسب مجرماً ولا بلطجياً وستكتفى بالفرجة على كل ما يتعرض له المواطنون.

نعم لقد خرَّب نظام مبارك مؤسسات الدولة، ولكن تخريب الشرطة تجاوز، وبكثير، تخريب باقى المؤسسات لأنها تحملت بمفردها عبء الدفاع عن كل جرائم النظام السابق الذى حول كل ملفات البلاد لجهاز الأمن من تعيين المعيدين فى الجامعات حتى » تعيين المعارضة «، ومن التفاوض مع العمال المضربين حتى التعامل مع الاحتقانات الطائفية.

إن خصوصية نظام مبارك، مقارنة بباقى العهود الجمهورية، لا تعنى فقط أنه كان نظاماً غير ديمقراطى مثل الباقين إنما هو أيضاً نظام أمنى سياسياً، فقد ضم نخبة حاكمة من الموظفين المطيعين ويا حبذا لو كانوا جهلاء وفاسدين، على عكس باقى النظم الجمهورية التى امتلكت مشروعاً سياسياً استقطب قطاعاً واسعاً من الجماهير (كما جرى فى عهد عبدالناصر) ، وبالتالى لم يحتج الأمن إلى محاربة كل الشعب، إنما فقط خصوم النظام من القلة التى غامرت وعارضته سياسيا. أما نظام مبارك الأمنى سياسياًّ فقد حمل الشرطة كل ملفات البلد نتيجة فشله

وخيبته الثقيلة، فأنصار مبارك هم بضع مئات شهدناهم فى ميدان مصطفى محمود، فى حين أن أنصار على عبد الله صالح وبشار الأسد والقذافى هم مئات الألوف، حتى لو كانوا من المستفيدين من النظام أو المغرر بهم. نظام سياسى يبقى رئيسه 30 عاما فى الحكم وشعبيته صفر، يعنى أنه بلا شرعية ولا إنجاز ولا حتى أى قدرة على التواصل مع الناس، فعشنا الفراغ المطلق الذى ملأه جهاز الأمن وورّطه النظام السابق فى كثير من الجرائم.

نعم هناك آلاف من أبناء هذا الجهاز عملوا بشرف وبمهنية وكانوا ضحية مبارك والعادلى، وهؤلاء يجب ألا نشعرهم بأنهم مسؤولون عن جرائم نظام سقط ورئيس مخلوع ووزير مسجون.

الشرطة التى نريدها يجب أن تغير من عقيدتها وتعترف بأخطائها السابقة التي يتحملها نظام وجهاز، وليس كل أفراد الشرطة، حتى لو جاهر بعضهم مكابرة بالعداء للثورة، بدلا من الاعتراف والاعتذار عما تورط فيه قبل الثورة.

نعم الشعب يريد تطهير الشرطة ورفع رواتب صغار الضباط خصما من رواتب الرتب والكروش الكبيرة، ونعم الشعب يريد شرطة تحميه كما فعلت فى أغلب الأوقات، وشرطة مهنية لا تعتقل آلاف المشتبه فيهم بحثا عن مجرم واحد، شرطة يرى الناس رجالها فى الشارع بحزام مربوط وحذاء نظيف ومظهر لائق يمثل دولة محترمة.

لقد أصبح الشرطى فى مصر أضحوكة فى مظهره بين دول العالم، بما فيها البلاد العربية والأفريقية، ونظرة سريعة على مظهر جندى القوات المسلحة ونظيره فى الشرطة سنكتشف الفارق بين مهنية وانضباط الأول وفوضوية وعشوائية الثانى.

نريد رجل شرطة من مظهره يحترمه الناس ومن سلوكه يتعمق هذا الاحترام.



لا تكتمل أي ثورة إلا بتحقيق أهدافها دون نقصان ولا مواربة. وهذه الأهداف لا تقتصر فقط على ما يطلقه الثوار في اللحظات الأخيرة من مطالب وأمنيات وإنما تمتد أيضاً لتشمل كل ما حواه جدول أعمال حركات النضال الوطني طيلة فترة » الاختمار الثوري« . فالثورات لا تقوم فجأة ولا تأتي خلسة، وإنما تمر بفترة مخاض طويلة تتعدد فيها أشكال الكفاح ضد الاستبداد والفساد، ولكنها لا تمتلك القوة الدافعة أو الطوفان الكبير الذي يواكب الثورة سواء على مستوى انخراط جماهير غفيرة في العمل السياسي الرامي مباشرة إلى إحداث تغيير جذري في بنية السلطة وتوجهات الجماعة الوطنية، أو على مستوى اكتمال الأفكار وصفاء المطالب وحدتها التي يرفعها الثائرون عياناً بياناً، وجهاراً نهارا .

والثورة الشعبية المصرية التي نعيش اليوم في رحابها ليست استثناء من هذه القاعدة، التي رسختها الممارسات الإنسانية عبر تاريخ طويل. فالثورة انطوت على طاقة جبارة جعلتها تنجز مهمتها الأولى باقتدار جلي، ولكنها لا تزال بحاجة إلى تجدد» القوة الدافعة« التي تمكنها من إكمال طريقها بنجاح، وهي مسألة يمكن تحقيقها بسهولة حال صدق عزمنا، وتشابكت أيادينا، وتعززت إراداتنا، واقتنعنا اقتناعاً لا يتزعزع بأن ما قمنا من أجله في 25 يناير 2011 يحتاج منا إلى أن نظل واقفين حوله لنرعاه، ونحافظ عليه، وننفخ فيه من أرواحنا فتظل جذوته متوقدة.

وتواصل الثورة لا يتوقف فقط على هذه الرعاية وإنما يتطلب أيضاً اليقظة في مواجهة كل من يريد بها شرّاً، سواء كانوا لصوص الثورات من المتسلقين والانتهازيين والراقصين على الحبال، أو مدبري الثورة المضادة الذين يتحينون أي فرصة ولو ضئيلة ليضربوا الثوار في مقتل، أو ممن يحاولون أن يفرغوا الشحنة الثورية تباعاً حتى تتلاشي تاماً.

والفريق الأخير لا يضم عناصر النظام الذي سقط فحسب، بل يمتد في الوقت نفسه ليشمل أناساً تحمسوا للثورة في بدايتها ثم تراخت عزائمهم بمرور الوقت إما عن قصر نفس أو قلة حيلة وإما عن رضا بالمكاسب الصغيرة واستسلام للحسابات الضيقة والبحث عن المنافع الشخصية.

وحتى نفهم كل هذا جيداً علينا أن نمعن النظر في تجارب ثورية أخرى، لنتلافى ما وقعت فيه من أخطاء، ونتمسك بما ربحته من صواب، وبذلك نستطيع أن نقف

على التدابير اللازمة التي تمكننا من استكمال ثورتنا، دون التفات إلى أصحاب الأحلام المتواضعة، الذين لا يزالون مخلصين للمبدأ الذي يقول :» سكن تسلم«، والذين يعيشون في نشوة تنحي مبارك، ويعتبرون أن غيابه يعني اكتمال الثورة، وانتصارها نصراً أخيراً، وهذه، والله، خدعة كبرى.

ولنبدأ بتجربة تشيلي، حيث خرج نصف مليون مواطن عام 1985 ليقولوا »لا« للديكتاتور، ثم انضم الناس إليهم في ثورة سلمية شارك فيها سبعة ملايين من دون قائد مطلق أو طليعي متفرد، حتى تمكنوا من إسقاط »بينوشيه« عبر انتخابات رفعوا فيها شعار » لا للطاغية تعني نعم للديمقراطية« . لكن الانتقال إلى نظام حكم ديمقراطي لم يتم بين عشية وضحاها، لأن قوة الدفع الثورية لم تحافظ على مستواها زمناً طويلاً، واستسلم الناس لإصلاحات تجميلية وتدريجية، لم تنتج لتشيلي النظام الأمثل حتى هذه اللحظة.

أما ثورة جواتيمالا فتقدم لنا مثلا ناصعاً على كيفية تصرف بعض العسكر عقب استيلائهم على السلطة. وقد بدأت الثورة حين طالب خمسة وأربعون محامياً بعزل القاضي الذي أصدر أحكاماً جائرة على جميع المعارضين السياسيين، ثم طالب مائتا مدرس بزيادة أجورهم، وتوالت المطالب التي تنادي بالحرية والعدل الاجتماعي،

فتصدى لها الجنرال» أوبيكو « بالقمع وإعلان الطوارئ، فواجه الناس قمعه بالعصيان المدني وطالبوه بالتنحي. وفي الأول من يوليو عام 1944 تنازل الدكتاتور عن الحكم لصالح حكومة يترأسها ثلاثة من الجنرالات اتخذوا إجراءات إصلاحية جزئية، ولكن أحدهم حاول أن ينفرد بالحكم فرد عليه الآخر بانقلاب ودخلت البلاد في نفق مظلم وعاشت أياماً عصيبة، ولم يربح الشعب الديمقراطية التي كان يحلم بها لحظة تنحي » أوبيكو . «

وليكن لنا في الثورة البلشفية عبرة وعظة، وهي إن كانت ثورة» جائحة «أدت إلى تغير كبير في العالم بأسره فإن فيها لمحات مفيدة لنا. فالثورة بدأت في 23 فبرايرعام 1917 بمظاهرة نسائية ، وفي اليوم التالي تظاهر مائتا ألف عامل في »بتروغراد «، تلاه إضراب عام ، ثم احتل المتظاهرون الشوارع بمشاركة الجنود ، وتم تكوين »المجالس الثورية« أو » السوفييتات« وتشكلت

حكومة مؤقتة وتنازل القيصر عن الحكم. ولكن آخرين جنوا ثمار الثورة غير الذين بدأوها ، وأقصد البلاشفة الذين استغلوا إخفاق الحكومة في تلبية مطالب الشعب ، فسيطروا على السوفييتات ، وقاموا بانتفاضة مسلحة في 24 أكتوبر 1917 حتى أحكموا قبضتهم على قصر الشتاء ، مقر الحكومة المؤقتة ، وأحلوا محلها حكومة أخرى بقيادة لينين.

وقد توافرت فرصة جيدة للثورة البلشفية لأن تطور مسارها، وترمم شروخها، وترتق ثقوبها، حين طرح « ليو تروتسكي » (1879- 1940) أفكاراً لمشاركة الجماهير في صناعة القرار والحد من النزعة الاستبدادية للقيادات، ولكن ستالين تمكن من التغلب عليه، عقب وفاة لينين، ونفاه عام 1928. وقد انتهت هذه الثورة من الناحية العملية بحلول مارس 1921 إثر سحق تمرد «كرونستاد » ، وهزيمة المعارضة العمالية، وحظر الفصائل المختلفة في الرأي والتوجه، وذلك في مؤتمر الحزب العاشر. إن الثورات الناقصة مقابر للشعوب، وليس أمام أي شعب ثار من طريق سوى استكمال ما بدأه، وإلا دفع ثمناً مضاعفاً لتراخيه أو تكاسله وانفضاضه عن ثورته.

142



143

أيها الجنرال. إذا فاجأتك الثورة لا تفزع . إياك أن تخاف من مشهد ملايين المتظاهرين الغاضبين. اهدأ.. التقط أنفاسك وتمالك نفسك. اعلم أن الثورة حالة استثنائية . لحظة إنسانية نادرة يتصرف فيها الناس بشجاعة ويندفعون إلى الموت دفاعا عن حريتهم وكرامتهم. الثورة استثناء والقاعدة أن الناس يتقبلون الظلم خوفا من القمع أو طمعا فى مصالح صغيرة. الدليل على ذلك أن عدد الثورات

قليل للغاية فى التاريخ الإنسانى.. لقد وضعتك الظروف على قمة السلطة فى أعقاب الثورة فلا تخف من هدير الجماهير الغاضبة فى الطرقات... إنهم أشبه بحيوانات قوية هائجة بلا عقل. أنت المروض الماهر الذى سيتمكن بضربات محسوبة بارعة من السيطرة عليهم وإدخالهم إلى أقفاصهم مرة أخرى... عليك باتباع الخطوات الآتية :

أولا : احتفل بالثورة والعن الديكتاتور المخلوع

يجب أن تعلن إدانتك الكاملة للعصر البائد. أنت بالطبع متعاطف مع الديكتاتور السابق الذى كان رفيقك وصديقك على مدى عقود لكن يجب أن تلعنه على الملأ وتهتف بحياة الثورة.. سوف يصدقك الشعب فورا. لن يفكر أحد فى أنك صاحبت الديكتاتور المخلوع أربعين عاما فلم تعترض مرة واحدة على جرائمه. سيصدقك الناس لأنهم يتمنون لو كنت مؤيدا للثورة والإنسان أقرب إلى تصديق ما يتمنى حدوثه. لا تسرف فى لعن الديكتاتور حتى لا تثير الشكوك. العنه مرة أو مرتين على الأكثر. لكن عليك بالاحتفال الدائم بالثورة. يجب أن يستيقظ المواطنونويناموا على أناشيد الاحتفال بالثورة.. أولا لأنهم سيشعرون بأن الثورة قد نجحت (بالرغم من أنها لم تحقق هدفا واحدا من أهدافها) ثانيا لأن كل ما يحدث فى بلادهم بعد ذلك سيرتبط بالثورة دون سواها...

ثانيا: احتفظ بالنظام القديم كاملا

إياك أن تخضع لمطالب الثوار وتغير شيئا من النظام القديم. ذلك خطأ فاحش. فى البداية سيضغطون عليك بشدة من أجل التغيير. انتظر حتى تصل ضغوطهم إلى ذروتها، ثم قم بتغيير صغير شكلى لا يمس قواعد النظام القديم. ماذا يفعل ربان السفينة إذا شارفت على الغرق ؟.! إنه يلقى إلى البحر ببعض الأشياء الثقيلة حتى تسترد السفينة توازنها.. هذا ما يجب أن تفعله. اختر بعض الشخصيات السياسية المكروهة من الشعب. اقبض عليهم وقدمهم إلى المحاكمة . يجب أن تكون محاكماتهم بطيئة معقدة كثيرة الإجراءات حتى ينسى الناس فى النهاية الغرض منها. اجتمع بهؤلاء المكروهين واشرح لهم أنك لن تتخلى عنهم أبدا. قل لهم إن أحدا لن يؤذيهم وأن محاكماتهم مجرد إجراء سياسى لامتصاص غضب الشعب لا أكثر ولا أقل. اجعلهم ينعمون بحياة مترفة داخل السجن وكأنهم مازالوا يعيشون فى قصورهم. إياك أن تتخلى عن أعضاء النظام القديم. هؤلاء

هم جنودك المخلصون. لو فرطت فيهم لن تجد لهم بديلا وستجد نفسك وحيدا بلا سند أمام شعب غاضب. إن القاضى الفاسد الذى تملى عليه الأحكام بالتليفون ووكيل النيابة الذى يفسد بيده أدلة الاتهام بناء على طلبك والمذيعة الشهيرة التى تتلقى يوميا تعليمات الأمن قبل التصوير وضابط الشرطة الجلاد الذى يعذب ويقتل عشرات الناس دفاعا عن النظام. هذه النماذج نادرة إياك أن تضيعها من يدك.. اجتمع بهم سرا وأكد لهم أن النظام القديم كما هو لم ولن يتغير، ثم أجزل لهم العطاء حتى يتفانوا فى الدفاع عنك.

ثالثا: اترك أحوال البلد تتدهور حتى تصل إلى الحضيض..

يجب أن تفهم كيف حدثت الثورة. لقد كان المجتمع منقسما إلى ثلاثة أقسام : المستفيدون من النظام والثوريون والناس العاديون . الثوريون كان عددهم قليلا وتأثيرهم ضعيفا لأن النظام كان يقمعهم باستمرار. القطاع الأعرض من الشعب كان ينتمى إلى الناس العاديين الذين كانوا متضررين من النظام، لكنهم لا يملكون شجاعة الاعتراض.

لقد حدثت الثورة عندما نجح الثوريون فى إقناع العاديين بالانضمام إليهم. هنا نقطة ضعف الثورة التى يجب أن توجه إليها ضرباتك .. يجب أن تضغط على الناس العاديين حتى يعودوا إلى مقاعد المتفرجين.. يجب

أن تتفاقم الأزمات فى كل مكان. الفلاحون يجب أن تنقطع عنهم مياه الرى ولا يجدوا الأسمدة حتى يفسد المحصول وتبور الأرض .العمال يجب أن يلقى بهم فى الشارع لأن المصانع توقفت. الموظفون يجب أن تتأخر رواتبهم وتلغى العلاوات التى وعدوا بها. يجب أن تختفى الشرطة تماما وتنتشر السرقة والاعتداءات والبلطجة. يجب أن يندس عملاء الأمن بين المتظاهرين ليعطلوا المرافق ويقطعوا خطوط السكك الحديدية. فى الوقت نفسه فإن عملاءك فى الإعلام يجب أن يقودوا حملة منظمة لترويع الناس. يجب أن يضخموا من تأثير الأزمة ويلصقوا كل المشكلات بالثورة حتى تترسخ فى أذهان الناس فكرة أن البلد يقترب من المجاعة والفوضى بسبب الثورة . الثورة وحدها...

رابعا: اضرب وحدة الثوريين وفرق بينهم

اعلم أن الثوريين أعداؤك الحقيقيون . إنهم لا يثقون بك وسوف يدركون أبعاد مؤامرتك منذ اللحظة الأولى. يجب أن تشق صفوفهم. استعن بتقارير الأمن لتفهم اتجاهاتهم الفكرية والسياسية. ستكتشف أنهم مختلفون لكنهم اتحدوا فى الثورة من أجل تغيير النظام... اصطنع قضية ثم قم بإجراء انتخابات أو استفتاء من أجل أن ينقسم الثوريون إلى فريقين. بعد ذلك يجب أن تتحالف سرا مع فريق من الثوريين ضد الفريق الآخر.. من الأفضل دائما أن تتحالف مع الفاشية الدينية ضد القوى الديمقراطية.. الفاشيون حلفاء ممتازون لأنهم لا يؤمنون بالديمقراطية وإنما يستعملونها فقط للوصول إلى السلطة. إنهم يشعرون بأنهم يمتلكون وحدهم الحقيقة الكاملة، وبالتالى يحتقرون المختلفين عنهم ولا يعترفون بحقوقهم . الفاشيون يشبهون جيشا منظما سيضع نفسه بالكامل تحت تصرفك. سوف يسحقون كل من يخالفك وسوف يؤيدون كل ما تفعله أو تقوله مادمت قد وعدتهم بالسلطة. هؤلاء الفاشيون الذين يتحدثون باسم الدين ويحرصون على أداء الصلوات فى أوقاتها سوف يدهشونك بقدرتهم على الكذب والنفاق، سوف ينقضون العهد ويخونون الثورة بنفس البساطة التى تشعل بها أنت سيجارة.. اطلب من الفاشيين أن ينظموا مظاهرات ضخمة من أجل استعراض قوتهم وعندما يشاهد المواطنون تشكيلاتهم العسكرية ووجوههم المتجهمة ويستمعون إلى هتافاتهم العدوانية.. سيصاب الشعب بالفزع وسوف يتساءل كثيرون إن كانت الثورة التى أزاحت الديكتاتور تعتبر عملا صائبا. فى تلك اللحظة لابد أن تظهر مظاهرات مختلفة.. مجموعات أعدتها أجهزة الأمن، يقوم أثرياء النظام القديم بتمويلها وتركز عليها أجهزة الإعلام.. هؤلاء المتظاهرون الجدد يشيدون بالديكتاتور المخلوع ويعتبرونه بطلا عظيما ويبكون أمام الكاميرات وهم يتذكرون ما حاق به من إهانات. هكذا تتحول الثورة إلى وجهة نظر تخالفها وجهة نظر أخرى. إذا نجحت فى تنفيذ هذه الخطوات سيصبح الثوريون محاصرين من كل اتجاه. الفاشيون يتوعدونهم ويعتدون عليهم والناس العاديون يعتبرون أن المظاهرات التى يقومون بها هى السبب فى الأزمة الاقتصادية وانعدام الأمن. عندئذ سيقل عدد الثوريين وسيعودون كما كانوا قبل الثورة.. قلة متحمسة لا يتعاطف الناس معها كثيرا...

خامسا: حاصر الثوريين وشوه سمعتهم..

بعد أن انصرف الناس العاديون عن الثورة وانقلب عليها الفاشيون.. يجب أن تبدأ حملة واسعة منظمة من أجل تشويه سمعة الثوريين.. الأمر من أسهل ما يمكن، فلديك أتباعك فى الإعلام والشرطة والقضاء.. من السهل تلفيق وثائق وصور ومستندات تؤكد أن هؤلاء الثوريين خونة وأنهم عملاء لقوى أجنبية دفعتهم للثورة. يجب أن تسجل عشرات البرامج فى التليفزيون وتعقد عشرات الندوات من أجل مناقشة هذا الأمر الخطير.. هل كانت هذه الثورة وطنية فعلا أم أنها مدبرة من عناصر أجنبية ؟..!

هل انتقمت الدول الاستعمارية من الديكتاتور المخلوع لأنه تمسك دائما باستقلال بلاده..؟ (أنت تعرف أن المخلوع كان خائنا وعميلا لأكثر من جهاز مخابرات لكن للضرورة أحكام(.

فى لحظة مناسبة سوف يعلن المتحدث باسمك أنك أمرت بتحقيق موسع لمعرفة حجم الدور الأجنبى فى التخطيط للثورة ؟..

هل كان هناك أجانب يعطون تعليمات لأشخاص معينين فى أيام الثورة ؟..!

سوف يؤيدك الفاشيون بقوة وسوف يكذبون لتشويه الثوريين لأنهم يريدون أن يتولوا الحكم وحدهم .. سوف يصاب الناس العاديون باضطراب وكثيرون منهم سيصدقون أن هؤلاء الثوريين ما هم إلا عملاء خونة.. سوف تضحك طويلا وأنت ترى شباب الثورة الذين كان ينظر إليهم منذ أسابيع قليلة باعتبارهم أبطالا قوميين تلاحقهم الآن فى كل مكان نظرات الاستهجان واتهامات العمالة..

سادسا: وجه ضربتك القاضية

انتظر حتى تسوء الأحوال الاقتصادية والأمنية بشدة.. عندئذ سيكون الناس العاديون قد انهارت معنوياتهم وبدأوا يكرهون الثورة فعلا.. عندئذ صارح الشعب بأن الأزمة طاحنة وأن الحالة ستزداد سوءا، ثم اطلب من المواطنين أن ينقطعوا عن التظاهر والاعتصامات حتى تهدأ الأحوال وتدور عجلة الإنتاج. بالطبع لن يقبل الثوريون التوقف عن التظاهر.. إنهم الآن يشعرون بأنك خدعتهم وسرقت الثورة.. إنهم يدركون أنك تظاهرت بحماية الثورة لكنك فى الواقع احتويتها وعطلتها عن تحقيق أهدافها.. سينزل الثوريون بأعداد قليلة ويتظاهرون من جديد ويهتفون بسقوطك.. عندئذ ستكون نهايتهم... سيعتدى عليهم الفاشيون بكل شراسة

لرغبتهم فى الحكم. أما الناس العاديون الذين يشعرون بالضياع والإحباط فسوف ينقضون عليهم وهم يلعنون الثورة .. سيحاول الثوريون شرح وجهة نظرهم ولكن دون جدوى . لا أحد يريد أن يسمعهم. الفاشيون يتهمونهم بالخيانة وتنفيذ أجندات أجنبية والناس العاديون يحملونهم مسؤولية الفقر والبطالة والفوضى.. ابعث من يصور لك ما يحدث فى الميادين وعندما ترى الناس العاديين، الذين كانوا يوما ما مستعدين للموت من أجل الثورة، يلعنون الثورة ويضربون الثوريين ويطاردونهم حتى يجلوهم عن الميادين

عندئذ فقط تكون قد أتمت المهمة بنجاح. امنح نفسك إجازة أنت تستحقها. احتفل وافخر بإنجازك .لقد نجحت فى القضاء على الثورة.

ملحوظة : خطرت لى فكرة هذا المقال وأنا أقرأ عن تاريخ الثورات فى جمهورية جزر القمر، وبالتالى لا علاقة للمقال بما يحدث الآن فى مصر بتاتاً. الديمقراطية هى الحل.

146



147

مظاهر كثيرة تدعونا للقلق على مستقبل الثورة وتجعلنا نتساءل:

هل بدأت عقارب الساعة تعود للوراء ؟

هل بدأ ظننا بأن المجلس العسكرى يمكن الوثوق به لاستكمال مسيرة الثورة يتبدد (رغم أن الله حمى به الثورة فى بدايتها وجعله يستجيب لكثير من مطالبها ؟)،

هل سنكون مضطرين لتصديق مقولة أن المجلس العسكرى اضطر لمجاراة الثورة فى بدايتها لأن طوفان الثورة كان لا يمكن الوقوف فى وجهه ثم بدأ

خطوات الرجوع للوراء فى محاولة إعادة إنتاج الماضى بعد أن تم له استيعاب الثورة وإطفاء جذوتها ؟،
ها نحن نعود للطوارئ وللمحاكمات العسكرية للمدنيين،
وها نحن نرى الشهادات عالية المستوى فى محاكمة رأس النظام وكأنها تمهد لبراءة أكابر مجرميها،
وها نحن نعود للوصاية والتدخل والمنع للفضائيات وللصحف،
وها نحن نشهد التعذيب على يد ضباط النظام
وها نحن نتوقف فى مسيرة التطهير بل نرتد بسرعة للوراء إلى حد يمكن معه أن نرى أعضاء لجنة السياسات الذين قامت الثورة فى وجههم يخوضون الانتخابات المقبلة برلمانية وربما رئاسية بعد أن كان من المفروض أن يقدموا للمحاكمات،
لقد توقف قانون العزل السياسى وعاد للأدراج وأعطيت التراخيص لستة أحزاب (على الأقل) يقودها رموز الحزب الوطنى لتخوض الانتخابات بقوائم رسمية كاملة تنافس على ثلثى مقاعد البرلمان بينما الثلث الآخر تم تخصيصه بالكامل لغير المنتمين لأحزاب بما يسهل اختراق المال والعصبيات وفلول النظام ــ فرادى ــ لمعظمه.
مخاوفنا مشروعة لكننا لا نريد لهذه المخاوف أن توقف أحلامنا أو تكسر ثقتنا فى انتصار إرادة الشعوب وتأييد الله لها، مؤكد أن استمرار الضغط الثورى السلمى المسئول (دون انحراف فى الآداء يبرر الإجراءات الاستثنائية) هو أمر مطلوب ومحمود، ومؤكد أن الذهاب دون تأجيل لانتخابات برلمانية ــ وفق قوانين وإجراءات سليمة ــ (لنبدأ أولى خطوات انتقال السلطة من المجلس العسكرى لسلطة مدنية منتخبة) هو أمر مطلوب وعاجل.
بتاريخ 25 سبتمبر صدر إعلان دستورى سرى متضمنا الدعوة لاجراء الانتخابات ، مساء الأربعاء 28 سبتمبر اجتمعت القوى السياسية المصرية فى اجتماع موسع ضم أغلب الأحزاب والقوى الوطنية واتفقت على :
1ــ رفض الطريقة السرية التى صدر بها الإعلان الدستورى الأخير لتحصين نظام انتخابى معيب .
2ــ ضرورة صدور قانون العزل السياسى (وليس تطبيق قانون الغدر السابق) ليتضمن عزل قيادات ورموز ونواب وأمناء الحزب الوطنى عن المشاركة

السياسية فى هذه المرحلة (فالثورة الرحيمة التى لم تعلق لأعدائها المشانق ولم تقدمهم لمحاكمات ثورية ولم تصادر أموالهم ولم تعفهم من وظائفهم لا ينبغى أن تكون ساذجة إلى حد أن تسمح لخصومها بتمثيل الشعب والعودة لصدارة المشهد السياسى بهذه السرعة) .

3 ــ ضرورة تعديل الفقرة الخامسة من قانون الانتخابات لوقف حرمان المنتمين سياسيا وحزبيا من الترشح للمقاعد الفردية، فقد كان مطلب القوى السياسية أن تكون الانتخابات فقط بالقائمة النسبية لمنع تسلل فلول النظام من العودة للبرلمان من خلال المقاعد الفردية، فهل يقبل أن تخصص ثلث مقاعد البرلمان ــ دون منافسة حقيقية من قوى سياسية قادرة على المنافسة فى دوائر واسعة ــ فتترك لتأثير المال والعصبيات ؟.

4ــ ضرورة اعتبار حالة الطوارئ منتهية بانتهاء ستة أشهر على الاستفتاء الذى جرى فى 19 مارس 2011 ووفقا له.

5ــ ضرورة تحديد جدول زمنى محدد: لانعقاد مجلس الشعب عقب انتخابه مباشرة وليس بعد شهرين من انتخابه ــ ولبدء أعمال لجنة تأسيس الدستور بعد انعقاد البرلمان مباشرة وليس خلال ستة أشهر من انعقاده ــ ولبدء انتخابات الرئاسة لإتمام انتقال السلطة فى موعد أقصاه نهاية يونيو 2012.

6ــ مسئولية المجلس الأعلى للقوات المسلحة عن الحالة الأمنية واستقرارها دون اللجوء لإجراءات استثنائية ، وضرورة عودة الشرطة لواجباتها ومسئولياتها عن حفظ الأمن منضبطة فى عملها بإطار القانون والدستور وحقوق الإنسان وتحت الرقابة القضائية والبرلمانية.

148

اتفق المجتمعون على إعطاء مهلة لتنفيذ هذه المطالب حتى يوم الأحد 2 أكتوبر (اقترح البعض مد المهلة للثلاثاء 4أكتوبر(ثم نجتمع ثانية لننظر فى موقف المجلس العسكرى من هذه المطالب وموقف القوى الوطنية إذا لم يستجب المجلس لهذه المطالب. تعجل البعض الحديث عن مقاطعة الانتخابات فى حالة عدم الاستجابة للمطالب، وأظن أن المعادلة الصحيحة هى كيف نفرض الانتخابات فى موعدها (ووفقا لهذه الشروط) دون تأجيل ولا مقاطعة ؟ لأن التأجيل أو المقاطعة يعنيان بقاء المجلس العسكرى فى الحكم ويعنيان عدم انتقال السلطة

لسلطة مدنية منتخبة، وفى كل الأحوال لقد انتهى الزمان الذى كنا نضطر فيه إلى مقاطعة الانتخابات أو الهجرة للخارج وترك البلد لأصحابها وكأننا ضيوف عندهم.

ترى هل سيستجيب المجلس العسكرى أم سنضطر جميعا للعودة إلى الميدان ؟

أتذكر أننا يوم 12 فبراير حين فكرنا فى الخروج من الميدان فتساءل بعضنا (ماذا لو لم تتحقق مطالب الثورة ؟) ، وأجبنا جميعا (إن أعظم إنجازات الثورة أننا فرضنا حق التظاهر والاعتصام السلمى للمطالبة بالحقوق المشروعة ولسوف نعود للميدان متى تطلب الأمر عودتنا) .

وبالفعل حين خرجنا ثم عدنا للميدان معا بعد ذلك أنجزنا (رحيل أحمد شفيق ــ حل الحزب الوطنى ــ حل المجالس المحلية ــ حل أمن الدولة) ، فقط أقول

نحتاج أكثر من أى وقت مضى لوحدة القوى الوطنية،

نحتاج تنسيقا عالى المستوى قبل إعلان أى خطوة،

نحتاج لضغط ثورى مسئول لا ينجر إلى صدامات أو أزمات مصطنعة أو اشتباكات تفسد مسيرة ثورتنا السلمية الرائعة،

نحتاج فقط لرفع المطالب محل الإجماع الوطنى وليست محل الاختلاف والانقسام،

نحتاج لأعلى قدر من الإحساس بالمسؤلية،

نعم قد تفرض علينا العودة للميدان (بهذه الضوابط) كى نحقق مطالبنا العاجلة ثم نستكمل السير فورا للوصول لانتخابات سليمة (بلا تأجيل ولا تعطيل ولا مقاطعة) من أجل الوصول لبرلمان الثورة الذى يبدأ أولى خطوات تسلم السلطة ليستكمل مسيرة الثورة ويلبى مطالبها ويحقق أهدافها. سنعود للميدان إذا فرضت علينا العودة بسبب عدم الاستجابة ، وإن كنا نتمنى أن يستجيب المجلس العسكرى لمطالبنا المشروعة وينحاز للثورة التى تعهد بإنفاذ مطالبها كى تعود معادلة الثورة المصرية لنموذجها الذى تفردت به والذى أراده الله لها فى البداية (الشعب يريد والجيش يستجيب(.

ميدانُ التحرير بدون الفتي مينا

عزت القمحاوي
جريدة الأخبار
١٦-١٠-٢٠١١

150



في موقعة ماسبيرو، وفي كل وقائع عار قتل النفس الثائرة أو الساكنة يظل الضحايا أرقاما، لهذا يأكل الناس ويشربون أمام نشرات الأخبار. ربما يصيبهم الأسي العام والخوف العام من دلالات حادث يخص أوطانهم فيختلف تلقيهم لخبر مصرع خمسة وعشرين في بغداد عن خبر مصرع الرقم نفسه في القاهرة . ولكن عندما يبرز أمامنا وسط هذا الرقم وجه محدد يتحول الحزن إلي شيء مادي نكاد نلمسه ونشم رائحته الظالمة في ألم يعتصر القلب، وغضب يكفي لإحراق كل السفلة. كل القتلة والمدبرين للقتل.

تلقيت أنباء عار التاسع من أكتوبر بعيدا، بكل الألم المفترض من لحظة خسة جاءت في ذيل الاحتفال بنصر أكتوبر. ولكن ورودً اسم **مينا دانيال** شهيدا وضحية ضاعف الألم الشخصي وضاعف الخوف، وكان السؤال: كيف سيكون ميدان التحرير من دون الفتي مينا ؟

لم تكن هناك فرصة لأخاطبه، لكن من قال إن الكلام وحده وسيلة للمعرفة ؟! من قال أصلاً إن الكلام وسيلة للمعرفة في أزمنة الكذب الثوري وتخفي الثعالب في ثياب النواطير؟!

عرفت مينا بالعين وبالقلب الآمل في مصر أخري يمثلها هذا الفتي. نظرت في عينه قبل ثورةً 25يناير، غالبا في وقفة 3يناير بميدان طلعت حرب احتجاجا علي

حادث كنيسة القديسين. وكنا نشم رائحة جهاز الترويع المعروف باسم جهاز الأمن في هذا اللغز. ولم يبدأ التجمع علي الرصيف أمام مكتبة مدبولي حتي التفت طوابير العساكر السود تطوق ميدان طلعت حرب وتضغط باتجاه الرصيف ككماشة لتفريق المحتجين بخشونة أوقعت شيخا كاتبا هو بهاء طاهر علي الأرض، بينما سال الشمع المصهور علي أيدي حاملات وحاملي الشموع.

هكذا، تلعب السلطة بالنار دائما بالنار ونحترق نحن إذا توجهنا إلي كنيسة أو توجهنا إلي ميدان احتجاجا علي تفجير الكنيسة. وفي مناسبات كهذه يتعارف المحروقون بالعيون، يتحابون في الوطن متضامنين من أجل هذه القيمة العليا، لا مصلحة شخصية حملت أحدا من الواقفين علي الحضور باستثناء المخبرين المندسين بالطبع هكذا صار وجه شاب أسمر في عمر ولدي صديقا لروحي . وصرت أعرفه من دون اسم، وبالتالي وبالتأكيد من دون هوية دينية.

وبعد أن عرفت اسمه، شقت الفرحة قلبي مثلما شقتها وسط الخطر ليلة موقعة الجمل، عندما ناداني مناد إخواني من شباب قريتي، فشعرت بينهم بالألفة وبأنني مع ابني في أمان وسط هذه العزوة من بلدياتي. كان وجود هؤلاء الشباب الإخوانيين ووجود مينا وأمثاله من شباب الأقباط في مواقع الاحتجاج مصدرًا للأمل؛ فهذه مصر كلها أجمعت علي التخلص من عبء جثة الرجل الميت المحمول فوق رقبتها.

يختلف مينا عن شباب الإخوان في أنه ليس ملتصقا بقبطيته. هو ثائر مصري اشتراكي، ولكنه يشترك معهم في أن حضوره في الميدان قرار شخصي؛ فلا يخفي علي أحد أن القيادة الروحية للكنيسة لم تكن حاسمة ضد نظام مبارك، ولا يخفي علي أحد أن الحسابات الدقيقة والمعقدة أصبحت جزءا من بنية الإخوان، وهي جماعة قديمة عمرها من عمر الاستبداد الذي جعل وجودها طبيعيا وأسبغ عليها من بركات لعبه.

ومثلما استمر الاستبداد علي حاله استمر الجيل القديم من الإخوان ولم يدركا أن مصر تتغير . وأن الاصطفاف الديني لم يعد مقبولاً، لأن أجيالاً جديدة ولدت واتصلت بالعالم وعرفت أن كرامة الإنسان وحريته لا تعادلها قيمة أخري، وأن الدفاع عن الوطن واجب لأنه جنتنا وليس لأن الدفاع عنه يؤهلنا لدخول الجنة بعد الموت.

سعي مينا مع أبناء جيله من الثائرين الشباب إلي صنع الجنة المصرية الآن، ولكن القوي القديمة لا تري أن هذا هو التوقيت المناسب؛ فمات مينا مع غيره من شهداء ماسبيرو والسفارة والميدان والعمارة.

الجريمة قديمة ومكررة، والتحريض ضد الأقباط قديم ومكرر، وحتي العزاء قديم ومقرف. قنوات الدولة تثير الفتنة ثم تعزي، والقنوات الأخري تعيد الطبطبة الممجوجة عبر حوارات مع بشر في الشارع يؤكدون البديهيات.

»نعيش مع جير اننا المسيحيين وبينهم أعز أصدقائي« هكذا يقول المتحدث فخورًا فنعرف أن هناك مشكلة،

ما أهمية تأكيد البديهي ؟ وما عبقرية أن يعيش المسلم بجوار المسيحي ؟!

151

مدهش ألا يتعلم الإعلام المصري حتي الآن أن جيل مينا لا يعنيه اختلاف الدين في شيء، وأن يتجاهل أن نصف المتظاهرين في ماسبيرو كانوا من المسلمين الجدد الذين لا علاقة لهم بالمسلمين القدامي ولا بالأقباط القدامي الذين انطلت عليهم حيلة جلاد زرع الفرقة بينهم ليستعبد الجميع.

لا دهشة في أن نري المسيحي بجوار المسلم في السكن أو في المظاهرة.

الدهشة كلها في أن نعيش جنبا إلي جنب مع البلطجية وممولي البلطجة من دون أن نجد من يردعهم. أو أن نعيش في ظل حكومة ثورة لا تبدو عليها أية أمارة للثورة. الدهشة في ألا يتعلم القديم أن الزمن قد مر وأن إعادة الرصاصة بعد إطلاقها إلي بيت النار تدبير غبي. وأما دهشتي الشخصية فهي في العودة إلي ميدان تحرير ليس فيه مينا .

152



153

يومان قضيناهما فى المشرحة، يومان مع جثامين تناضل للاحتفاظ بلقب شهيد، تناضل ضد نظام مبارك كله ؛ ليس فقط عسكر مبارك الذين دهسهم، ولا إعلام مبارك الذى سحب منهم لقب شهيد ونعتهم بالقتلة، ولا نيابة مبارك التى تملصت من البحث عن حقهم، بل ناضلت الجثامين لتحتفظ ببهاء يليق بالشهادة فى مشرحة مستشفى حكومى فقير منعدم الإمكانيات. ناضلت ضد خرافات عصر مبارك القائلة إن التشريح تمثيل بحرمة الميت لا انتصارا لحقه، ناضلت ضد سطوة فقهاء وقساوسة السلطان القائلين إن الباحث عن العدالة فى الحياة الدنيا وكأنما تخلى عنها فى الآخرة، ناضلت ضد طائفية مبارك التى تجعل فقير يرى فى فقير مثله عداوة ليلتهى عمن سرق لقمة عيشهما.

يومان برفقة موت رحيم وخجل لا يرحم ، لماذا يا ربى أغلب شهدائنا فقراء ؟ كيف ميزت المدرعة والبندقية ؟ الدم واحد والقبر واحد ومع ذلك خذلنا الشهادة مرة تلو الأخرى.

مصر معجبانية وبتختار أحلانا، ومينا دانيال زين ما اختارت . لولاه ما انتصرنا فى المشرحة.

طوبى للضعفاء

جاءوا للمستشفى بالمئات بحثا عن أجساد جريحة لعلاجها وأجساد مقتولة لدفنها، جاءوا للمستشفى بحثا عن مأوى فى ليلة تجسدت فيها كل مخاوفهم، جاءوا للمستشفى بحثا عمن يشاركهم الغضب، بحثا عن قوة فى العدد. جاءوا كقطيع الكنيسة. وحاصر المستشفى معتدون مدنيون (ربما هم المواطنون الشرفاء الذى يخاطبهم عسكر مبارك ليل نهار) وبتواطؤ من حماة الأمن وحماة الثورة ليؤكدوا لهم ألا انتماء لكم سوى لقطيع الكنيسة.

جئنا نحن نبحث عن رفيق ميداننا، صاحب البسمة الساحرة، **مينا** الذى يشبهنا ونشبهه. اختارت الشهادة مينا لأنه ينتمى لقطيع الميدان والثورة، هكذا فهمت من أسرته التى أصرت أن تشرك زملائه فى كل قرار - لأنهم زملاؤه . ناضل مينا من خلف ستار العالم الآخر لتنفتح قلوب أهالى الشهداء لنا ونصبح رفاق كفاح واحد . فالدم واحد والدمع أيضا واحد، وكما رأينا الحقيقة فى دموع أمهات الشهداء بعد أن افتقدناها فى شاشات التليفزيون رأوا الحقيقة فى دموعنا . فهموا أننا رفاق مينا ونسوا أن يسألونا عن أسامينا بالريبة المعتادة. أصدر المستشفى تقريره على

نهج ماسبيرو: ماتوا بسكتة قلبية، أو كانت مشاجرة ؟ تقدم القساوسة بنصيحتهم : لندفنهم سريعا فالجو حار والمشرحة بلا ثلاجات. تدخلنا نحن بغرور الميدان وسذاجته:

ماذا عن العدالة ؟ ماذا عن القصاص ؟ هؤلاء آخر فرصة لإثبات الجرم، نحتاج لتقرير طب شرعى.

أى خبل هذا، أنمثل بأجساد أبنائنا بحثا عن عدالة لم نرها ولا مرة ؟ ولا حتى مصادفة ؟ أى عدالة ونحن فقراء ؟ أى عدالة ونحن أقباط ؟ أى عدالة والقاتل يحكم ؟ ألا تفهمون أننا ضعفاء ؟

لكن بين صفوفنا مينا، وكانت أخته أول من وافق على التشريح، وبدأوا يقتنعون الواحد تلو الآخر، على مضض وتحت إلحاحنا وتشجيع الحقوقيين، ساعات من البكاء والنقاش والأحضان . نحارب الزمن خلالها بألواح ثلج ومراوح بائسة عسى أن تكون محبتنا كافية للحفاظ على طهارة الجثامين.

بمطلع نهار اليوم الثانى جاءت النيابة لتجد نصف الأهالى يطالب بالتشريح، فأصدر سيادة القاضى فرمانه: إما أن يصدر تصاريح دفن أو تكليف للطب الشرعى، أليس الكل فى الموت سواء ؟ وطبعا لم يبخل القساوسة بنصائحهم: رفاقهم سيصلى عليهم . سيدنا بعد وقت وجيز، لو تأخرتم يكون قد رجع إلى قلايته، ارحموا أبناءكم فجزاؤهم فى الجنة كبير .

وقفنا صفا واحدا على جبهة صراع مع النظام، لكن هذه المرة الجبهة فى العقل، وخط النار على القلوب. وكما انهزم النظام أمام صفوف الهتاف وصفوف الطوب، انهزم أمام صفوف التضامن. بعد سجال طويل أصدرت النيابة أمر بتشريح كل الجثامين.. بشرط أن نؤمن نحن عمل لجنة الطب الشرعى.

نعم، بدأ الأمر بأننا مسئولون عن تأمين تظاهراتنا، ثم تطور لنصبح مسئولين عن تأمين المنشآت العامة، وها نحن اليوم مسئولون عن تأمين موظفى الدولة إن أردنا أن تتصرف الدولة وكأنها دولة. لم نشغل نفسنا بسؤال» وما دور الشرطة والجيش «، فالإجابة واضحة على أجساد الشهداء.

قلنا للأهالى التشريح سيطول، دعونا ننقل الجثامين لمشرحة زينهم حيث الإمكانيات أفضل. عاد الخوف إلى عيونهم؛ صحيح نقل مينا لهم عدوى الإيمان

بمصر، لكن ماكينة الإشاعات لم تتوقف عن العمل وعصابات الشرفاء لم تتوقف عن ترويع الجمع طوال الليل . لم يقولوها صراحة إكراما لنا لكننا فهمنا: لن نترك الحى القبطى، فنحن لا ندرى أى شر ينتظرنا خارجه. كان علينا إذن أن نؤمن المستشفى، ونضمن للجنة ظروفا مناسبة للعمل. كان علينا أن نخلى المبنى من آلاف خائفة، ونضبط سلوك آلاف غاضبة . وما نحن إلا قلة دخيلة . كان علينا، ويا للمفارقة، أن نقوم بدور يشبه دور الأمن المركزى . جبهة جديدة ولا نملك إلا وحدة صفنا. بدأت اللجنة عملها تحت حمايتنا، وتحت إشراف محامينا وأطبائنا، جنودنا المجهولين الذين خبروا كل مظاهر الظلم فأصبحوا أعلم بشواهد القتل والتعذيب وقرائن الجرائم والمذابح من خبراء الطب الشرعى. باشرت اللجنة عملها وكلنا قلق أن يدخل أحد الأهالى ويرى المشرط فى جسد ابنه فيهيج، أو أن تنهار صفوفنا أمام هجوم الشرفاء أو غضب المنكوبين.

مملكتى ليست من هذا العالم

تقلق وحدة صفنا كل المستفيدين، وأخطرهم تجار القضية، حلوا علينا بسمهم المعسول: أتثق فى تلك المحامية ؟ دى شابة ومش عارفة حاجة.. أنا عندى خبرة طويلة، ومين دول ؟ دول كلهم مسلمين، تأمن لهم إزاى ؟ لقد حذرتنا من شهور يا مينا عندما قلت لنا: ضرورى ينضم ماسبيرو للتحرير، ضرورى مطالب الأقباط تبقى مطالب الشعب ومطالب الشعب تبقى مطالب الأقباط. والاختبار صعب يا مينا، فالسلطة غشيمة تضرب بعشوائية، أما هؤلاء فيعرفون موضع الجرح بدقة. قضينا باقى اليوم نحارب شائعاتهم الكاذبة واتهاماتهم الباطلة. نعيد كسب ثقة الجمع ونعيد له هدوءه. قمنا بدور تصورنا فى البداية أنه شبيه بدور الأمن المركزى، لكن شتان، لن أفهم أبدا بعد اليوم كيف يتصور أى جهاز أمنى فى أى مكان فى العالم أن العنف وسيلة فعالة فى ضبط سلوك جماهير غاضبة أو خائفة، من الذى أشار على كل حكومات الأرض أن النزول بسلاح فى مواجهة جماهير سيهدئهم ؟ لم نملك سلاحا أمام موجات الغضب إلا الأحضان، رمينا أجسادنا أمام الجموع وبالحضن وبدموع تبكى الشهداء استطعنا أن نبدد ضلالات واقع طائفى عسكرى وننشر حقيقة حلم مصر الحرة.

يا مينا، مصر الميدان هشة ممكن رصاصة واحدة طائشة تطيح بها..

يا مينا، مصر الميدان قوية ممكن حضن واحد ينقذها..

يا مينا، فى حضرتك فهمت تعاليم الأنبياء، متى يفهم العسكر ؟
عندما بدأت لجنة الطب الشرعى عملها تذمر الخبراء من نقص الإمكانيات، من سوء الظروف، من فرض رقباء عليهم، ولكن فى النهاية فرض عليها أن تقوم بعملها. عندما قاربت اللجنة على الانتهاء من التشريح وبدأت فى كتابة أسباب الوفاة فجر أحدهم إشاعة أن التقارير كاذبة، ولأن أسباب الوفاة قد تذكر جرحا واحدا
فقط هو القاتل حتى لو كان بالجسد عشرات الجروح صدق أهالى الشهداء وهاج الجمع وانهارت صفوفنا. ونحن على شفا الانتصار واجهنا أصعب محنة، الأهالى آمنت بحلم العدالة، وتركتنا نعبث بأجساد أبنائها، وفاتها كرامة أن يصلى عليهم سيدنا بل وقد يتأخر الدفن لليلة أخرى، ضحوا بكل ما طلبنا منهم أن يضحوا به رغم ترددهم فى البداية، والآن يريدون ضمانا، يريدون أن يحسوا بتلك العدالة، ونحن نقدم لهم كلاما تقنيا وكعابيل قانونية غير مفهومة. لماذا يقول التقرير دهس بمركبة ثقيلة ؟ الحق بين وكلنا نعلم أنها مدرعة، لماذا لا يقول مدرعة ؟ ما هذا المقذوف النارى ؟ لماذا لم تكتبوا »رصاص ميرى؟ «، ألم تعدونى بعدالة ؟ أين اسم الجانى وكلنا نعرفه ؟
لم أع متى انتصرنا، فقد كنا غارقين فى تفاصيل التفاصيل، لكن فى لحظة نظرت حولى فوجدت وحدة صفنا صارت تشمل العاملين فى المستشفى والأطباء والقساوسة. ماذا فعلت يا مينا ؟ هل أيقظ ضعف ورقة حال أهلك ضميرهم أم أيقظت قوتك خيالهم ؟ هل تخطينا كل تلك الحواجز فى ساعات فعلا ؟ بل انضم لنا أطباء الطب الشرعى أيضا، كان الحل الوحيد هو أن نجلس مع كل أسرة على حدة، نشرح معنى أسباب الوفاة،

والتفاصيل التى ستضاف لتقرير الطب الشرعى، ودور النيابة، ودور المحامين .
وانتقلت العدوى للطبيب الشرعى وتحول من مجرد موظف إلى مشرف على العدالة، ربما عندما اضطر أن يترجم لغة تقارير اعتاد ألا يقرأها إلا الأقوياء إلى لغة الضعفاء تذكر أن الحق دائما مع الضعفاء ؟ رأيتهم يصفون ملامح الشهداء للأهل ليطمئنوهم أنهم ليسوا مجرد جثث، ليثبتوا أنهم يعرفونهم ويهمهم ذكراهم. رأيت ما استشهدت أنت من أجله يتحقق ولو للحظة.

فى طريقنا للكنيسة كان انتصارنا كاملا، لم يعد أحد يسأل عن اسم من شارك فى حمل الشهداء، ومن قاد الهتاف، هل كان مسلما من اقترح أن نهتف »يا نجيب حقهم يا نموت زيهم «؟ يا له من سؤال سخيف. الدم واحد والدمع أيضا واحد.

فأدر له الخد الأيسر

قبل المستشفى القبطى كنا فى مستشفى آخر بعيدا عن الأحداث، ننتظر صورة أشعة على قدم أحمد المصاب برصاص حى. وجدنا أحمد فى شارع طلعت حرب، كان يحاول مع رفاقه إنقاذ الوطن بالعودة لميدان التحرير. لم يكن قد مر على سقوط الشهداء إلا ساعات معدودة، لم يفكر الشباب فى موازين القوة، هل عددهم يكفى أم لا، ما العمل والقوات غير المسلحة (وفقا للمؤتر الصحفى العالمى) تطلق الرصاص بسخاء. فكروا فقط فى هول ما سيحدث إن تُرك الميدان لمظاهرة المرتزقة التى انطلقت بمباركة الجيش والشرطة تهتف» إسلامية إسلامية« . كنا جميعا نعلم أنها مظاهرة مفتعلة، محاولة لصبغ مذبحة عسكرية بصبغة أهلية وإلصاق التهمة بالسلفيين.

بدا لنا أحمد كبطل أسطورى وهو يقاوم زملاءه رافضا الذهاب إلى مستشفى متعللا بأن الجرح خفيف وأكيد الطلق مجرد خرطوش . أقنعناه أن نذهب لمستشفى خاص بعيد عن الأحداث وحملناه على أكتافنا. فى التاكسى حكى لنا أنه اعتقل وذاق تعذيب الجيش الذى لا يخطئ وجرب » نزاهة « قضائه العسكرى ، حكى لنا عن إصابته فى موقعة الغدر بالعباسية. لم تمنعه الإصابات من النزول مجددا فى مواجهة الرصاص. فى المستشفى بعد أن اكتشفنا أنه مصاب برصاص حى لا خرطوش حل علينا ضابط مباحث لاستجوابه، أبهرتنا صلابة أحمد وهو يرد على الضابط بكل برود وتحد، وأبهرنا أكثر اشمئزازه من تعليق ضابط المباحث» مسلم يعنى« عندما سأل عن اسمه. هل كان سيمنعه من العودة إلى بيته لو كان مسيحيا مثلا ؟

لم يتبين لنا أن أحمد ضعيف مثلنا إلا من بكائه فى حضننا عندما طهر الطبيب جرحه، ولم ننتبه إلى أنه فتى فى سن الثانوى إلا وهو يرد بخوف على والدته فى المحمول: » ماسبيرو إيه بس يا ماما، لا أنا خارج مع أصحابى. «

هل يعرف اللواء حمدى بدين أن بين صفوفنا من يخاف والدته الحنون أكثر مما يخاف الرصاص والمدرعات ؟

هل سمع المشير هتافنا » يا مشير يا مشير من التحرير هنزف عريس« ونحن نصحب مينا فى زيارته الأخيرة للميدان ؟
هل يفهم أى من العسكر معنى زيارة أم خالد سعيد لأم مينا دانيال ؟
أم أنهم نسوا الدم والدمع والحضن والحلم ولم يعد لهم مكان فى صفوفنا حتى بعد أن اتسعت لتشمل من خذلونا من قبل ؟

156



157

تمتلك وتدير القوات المسلحة المصرية (حسب مصادر أجنبية) حوالى 40 % من ثروة مصر الإجمالية. كما أنها قد طورت عبر العقود الماضية علاقات شراكة مع مؤسسات محلية وإقليمية حتى باتت مؤسسة إقتصادية عملاقة بكل المقاييس، ويكفى السير فى أى مكان عبر القطر المصرى من شماله إلى جنوبه لترى حجم الأراضى المملوكة للقوات المسلحة. وهو أمر أصبح عاديا للمصريين رغم أنه غير عادى على الإطلاق.
ومنذ رحيل مبارك بقرار من المؤسسة العسكرية لإنقاذ النظام السياسى والاقتصادى القائم , قام المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية بالاتفاق مع القوى الدولية على خطوط حمراء لن يتخطاها فيما يتعلق بسياسات مصر الدولية، مع التأكيد على أننا سوف نستمر فى نفس السياسات الاقتصادية التى فرضها علينا البنك الدولى وصندوق النقد الدولى، فضمن بذلك تأييد العالم الأول له . وهذا ما نراه اليوم من تأييد غير مشروط للمجلس من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.
كما أقام المجلس علاقات واتفاقات مع القوى السياسية المصرية من شأنها تحقيق قدر من المكاسب السياسية لهذه القوى، وفى نفس الوقت تنفيذ

إستراتيجية المجلس لشكل الدولة المصرية القادمة التى هى استمرار لنفس دولة مبارك مع بعض التعديلات الطفيفة.
ثم أقام اتفاقا خاصا مع تنظيم الإخوان المسلمين جعل منهم حليفا استراتيجيا له. واستمرت العلاقة بينهما منذ شهر فبراير إلى الآن على أحسن حال مع تفجير قضايا خلافية وهمية لإعطاء انطباع أن السمن والعسل به بعض نقاط الطحينة.
كما أقام المجلس علاقات ممتازة مع القوى الإقليمية خاصة الرجعية منها كالمملكة العربية السعودية.
واليوم تخرج قلة مندسة تطالب هؤلاء بالتخلى عن السلطة وعن إدارة المرحلة الانتقالية. ماذا يجب أن يكون رد فعل هذا المجلس ؟ ضعوا أنفسكم فى أماكنهم. كل شىء متفق عليه. الانتخابات قادمة ومضمونة النتائج لتشكيل برلمان على هوى المجلس الأعلى للقوات المسلحة وعلى هوى القوى السياسية المصرية التقليدية. المستعمر الأمريكى راض تاما عن هذه الخطوات. القوى المالية المهيمنة على الكون هى أيضا راضية وسعيدة. القوى الإقليمية راضية. فما لكم أنتم يا قلة يا مندسة بكل هذه الترتيبات ؟
نعم كان من الخطأ استخدام العنف المفرط. أظنهم يعترفون بهذا الآن. لأنهم وضعوا شركاءهم من القوى السياسية التقليدية فى أزمة، وكذلك أصدقاؤهم الدوليون. ويجب الآن إيجاد حلول بديلة فورا :
- الترويج لأكذوبة جميلة اسمها » حكومة إنقاذ وطنى« عبر كل الوسائط الإعلامية. وبالفعل تم الأمر بصورة جيدة أقنعت نسبة لا بأس بها من المصريين غير المشاركين فى الحراك الثورى. ثم دمج فكرتى حكومة إنقاذ وطنى ومجلس رئاسى على أساس أنهما شىء واحد. على الرغم من وضوح الفارق الشاسع بينهما.
الأولى حكومة سوف تأتى كبديل عن حكومة سابقة ولكن نضع لها اسم »إنقاذ وطنى « ليبدو الأمر لمن لا يعرف وكأنهم سوف يأتون بالذئب من ذنبه.
أما الثانية فمجلس رئاسى سوف يحل محل المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى إدارة المرحلة الانتقالية والتى تمت إدارتها بصورة كارثية حتى الآن.
- محاولة التعتيم التام على قضية المجلس الرئاسى وإذا تم فتح الموضوع بالخطأ فيتم مواجهته بقضية التهجم على المؤسسة العسكرية الوطنية باعتبارها الراعى

الرسمى للثورة وللوطن ، ثم تتم مواجهة الفكرة بعدم وجود معايير لاختيار مثل هذا المجلس. وكأن الحركة الثورية والمجتمع المدنى سوف يعجزان عن تحديد معايير موضوعية للاختيار .

- الحديث عن المرشحين للرئاسة باعتبارهم قوى بشرية مهمة وخطيرة يمكنها التدخل لإنقاذ الموقف المتأزم. على الرغم من أن هؤلاء لا صفة لهم على الإطلاق فإنهم قرروا أنهم سوف يرشحون أنفسهم ــ إن شاء الله ــ عندما يحين الوقت. بمعنى أن أى مصرى كان يمكنه، ويمكنه حتى الآن أن يعلن أنه مرشح محتمل للرئاسة. وذلك لأن الكثير من هؤلاء هم جزء من النظام القديم بشكل أو بآخر.

- السيطرة على الإعلام بالترويج لأفكار مؤداها أن هؤلاء المطالبين بالتغيير هم قلة مندسة وممولة من جهات خارجية)على الرغم من أن جميع الجهات الخارجية المؤثرة تدعم المجلس العسكرى والإخوان المسلمين(.

- وكما برع تنظيم الإخوان المسلمين فى تطوير كتائب للجهاد على الإنترنت لشتم أى شخص يمس الذات العلية لهذا التنظيم عبر الوسائط المتعددة فى الفضاء الإلكترونى ، فقد نشطت خلال الشهور الماضية كتائب لمهاجمة من تسول له نفسه نقد أداء المجلس العسكرى. وقد تكون هى نفس الكتائب الجهادية لتنظيم الإخوان.

- الاضطرار إلى تقديم مزيد من التنازلات لحليفهم الاستراتيجى الاخوان المسلمين حتى يساندوهم فى هذه الأزمة. وهؤلاء أثبتوا للجميع فى الأيام الماضية أنهم خير حليف.

- محاولة إيجاد حلول مبتكرة لهذه الحكومة المسماة بمنقذة الوطن حتى يتم تمريرها. على الرغم من وضوح مدى فداحة الكذبة.

- العزف على فكرة أن الانتخابات هى الحل لكل الأزمات. بدأ العزف فى البيت الأبيض منذ أسبوع وتكرر صدى العزف لدينا من جوقة المجلس والإخوان والقوى السياسية التقليدية.

- طرح نكتة الاستفتاء على شرعية المجلس أو شرعية المتظاهرين وكأن الثورات وحركات التغيير تقوم بها نسبة تفوق الخمسين فى المائة من الشعب، وهو الأمر الذى رد عليه الشعب المصرى بمنتهى الحكمة. جهد لا بأس به.

هل سوف ينجحون فى تخطى أزمتهم الراهنة بدعم المجتمع الدولى والقوى السياسية الهرمة ؟
ولكن ضعوا أنفسكم فى أماكنهم.
هل يمكن التضحية بما يمتلكون ؟
هل يمكن التضحية بعلاقاتهم مع القوى السياسية والاقتصادية الدولية والإقليمية ؟
هل يمكن أن يتصوروا أن هؤلاء المتظاهرين يمتلكون رؤية أفضل منهم ومن زعماء السياسة المصرية الذين يجلسون معهم على موائد المفاوضات فيما يتعلق بمستقبل مصر؟
صحيح أنهم قتلوا بعض» الضحايا « (حسب توصيف المشير)
صحيح أنهم فقأوا بعض العيون،
صحيح أنهم ما زالوا يلقون بقنابل غاز تكاد تدخل فى خطورتها للحرب الكيماوية.
ولكن كل ذلك لغرض نبيل هو إنقاذ مصر من هذه الشرذمة المطالبة بالتغيير وبإسقاط نظام مات بالفعل.
أنا حقيقة متعاطف تاما مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة (عندما وضعت نفسى فى مكانهم) ولكننى أود أن أقول لهم إنهم يسيرون عكس حركة التاريخ.
وأن هؤلاء الذين يتظاهرون فى شوارع مصر مطالبين بنظام جديد، وبمجلس رئاسى يدير المرحلة الانتقالية بصورة شفافة، وبتأجيل الانتخابات التى سوف تكون مهزلة حقيقية لو تمت، (وعلى أى حال لو تمت سوف يتم الطعن فى صحتها مستقبلا لأن الثغرات القانونية فيها أكثر من أن تعد) هؤلاء الثوار سوف يفرضون ما يريدون فى النهاية. ولو لم يفرضوه هذه المرة فسوف يفرضونه فى الموجة الثالثة من الثورة أو الموجة الرابعة أو السابعة. فالثورة المصرية هى ثورة فى سيكولوجية أمة. ثورة غيرت فى مفاهيم الحركة والفعل، أنبتت منهجية جديدة فى التفكير. سوف ننتظر على الأرجح قليلا حتى يتم فرز قوى سياسية تمتلك القدرة على الحديث باسم الثورة. ولكن إلى هذا الحين سوف تستمر حركات الاحتجاج رافضة ما يحاك ضدها من رجال عصر انقضى زمنهم.
أما اليوم فأنا أطالب القوى المدنية (تلك الجمعيات التى أدت دورا مهما فى مجال حقوق الإنسان، وفى مجال مراقبة الانتخابات وفى مجال نقد المرحلة الانتقالية وتحليلها) أن تأخذ خطوة إلى الأمام وتقدم مشروعا واضحا لمجلس

رئاسى يدير المرحلة المقبلة، ويوضح المشروع كيفية ومعايير اختيار هذا المجلس وطريقة عمله. على المجتمع المدنى أن يأخذ اليوم مسئولياته فى يده. أعرف أن السياسة هى فن الممكن وليست فن المستحيل.
ولكن فى الثورات يتداخل الممكن مع المستحيل.
فى الثورات كل شىء ممكن لو أراده الشعب

159



160

فى أعوام ما قبل ثورة يناير، كان كل شىء فى مصر يمضى عشوائيا، غير أن الأمر الوحيد الذى كان يتم بخطة واضحة هو مشروع التوريث. كان مروجوه يحسبونها باللفتة والكلمة وتشويحة الذراع ونظرة العين ونوع ال» ـتى شيرت« الذى يرتديه جمال مبارك، وأوقات الاختفاء والظهور، وأدوار الوالدة وزكريا عزمى، وأحمد عز وشريف صبرى وروبى، إلخ .
ويقول خبراء تحدثت إليهم » المصرى اليوم« إن كل شىء بقيادة المجلس العسكرى يمضى بالبركة وبقوة الدفع، إلا مشروع تبريد الثورة الذى تعاونه فيه الأجهزة القومية لجمع وتحليل وتصنيف المعلومات وهو مشروع يكاد يصل من فرط همة العمل فيه إلى مستوى الدخول فى دائرة الانقلاب على الثورة لا مجرد تبريدها.
ويلاحظ الخبراء أن ثمة توجها بزغ تلقائيا منذ 28 يناير ليلا من أجهزة الدولة- أو ما بقى متماسكا منها- لتهدئة الثورة حرصا على الدولة أو بحجة الحرص عليها، غير أن خيوطه أخذت تتجمع فى النهاية، فى يد دوائر عليا عسكرية ومخابراتية ومعلوماتية، رغم ما بينها من تناقضات، وراحت تشكل مخططا متكاملا لتبريد الحدث الثورى خوفا على النظام الذى خططوا لإقامته ليرث نظام مبارك قبل أن

يكون حرصا على الدولة أو ادعاء بالحرص عليها، وتحويله- أى الحدث - إلى مجرد مكعبات ثلج تستخدم كضمادات عند اللزوم.
كانت البداية التبريدية كما يرصد خبراء هى: قراءة الفاتحة على أرواح الشهداء فى اجتماع نائب الرئيس **عمر سليمان** بأقطاب المعارضة والقوى السياسية والشباب ، وهو الأمر الذى تكرر فى مجلس وزراء الفريق **أحمد شفيق** ثم تتويجه بمشهد أداء التحية العسكرية لأرواح الشهداء من **اللواء الفنجرى**. كان من الواضح أنها حركة امتصاص » تبريد« ولسبب بسيط فإن هؤلاء الثلاثة رجال دولة وأبناء تقليديون لنظام يوليو ولا يتفق عقلا القول بأنهم ممن يؤمن كلية بثورة شباب تطلب نظاماً جديدا , ويرى هؤلاء الخبراء أنه اتساقا مع هدف تبريد الثورة لم يتم التحقيق فى محاولة اغتيال عمر سليمان مع أن هناك من ردد علنا أنها تمت على أيدى عناصر من » القصر« كانت تخاف مع تعيين سليمان ، نائبا ، أن يفلت منها كنز كان وشيكا ، وأنه عن قصد تم دفن موضوع قناصة التحرير رغم أن هناك من زعم علنا أن أشقاء العناصر السابقة هم الذين شكلوها ولنفس الغرض. أيضا تم دفن ملفات حرق أقسام الشرطة واقتحام السجون مع أن هناك من قال ويقول علنا إن لدى جهات سيادية بالصوت والصورة ما يدين أطرافا- بعضها يتمسح بالدين - بأخطر الجرائم لتورطها فى تلك الأحداث، لكن الأجهزة ضربت صفحا عن ذلك بسبب توازنات اقتضتها الظروف العصيبة التى مرت بها البلاد من جهة ، ووجود قوى دولية تدفع باتجاه أن يتولى الحكم إسلاميون
- أصدقاء للناتو على درب قطر- من جهة أخرى، وكل ذلك جعل التحالف يتساهل مع تلك الأمور ويختار عدم الاصطدام من أجل إنجاح التبريد. يهدف مخطط التبريد فى صورته الأولى كما يقول الخبراء إلى أن » تصفصف« الثورة فى أفضل السيناريوهات على:
-1إزاحة مبارك وولده ، لأن التوريث خروج سافر على النظام الذى أرساه ثوار يوليو، وهو النظام الذى يعتمد على هيمنة الجيش على مقدرات القرار السياسى .
-2تعديلات مناسبة فى كامب ديفيد لأنها أرهقت القيادات العسكرية وطنياً ومهنياً بما فيها من قيود على السيادة وعلى حركة القوات فى سيناء، وكذا على القرار المصرى عموما.

-3إبعاد رجال الأعمال عن المحيط السياسى، لأن قيادة المجلس العسكرى كما هو معروف تعتبر أن ذلك كان خطيئة، وبالتوازى إدخال » الإسلاميين« إلى الساحة مجاراة لترتيبات دولية وإقليمية ولدواع محلية.
-4إضفاء لمسة تجديدية على نظام يوليو يسهل معها القول بأن هذا ما كان قد ورد أصلا فى المبدأ السادس » إقامة حياة ديمقراطية سليمة« عبر قبول تقييد مدة الرئيس وإجراء انتخابات تعددية.

161

هذا هو السقف الذى توافق عليه تحالف التبريد وهو فى حد ذاته معقول، وإن كان كما هو ظاهر يختلف عما يريده الثوار الباحثون عن نظام جديد وعصرى، يحترم الكفاءة والحرية والكرامة الإنسانية والمواطنة، وينظر إلى العدالة بمنظور مختلف .

كما أن تعقيدات خارجية وداخلية جعلت المشهد يتحول إلى الدراما الفاجعة التى نراها، بحيث اشتعلت خطة التبريد ذاتها . وتلوثت أياد فى قياداتها بالدم والنار .
يقول الخبراء إن »الأعلى« ينكر دائما ارتكابه كل عنف وكل فعل يخاصم أو يعادى ثورة يناير، وهو فى ذلك يشبه» أبطال « معركة الجمل من الحزب الوطنى ونفيهم التهمة، ومبعث الاستغراب من النفى ليس أن هناك دليلا مخفيا على تورط هؤلاء، ولكن لأن العقل يقول إن أركان النظام السابق لابد أن تكون قد فكرت وخططت شيئا ما للدفاع عنه، حيث لا يتصور أحد أن يتأزم الموقف فى التحرير وميادين المحافظات مع المطالبة بسقوط النظام، وأن يقف فتحى سرور وأبوالعينين والشريف وعزمى وغيرهم ليتفرجوا، ومع الفارق فإن أى عاقل لابد أن يخمن أن فى دماغ الجيش والمؤسسات السيادية المهمة تصوراً محدداً للنظام الذى يريدونه، وبديهى أنه يختلف عن تصور الشباب، فخلفية كل طرف مختلفة.
وكما يشير من تحدثنا إليهم فإن ما زاد من سوء نتائج منهج العسكرى أن لديه مشكلة فى معسكره تتمثل فى أن القوتين الأمنيتين الرئيسيتين فى تحالف تبريد الثورة واللتين لهما خبرة بالعمل السياسى لا تعملان بالذمة الواجبة، رغم أن لهما مصالح مهنية واجتماعية مؤكدة فى التبريد.
أيضا كما يقول العارفون فإن مبارك حرص دوما- وكما روى مرة أحد رؤساء هيئة الاستعلامات- على

» توقيع « قيادة الجيش فى قيادة الأمن القومى ليستريح هو فى مقعده ، وأدى ذلك إلى نتيجة حالية هى عدم
انخراط الأمن القومى بكل قوته فى العمل ، كما أن الأمن الوطنى أمن الدولة سابقاً - لديه مرارة الشعور بأن اقتحامه كان يمكن ألا يتم لو حرص الجيش على ذلك ، وفى ظل غياب العمل بالقوة الكاملة من تلك الجهتين، كثر الحديث عن مخططات خارجية- ولا يمكن نكران وجود مخططات بالفعل، فمصر ليست دولة مما تترك فى حالها- غير أن أحداً لم يقدم دليلا محترما على ذلك، ما جعل حديث المخططات مثيراً للسخرية.
وتقول مصادر مطلعة إن وثائق الأمن الوطنى كلها ترقد حاليا ومنذ اقتحام أمن الدولة لدى جهة سيادية خاصة، وفيها ملفات عن عسكريين وأحزاب ووسائل إعلام وقوى سياسية شرعية ومحظورة - باللغة القديمة - لكن الغريب أن تصرفات المجلس العسكرى لا يبين منها أن لديه معلومات كافية أو صحيحة فى أغلب ما يعالجه من ملفات أى أنه لم يستخدم ما لديه أو حتى يصوبه. ولأن الجهتين المشار إليهما لا تشاركان بحماس فى الأنشطة الميدانية من خطة التبريد كما أوضحنا فقد استعان قادة فى »العسكرى « مع ذراعهم المعلوماتية والتحريات العسكرية، بخبراء مباحث جنائية كبديل- من هنا جاء اتهام »الأعلى« بالاستعانة ببلطجية، فالجنائيون هم من يعرفونهم جيداً- وزادت الاستعانة بالجنائيين كلما أخفق الأعلى فى معركة من المعارك، ونحن نعرف أن »الأعلى « فشل فى معركة الدفاع عن دور سياسى للجيش فى المستقبل، مع أن أغلبية الناس تقبل ذلك، وفشل فى تأمين السرية لجوانب من موازنته وغالبية الناس تقبل مناقشة ذلك، وفشل فى معركة مبادئ حاكمة للدستور مع منطقيتها، ومعركة معايير تشكيل جمعية تأسيسية مع ضرورتها، ومعركة حق المجلس وحده- باعتباره رئيس الدولة- فى تشكيل الحكومة بعد الانتخابات مع أن الإعلان الدستورى الذى باركه حلفاؤه الإسلاميون قبلا ينص على ذلك .
وبعد كل فشل كان المجلس يضاعف من ارتباكه ما أوصلنا إلى الوضع المعقد الحالى، ووصل الارتباك حد ترويع البيوت والناس قبل الثوار من رقصة دم كبرى ستحدث يوم 25 يناير المقبل، فى نفس الوقت الذى كان فيه الجنزورى يستحث

المستثمرين الأجانب على القدوم، حتى إن صحفيا أجنبيا قال له: من هو العاقل الذى يأتى إلى دولة يقول قادتها إنها ستحترق بعد أيام ؟

162

يؤكد الخبراء أن أجهزة المعلومات راكمت على مدار 50 عاما تصورات ورؤى معينة عن الدولة وإدارتها وقواها وتوازناتها غير أن ما حدث منذ يناير جعلها تنسى ما كان بينها من تنافسات وتناقضات وتصطف

- إلى حد ما - دفاعا عن الدولة التى تؤمن بها والتى شاركت هى فى صنعها وتستميت فى تبريد الموقف على الأقل، ريثما تتاح لها فرصة تغيير خططها، بحيث تضمن استمرار أدوارها ومكانتها، غير أن الملاحظ أنها تفاجأت بعامل لم يكن فى حسبان الجميع وهو أن تلك الأجهزة مهددة بأن تزاح كلية لتحل محلها أجهزة أخرى ذات طابع أيديولوجى، مختلفة عما هو قائم ويفترض أنه وطنى مهنى فقط، وذلك بسبب الصعود الصاروخى لقوى الإسلام السياسى والذى قد تغريه قوته بالسعى إلى تأسيس أجهزة تشبه نموذج حماس والسودان وربما جيش أيديولوجى أيضا.

ومع ما مضى فإن الأجهزة والجيش لم تبذل أى جهد فى الدفاع عن طبيعتها الوطنية المهنية وكأن لديها جميعا ضمانات بأن الأمور لن تصل إلى هذا الحد أو كأن تعودها الانحراف- إلى حد ما- عن الطابع المهنى الوطنى والاقتراب من الحزب الوطنى فى السنوات الأخيرة أضعف مناعتها ضد »تحزيب« الأجهزة السيادية مع أن تلك مصيبة كبرى.

وحسب مصادر موثوقة، تمت مؤخراً الاستعانة بقيادات سابقة ذات ثقل كانت تعمل بأجهزة المعلومات لمواجهة الموقف الراهن، وبعضهم كان قد بادر من نفسه بدافع وطنى وبحكم الانتماء لتلك المؤسسات لتقديم النصح لمنع انهيار تلك الكيانات وخوفا من تعرض الدولة لهزات عنيفة. وساعد هؤلاء مؤخرا فى بلورة مشروع توجه يستوعب فوز الإسلاميين بالأغلبية البرلمانية من ناحية ويضمن أن يقوموا فقط بدور حزب حاكم وضابط فى الشارع وفى المواقع التنفيذية الخدمية، مع الدفاع عن النظام مقابل منافع مادية ومعنوية ولو فى شكل مختلف عما كان يحدث مع الحزب الوطنى الحاكم. الخبراء السابقون هؤلاء بالذات - كما علمت- هم الذين اقترحوا أن يقوم المشير بدعوة البرلمان الجديد إلى الانعقاد يوم 23 يناير أى قبل 25 يناير بيومين ليكون النواب خط دفاع ضد أى أفعال عنف أو

احتجاج محتدم من الثوار من ناحية، وليتذكر النواب الإسلاميون أيضا أنهم ليسوا الوحيدين فى الساحة حين يرون أن وجودهم فى البرلمان ليس هو مصدر القوة الوحيد فيخففوا ضغطهم على المجلس الأعلى من ناحية أخرى.

أخيرا فإن خطة التبريد هى التى أطلقت الدكتور كمال الجنزورى من مكمنه، وكان قد تم حجزه بعيدا عن الأضواء ليكون مرشح الجيش للرئاسة فى الوقت المناسب، وتم تقديمه تحت ضغط أحداث محمد محمود، ورهانا على قربه من الناس العادية، حيث يريد »الأعلى« أن يجتذب جماهير تسانده لينتفع بطاقتها إذا جاءت ساعة احتكاك خشن بالإخوان والسلفيين، كما أن مجىء المجلس الاستشارى- وهو محصلة عدة تفاعلات - ساعد هو الآخر على تهيئة ظرف أفضل لإنجاح خطة التبريد مع تنازلات من العسكرى الذى رأى بأم عينيه أن الدماء المهدرة فى ماسبيرو ومحمد محمود ومجلس الوزراء ستطيح بالخطة وبمخططيها تماما.

الحياة تسير وما زال المطبخ المعلوماتى يعمل، وما زالت مطالب الثورة بعيدة عن التحقق، ومازال الشباب يعلن التحدى .

163



164

»هو الحكومة إيه غير ناس معاها سلاح ؟ إحنا ناس أكتر ومعانا سلاح أكتر«.!
بهذه البساطة والبلاغة عبر أحد أصدقائى من سوهاج عن جوهر النظرة الندية للمجتمع فى الصعيد إلى الدولة، هذه َ الدولة الحديثة التى عرَفها عالم الاجتماع الألمانى الشهير ماكس فيبر تعريفا قريبا من تعريف صديقى بأنها) المؤسسة الاجتماعية التى تحتكر العنف(، ولأن المجتمع فى الصعيد مازال محتفظا بكثير من

أسباب قوته الداخلية، كالروابط العائلية العشائرية الواسعة، والاعتزاز بحمل السلاح، والحرص الشديد على حفظ الكرامة، واعتبار إهانة الفرد إهانة للمجموع... إلخ ، مازال المجتمع يحتفظ بقوة يمكنها التفاوض مع قوة الدولة، لا الخضوع الدائم المستكين لها.

أفكر فى هذا بينما أسمع مرارا من أصدقائى فى القاهرة، وأحيانا من أصدقائى فى مدينة أسيوط التى لا تختلف كثيرا عن القاهرة الحديث باستنكار شديد عن هؤلاء (المتخلفين) الذين يجب أن تخضعهم الدولة بفرض كامل سيطرتها وإرادتها بكل حزم وشدة، حدث هذا أثناء مظاهرات واعتصام قنا رفضا للمحافظ، وتكرر مؤخرا بعد مظاهرات رفض التزوير لعبد الرحيم الغول فى الانتخابات.

أفكر فى أنه لماذا يعتبر الجميع أن الدولة الحديثة هى الإجابة الأصوب دائما ؟ من قال إنه ليس لها عيوب قد لا تقل عن عيوب الحفاظ على قوة المجتمع التقليدي ؟ ينقل اللبنانى محسن عامر فى سياق حديثه عن سر صمود حزب الله قول الكاتب الكندى من أصل إيرانى داريوش رجالى: يجب ألا نتصور أن كل ما هو حديث يصبح ـ بالتعريف ـ أكثر فعالية ونجاعة مما هو تقليدى.

يقارن داريوش بين حروب إيران قبل (النظام الجديد) وبعده، والنظام الجديد هو اسم مشروع تحديث الدولة على النمط الأوروبى، قبل النظام الجديد كان الشاه يواجه عدوا خارجيا فيحشد جيشا يشبه كرنفالا من القوميات، كل مقاطعة ترسل رجالها: من الصحراء فرسان البختيار مرهوبو الجانب، ومن الجبال ينزل أغوات الأكراد على رأس رجالهم، ومن الشرق مقاتلو البلوش الأشداء والقبائل المحاربة الأفغانية. إذا هزم جيش الشاه كانت هذه الأقوام تعود ببساطة إلى ديارها النائية، حيث تخوض حربا واسعة النطاق طويلة الأمد تمنع العدو ـ حتى لو احتل العاصمة ـ من تحقيق أى سيطرة حقيقية على البلاد، فضلا عن فرض الضرائب عليها أو استغلال مواردها . لكن بعد تطبيق (النظام الجديد) صار على بريطانيا أو روسيا، ببساطة، أن تهزم جيش الشاه فى معركة فاصلة ـ تستغرق دقائق أو ساعات ـ وتحتل العاصمة، فتستعمر البلاد بالكامل !

فى ضوء هذا نفهم لماذا كان دائما الصعيد ـ الأقل تحديثا ـ هو الأكثر مقاومة وصمودا، منذ الحملة الفرنسية التى بمجرد هزيمتها جيش المماليك فى موقعة إمبابة دخلت القاهرة بلا مقاومة تذكر، وتوغلت حتى بنى سويف حيث بدأت

مقاومة الأهالى العنيفة بدعم من تنظيم مراد بك، واستمرت مقاومة الصعيد عشرة أشهر حتى صالح الفرنسيين مراد بك على أن يظل هو حاكم المنطقة مقابل أن يدفع لهم ضريبة، أى أن الاحتلال الفرنسى فى الواقع اقتصر على شمال مصر فقط. لكن قدوم محمد على بعدها بمشروعه لإنشاء (الدولة الحديثة) على النمط الغربى أدى لتفكيك هذا المجتمع عبر احتكار الدولة لوسائل الإنتاج وهى الأراضى الزراعية هنا، واحتكارها للقوة عبر إدخال نظام التجنيد الإجبارى للمرة الأولى وقصر حمل السلاح على القوات النظامية فقط، لذلك لم يكن عجيبا أن يتمكن الإنجليز بعدها من غزو مصر كلها بلا مقاومة بمجرد هزيمتهم لجيش عرابى فى التل الكبير، فلم يعد المجتمع القوى الذى قاوم الغزو الفرنسى موجودا، لقد قضى عليه تحديث محمد على!

لماذا لم نسمع عن حالات موت تحت التعذيب فى أقسام الصعيد ؟ لماذا لم تجرؤ قوات الأمن على إطلاق الرصاص

على المظاهرات أثناء الثورة ؟ لماذا لم أر هنا أبدا أمين شرطة يوقف سيارة أجرة ليطلب ببجاحة 50 جنيها لأن » الباشا عايز يفطر «؟

لأن علاقات القوة بين الدولة والمجتمع مختلفة تاما، كلاهما ند للآخر، وكلاهما يتفاوض مع الآخر، ولنتذكر أن الإرهاب فى الصعيد لم ينته إلا بمساعدة بعض العائلات الكبيرة التى تحالفت مع الداخلية ليصل الطرفان إلى اتفاق ضمنى بمقتضاه تنازلت الدولة عن جانب من حقها القانونى فى منع تجارة المخدرات والسلاح، مقابل تنازل المجتمع عن جانب من أعرافه بحماية أبنائه والثأر لهم ـ خاصة أن الإرهابيين خرجوا على مجتمعهم أيضا لا على الدولة فقط ـ بل وصل البعض كعزت حنفى فى أسيوط ونوفل فى نجع حمادى إلى القبض بأنفسهم عليهم وتسليمهم.

وعلى الجانب الآخر لماذا لم تتوجه مظاهرات الصعيد نحو الأقسام وتحرقها رغم أن الأمر هنا سيكون أسهل بكثير ؟ لأن الأقسام هنا لا تحتل نفس مكانة القمع للمجتمع بنفس القدر الموجود فى الشمال، وظهر هذا بوضوح أثناء الثورة فحتى عند توجه الناس لبعض الأقسام لإحراقها اكتفى الضباط بإبعادهم بالعصى وقنابل الغاز فقط، بل إنه فى إحدى الحالات ما إن عرف مأمور القسم بأسماء محركى

المظاهرة حاملى المولوتوف حتى أرسل لكبار عائلاتهم وجعلهم وسطاء لإرضاء المتظاهرين بحل مشكلة تخصهم عند المجلس المحلى، فتم فض المظاهرة وديا ! ودائما كانت مظاهرات الصعيد فى المدن، والراغبين فى المشاركة من أهل القرى يأتون للمدن، ليس فقط للغياب التام للإعلام بل أيضا لغياب مظاهر الدولة التى سيتظاهرون ضدها.

المجتمع قد يلتف على قوانين الدولة بأشكال تبدو صادمة للغريب، مثلا عند رفع سن زواج الفتيات إلى 16 عاما كان الناس يلتزمون بذلك، لكنهم لم يعودوا يطيقون صبرا بعد رفعه مرة أخرى إلى 18 عاما، لذا كان الحل أن يكتفى الأهل الواثقون ببعضهم بكتابة عقد زواج عرفى، ثم بعد أن تصل الفتاة إلى السن يقومون بتوثيقه عند المأذون!

وفى المقابل الدولة أيضا تلتف بنفسها على قوانينها، مثلا أعرف فى بلدى عائلة شهيرة بتجارة المخدرات، وعندما يقرر الأمن تجريد حملة لملاحقتهم يهربون إلى التضاريس الصعبة خلف البيوت حيث الأراضى الزراعية الواسعة ثم الصحراء الأوسع ثم جبل أسيوط الذى كان فى وقت ما ملجأ آمنا للإرهابيين، وبدلا من مطاردتهم تكتفى الحملة بمصادرة ما تجده فى المنزل من سلاح غالى الثمن، ومصادرة سيارتهم الربع نقل، وهكذا تتماهى الدولة تاما مع المجتمع، فهى تلغى قانونها لتتعامل بقانون المجتمع فى العقوبات العرفية المالية !

الوضع الحالى غير مقبول أبدا، لكن البديل ليس بالضرورة سحق المجتمع وتفكيكه، الدولة الحديثة على النمط الغربى اختراع جديد طبقه محمد على لم يتجاوز عمره فى مصر قرنين من الزمان، بينما المجتمع سابق عليها بآلاف السنين، لا يمكن أن يلغى اللاحق سابقه العريق المتجذر فى الأرض والنفوس بهذه السهولة ، ولكليهما مزايا ضخمة وعيوب كارثية، فهل يمكن أن يتأثر أحدهما بالآخر ليخرج لنا منهما طريق ثالث أكثر توافقية يستعين بالمجتمع لضبط انحرافاته بنفسه بمساعدة الدولة ؟

الإجابة هى: نعم، يمكن ذلك، وما أسفرت عنه الانتخابات هو خير دليل، فقد كان البعض يتوقع أن تكون انتخابات الصعيد كارثة، تسيل فيها الدماء أنهارا، ويكتسح فيها الفلول المقاعد، لكن الواقع أثبت الخطأ التام لهذا، فالانتخابات تمت بسلام بلا أى ضحايا، وللمرة الأولى صوت جانب كبير من الناس على أساس سياسى وطنى،

إلى حد أن جميع أصدقائى النوبيين صوتوا لمحمد العمدة المرشح الثورى رغم أن منافسه مرشح الإخوان كان نوبيا، وهكذا كانت لحظة إعلان فوزه هى أيضا لحظة إعلان الفوز الأكبر للمجتمع فى هذه الجولة من معركته ضد التعصب العشائرى أو الدينى الأعمى .

وتظل قصة عبدالرحيم الغول نموذجا لافتا، فالرجل ذو العلاقات الاقتصادية والأمنية والسياسية الضاربة فى عمق النظام، تلقى هزيمة ساحقة فى كل أرقام الفرز حتى فى قريته نفسها، ثم فوجئ الناس فجرا بإعلان دخوله الإعادة بحجة وصول صناديق جاءت متأخرة وبالصدفة كلها بلا أختام!

ثار الناس وملأوا شوارع نجع حمادى بالمظاهرات ، وتم غلق طرق القطارات والسيارات لفترة محدودة

ـ يضطرون لهذا الفعل آسفين لأنها الطريقة الوحيدة التى تجعل الإعلام يبدأ فى الالتفات لهم ـ واستمروا فى التظاهر والاعتصام أمام مقر مجلس الدولة حتى صدر الحكم التاريخى بإلغاء الانتخابات وإعادتها فى 14يناير، ليكون أبلغ رد على التناول الإعلامى المتحيز والمضلل كعنوان موقع الإهرام (أنصار المرشحين الخاسرين بقنا يقطعون السكة الحديد !)

واللافت للنظر هنا أن المظاهرات والاعتصامات لم يكن فيها أى مظهر للتمييز العشائرى أو الدينى أو حتى السياسى ـ لم يرفع أنصار مرشح الإخوان الخاسر بالتزوير شعاراتهم ـ بل فقط شعارات موحدة للجميع مثل (لا للفلول) (لا للتزوير) ، وأيضا لم يلجأ أى شخص إطلاقا لاستخدام السلاح ، وفتح السكة الحديد تم بتفاوض مع الناس وإقناعهم لا بالحل الأمنى لإجبارهم الصيغة التوافقية بين المجتمع الصعيدى والدولة تبدو الآن أقرب من أى وقت مضى ، يمكن البناء على خلفية ما حدث فى الانتخابات لتثوير المجتمع بأدوات من داخله ، يمكن للدولة مثلا دعم دور واسع النطاق لشيوخ الأزهر أو شيوخ الصوفية ذوى التأثير الكبير، ولمجالس عرفية من كبار العائلات للوصول لتعهدات شرف بخصوص بعض الأمور كتجارة المخدرات والاستخدام غير المبرر للسلاح ، مع إقرار حق الدولة فى تنفيذ العقوبات القانونية لمنتهكى ما يتم الاتفاق عليه.

كما يمكن تعديل بعض القوانين كجعل سن زواج الفتاة أصغر مشروطا بالكشف الطبى الإجبارى للتأكد من مناسبة ذلك صحيا، وتعديل قانون حمل السلاح لجعله أكثر تساهلا ـ بحدود بالطبع ـ مع حامليه لحماية حيازتهم من الأراضى، ولنتذكر هنا أن المجتمع الصعيدى بطبعه يضبط سلاحه بنفسه ويشهد على ذلك أن حالات قتل الأبرياء نادرة جدا، ولنتذكر أيضا أن حمل السلاح فى أمريكا أكثر الدول حداثة مسموح به لأى مواطن !

الدولة ليست إلها قوانينه شرع مقدس لا يُرد، إشراك المجتمع فى إدارة شئونه، واحترام خصوصيته، وتفاوض الدولة معه، ودعمها لآليات من داخله لتغيير سلبياته ليس عيبا أو حراما، فقط ثوروا على الأحكام المسبقة فى عقولكم كما ثرتم على مبارك فى أرضكم.

167



168

هل الحديث في أمور مكرونة كوين ومياه صافي وأنابيب البوتاجاز وبنزينة وطنية أسرار حربية يُعد هتكها من أمور الخيانة العظمى ؟ هذا ما تعتقده قيادات القوات المسلحة المصرية.

يُعد الحديث عن المؤسسة العسكرية والاقتصاد أحد تابوهات السياسة المصرية، حيث ظلت القوات المسلحة حريصة على الاحتفاظ به كشأن خفي عن العامة والخاصة على السواء في الثلاثين سنة الأخيرة . تمتلك القوات المسلحة المصرية ويدير لواءاتها وعقدائها بأنفسهم - رغم افتقادهم للخبرة اللازمة - جزءاً ضخماً من

اقتصاد البلد يقدره الخبراء بما بين 25 و 40 بالمائة، وتمارس نشاطها الاقتصادي في مجالات كثيرة بدءاً من المقاولات كبيع وشراء الأراضي والشقق، والخدمات كتنظيف المنازل وإدارة الكافيتريات، وإدارة محطات البنزين، إلى الزراعة وتربية الدواجن والمواشي، إلى صناعة المكرونات والمشمعات البلاستيك للموائد!

وبالرغم أن تلك المعلومات متوفرة على مواقع الانترنت الخاصة بالشركات والجهات التي تمارس تلك الأنشطة، والتي تذكر علانية وبفخر أنها تابعة للقوات المسلحة، ولكن لسبب ما تحظر المؤسسة العسكرية على الجميع الحديث عنها.

هل موازنة القوات المسلحة المصرية كلها حربية وبالتالي يجب أن تكون سرية بدون رقيب أو حسيب عليها ؟ الإجابة هي لا.

جزء ما من موازنة الجيش المصري مرتبط بأنشطة عسكرية كشراء أسلحة أو إنتاجها، وفي حقيقة الأمر المعلومات عن هذا الجزء منكشفة ومنشورة للعالم بأجمعه من عدو وصديق لأن لدينا شريك رئيسي فيه ملتزم بالشفافية أمام مواطنيه ينشر كل شئ عن نفسه وعمن يتلقون معونة عسكرية منه في شكل أسلحة أو إنتاج حربي مشترك معهم، وهذا الشريك هو بالطبع الولايات المتحدة الأمريكية التي تمنح القوات المسلحة المصرية 1.3 مليار دولار من دعماً سنوياً من خلال برنامجها لـ"التمويل العسكري الخارجي"، ثم تنشر من خلال مواقعها الحكومية كـ "مكتب الحكومة الأمريكية للمحاسبية" أو وزارتي الدفاع والخارجية أو الكونجرس تفاصيل ما باعتنا أو ساعدتنا على إنتاجه في مصانعنا من دبابات وخلافه.

أما الجزء الذي تحتفظ القوات المسلحة سرياً فهو في الحقيقة ما يتعلق بمدخولها الهائل المجهول من أنشطة غير حربية، من مثل : تم بيع كام كيس مكرونة كوين وزجاجة مياه صافي المعدنية الشهر دا، وبكام لتر البنزين وكم عربية دخلت مونت ولمعت القزاز وظبطت العجل في محطات وطنية النهاردة، وكوين سيرفس بتنضف كام شقة في الأسبوع وماسكة كام حضانة، وتم شحن كام عربية نقل بلحوم طازجة من المجازر الآلية الحديثة بمزرعة شرق العوينات السنة دي، وتم تأجير كم شاليه بقرية سيدي كرير بالساحل الشمالي الصيف دا، أو تم بيع كم شقة في عمارات كلية البنات وبكام الشقة!

هذا هو الجزء السري الذي تسعى المؤسسة العسكرية لحجبه عن الظهور في الموازنة العامة للدولة أو الخضوع لرقابة نواب الشعب في البرلمان، ومناقشة المواطنين له علناً قد يعد جريمة خيانة عظمى - اسرائيل مش لازم تعرف الحاجات دي!

سوف أتناول فيما يلي الدور المستتر للمؤسسة العسكرية في الاقتصاد المصري ، وتحوله في بعض الأحيان

لأنشطة لا يليق بجيش مصر أن ينخرط بها، وتشغله عن مهامه الرئيسية في الالتفات لأمور حماية الحدود. بداية أحب أقول أنه ليست لدي أية مصادر سرية أو خاصة لتلك المقالة، مصادري ببساطة هي قصاصات الصحف القومية، مع مواقع الانترنت الرسمية الخاصة بالمشروعات التابعة للجيش وإعلانات الوظائف والبيع والشراء التي تنشرها.

بدأت قصة تحكم المؤسسة العسكرية في الاقتصاد المصري من بعد ثورة يوليو - 1952 أو انقلاب يوليو العسكري بحسب ما تراه- مع تحويل عبد الناصر نظام الدولة من ليبرالي إلى اشتراكي يقوم على ملكية الحكومة لكل شئ، وكان من المفترض أن يتبع الجميع سبيل الزهد السوفيتي في الاستهلاك حتى نستطيع النهوض. نصب ضباط الجيش- أو النخبة الحاكمة الجديدة - أنفسهم مديرين لممتلكات الدولة من مصانع وشركات القطاع العام. نص دستور 1964 الاشتراكي على أن “الشعب يسيطر على كل أدوات الانتاج”، وعينت النخبة العسكرية نفسها نائباً عن الشعب في تلك السيطرة. انتشر الفساد وسوء الإدارة في القطاع العام، وفي النهاية فشل مشروع عبد الناصر نتيجة عدم خبرة رتب الجيش

المدربة فقط على إدارة الحروب في أن تُسير مالية بلد.

تراجعت مكانة العسكر قليلاً كنخبة حاكمة وحيدة محتكرة للسلطة في عهد السادات، بعد أن تمرد السادات على التقشف السوفيتي وأراد أن ينفتح على العالم الغربي ينهل هو وشعبه من بضائعه الاستهلاكية البراقة. قام السادات بتحرير الاقتصاد نسبياً بخصخصة جزء من القطاع العام والانفتاح استهلاكياً على

الولايات المتحدة، واضطر العسكر عندها للقبول بمشاركة السلطة مع طبقة صاعدة من رجال الأعمال الطفيليين المقربين من السادات وأسرته.

ولكن - لحسن الطالع- جاءت اتفاقية السلام مع إسرائيل لتنقذ النخبة العسكرية من هذا الوضع وتعيد لها الكثير مما فقدت . بعد أن وضعت الحرب أوزارها ووقع السادات اتفاقية كامب ديفيد، لم يكن من الممكن تسريح العدد الهائل من جنود وضباط الجيش المدربين تدريباً عالياً على القتال، فكان أن تم إنشاء "**جهاز مشروعات الخدمة الوطنية**" الذي أقام المشروعات المختلفة وقام بتعيين لواءات وعقداء الجيش مديرين لها. ومنحت مشروعات القوات المسلحة امتيازات فوق سلطات الحكومة القانونية والمحاسبية، حيث أنها معفاة من الضرائب ولا تخضع للوائح والقوانين التي يخضع لها الجميع في القطاعين العام والخاص.

حينما طبق الرئيس المخلوع مبارك سياسة التحرر الاقتصادي الكامل مجدداً بعد عام 1992، استجابة لضغوط الولايات المتحدة وتنفيذاً لخطة محددة البنود وضعها له البنك الدولي وصندوق النقد، لم تمس يد الخصخصة ممتلكات القوات المسلحة . وعندما تسارع برنامج الخصخصة على يد الوريث المفترض جمال مبارك منذ عام 2004 وصاعد، أيضاً لم تجرؤ حكومة رجال الأعمال على الاقتراب من ممتلكات القوات المسلحة، بل وتم استيعابهم في صفقات بيع القطاع العام التي وصمها الفساد من خلال تأمين مناصب عليا للقادة العسكريين في الشركات المباعة .

المؤسسة العسكرية لا تؤمن بالنيوليبرالية الأمريكية أو عقيدة السوق الحر، أحد مكوناتها الخصخصة وإطلاق يد رجال الأعمال في إدارة الاقتصاد وانسحاب الدولة، لأن تلك العقيدة- اتفقنا معها أو كرهناها- تعني فقدانهم لممتلكات الدولة التي يديرونها.

وألمحت إحدى برقيات ويكيليكس المرسلة من السفيرة الأمريكية إلى أن المشير طنطاوي لا يحب سياسات الإصلاح الاقتصادي لأنها تقلل من سيطرة الدولة المركزية. ولعل تفسير ذلك صار واضحاً الآن. الأمر بالنسبة للمشير ليس بمسألة ولاء للنموذج الاشتراكي الذي ينحصر تعليمه السوفيتي وخبرته فيه، وإنما لأن يد الخصخصة كان من الممكن أن تطال المشروعات الشاسعة للمؤسسة العسكرية. في حين تدير القيادات العسكرية مشروعاتها على النمط السوفيتي العتيق من مخلفات الحرب الباردة، تحب أن تستهلك على النمط الأمريكي المتعولم .

وبالطبع تلعب العلاقة المباشرة ما بين الجيش المصري والبنتاجون الأمريكي والتي تتضمن سفر قيادات وضباط منتقين بشكل دوري للولايات المتحدة دوراً رئيسياً في شحذ هذا التوجه. بعد أن كانت قيادات الجيش في عهد عبد الناصر قد اعتادت على الاستهلاك الزاهد للملابس والسيارات، نشهد اليوم خلع المشير طنطاوي مثلاً لعباءة التقشف القديمة تلك إذا ما نظرنا للسيارة الجيب الأمريكية الفارهة التي دخل بها الميدان ذات مرة أثناء الثورة ليدرس بطرف عينه من فيه.
تذكر إحدى مقالات جريدة النيويورك تايمز أن أحد أبرز أعضاء المجلس العسكري يحرص في زيارته السنوية لوزارة الدفاع الأمريكية كل الحرص لأن يتسوق هو وزوجته في مول تايسونز كورنر بفرجينا، وأن لديه ولعاً بالمنتجات الأمريكية.
وفي الواقع هناك حالة ولع بين ضباط صغار بالاستهلاك على النمط الأمريكي، حتى أن من تسنح له الفرصة لأن يشتري زيه الرسمي من الولايات المتحدة يفعل!
السؤال الذي يطرح نفسه الآن : هل النخبة العسكرية كفء وقادرة على إدارة تلك المشروعات ؟ إذا ما كانوا بالفعل مدراء جيدين وقادرين على الإسهام في تنمية البلد اقتصادياً واجتماعياً فلنترك لهم في يدهم ما يملكون.
الإجابة هي أيضاً لا. لم يسمع الكثير منا عن مكرونة كوين وبالتأكيد لم يصفها مواطن يوماً بأنها أفضل ما في السوق، ولم نسمع أحداً يقول إن بنزينة وطنية تفوق في خدمتها جميع المحطات الأخرى،

أو إن مياه صافي المعدنية يجب أن توضع على كل مائدة . في واقع الأمر تبيع القوات المسلحة منتجاتها ليس نتيجة لجودتها، بل في معظم الأحيان من خلال كانتين وحدات الجيش المعزولة عن العالم الخارجي، حيث ليس أمام المجندين أي خيار آخر سوى استهلاك ما يجدونه هناك وإنفاق رواتبهم الزهيده عليه، أو من خلال تكوين شبكة علاقات مع موزعين مدنيين يتبادلون معهم المصالح.
يضاف لكل ذلك نشاط المؤسسة العسكرية في الأراضي.. للقوات المسلحة قانوناً الحق في وضع اليد على أية أراضي مملوكة الدولة "تنفيذاً لخطة الدفاع عن الدولة"، لكن تستخدم قيادات الجيش هذا الحق لاستخدام الأراضي العامة في أغراض تجارية وليس في أغراض أمنية. هناك جهاز كامل اسمه "جهاز مشروعات أراضي القوات المسلحة" مختص - كما يقترح مسماه - بإنشاء مشروعات على

الأراضي الخاصة بالقوات المسلحة، ومن ضمن ما يمتلكه هذا الجهاز أراض بمدينة نصر يبني عليها وحدات سكنية، وفي الساحل الشمالي يبني عليها قرى سياحية وفنادق من مثل قرية سيدي كرير. والمتابع لإعلانات بيع أراضي الساحل الشمالي في الصحف يجد أن القوات المسلحة تقوم ببيع تجاري لمساحات شاسعة تابعة لها لأجل بناء منتجعات سياحية ومنازل..الخ.

فوق كل ذلك لابد من طرح تساؤل هل يمكن في ظل انخراط القيادات العسكرية في أنشطة اقتصادية أن يكونوا بعيدين عن الانخراط في منظومة الفساد وقمع العمالة، في ظل نظام كانت الدولة كلها قائمة على الفساد وقمع الطبقات الدنيا العاملة، أم أن العسكر بكونهم أطراف مديرة فيه لابد أن يكونوا طرفا في صنع مثالبه ؟ أن تكون لواءاً سابقا في الجيش وعضواً في الحزب الوطني ونائباً في مجلس الشعب عنه طوال العشرة سنوات الماضية فأنت طرفا بصورة أو بأخرى في شبكة فساد الوطني .

كان اللواء سيد مشعل وزير الإنتاج الحربي المخلوع بعد الثورة مديراً لجهاز مشروعات الخدمة الوطنية قبل أن يصبح وزيراً، وأثناء ذلك كان أيضاً عضواً في الحزب الوطني ونائب الحزب عن دائرة حلوان لثلاثة دورات متتالية من عام 2000وحتى ،2011 ويفتخر بأنه أطلق اسم ابنته على المياه المعدنية التي ينتجها الجهاز- صافي.

أُزيح مشعل من منصبه بعد الثورة بسبب بلاغات مقدمه ضده للنائب العام بإهدار أموال الوزارة. كان فوز مشعل في الانتخابات البرلمانية في حلوان سهلاً بحشد أصوات عشرات الآلاف من العمال بمصنع 99 الحربي الكائن هناك، حيث كان يحرص على الذهاب للعمال للرقص معهم على مشارف الانتخابات، ثم الاختفاء من بينهم بعد الفوز وبذكر مصنع 99الحربي حلوان نتوقف أمام علاقة المؤسسة العسكرية بالعمال، حيث أنها لا تخضع لأية قيود نقابية أو حكومية في هذا الشأن. ففي شهر أغسطس للعام الماضي خرج عمال المصنع في موجة احتجاج عنيفة عندما توفي زميل لهم انفجرت في وجهة أنبوبة، وكان اللواء مدير المصنع قد أتى بمجموعة من اسطوانات الغاز من غير اختصاص عمال هذا المصنع لتجريبها، وعندما انفجر عدد منها قال لهم - طبقا لما قال العمال - لا يهم إن مات منكم واحد أو اثنين، وعندما مات بالفعل أحد منهم اقتحموا مكتب مدير المصنع وأشبعوه

ضرباً ثم اعتصموا. وتم تحويل قيادات العمال لمحاكمة عسكرية واتهامهم بإفشاء أسرار حربية لأنهم تحدثوا في شؤون أنابيب البوتاجاز!
يأخذنا هذا لمعاملة من يخدمون في مزارع الجيش، وهم في الحقيقة مجندين فقراء يؤدون الخدمة في هذه المزارع دون أجر. يلتحق الجندي القادم من الأرياف أو المدن الفقيرة بالتجنيد الإجباري ليتم تلقينه شعارات وطنية وجعله يغني أغاني قومية حماسية في طوابير الصباح، ثم ينسى كل هذا عندما يجد نفسه عاملاً في أحد مزارع الجيش التي تمتد فوق مئات الآلاف من الأفدنة. يتعلم تربية المواشي والدجاج وجمع البيض، ويفقد أي شعور بالكرامة الوطنية التي يؤكد قادة الجيش على غرسها فيهم.
والسؤال هنا ماذا سيكون أداؤه في حال نشبت أي حرب بعد أن نسى ما تدرب عليه وأصبح مدربا على جمع البيض ؟
تتكلم المؤسسة العسكرية في إعلام الدولة عن المسألة "الوطنية" في تبريرها لحماية سرية موازنة القوات المسلحة على أنها من قبيل الواجب القومي الذي لابد وأن ندافع عنه جميعنا كمصريين. لا أعتقد أن المجندين العاملين في جهاز المشروعات الخدمة الوطنية يتفقون مع ذلك !

171

لا يمكن أن نذكر العلاقة بين المؤسسة العسكرية والاقتصاد دون أن نشير لهيمنتها شبه المطلقة على الاقتصاد المحلي في المحافظات. كما نعرف جميعاً إن مصر خارج القاهرة تخضع لحكم عسكري شبه مكتمل الأركان، حيث أن 21 من الـ 29 محافظ المعينين في أقاليم قبلي وبحري هم لواءات جيش متقاعدين، بالإضافة لعشرات آخرين من رؤساء المدن والمراكز من عقداء وعمداء الجيش المتقاعدين أيضاً . ويتولى هؤلاء إدارة قطاعات اقتصادية واسعة في المحافظات كل محافظة تبعاً لمواردها، حيث يتحول لواءات الجيش الذين لا يتمتعون بأي خبرة دون قيادة الدبابات والطائرات الحربية فجأة إلى مديرين لقطاع السياحة الجوهري والحيوي في محافظات الأقصر وأسوان، أو قطاع صناعة السكر في قنا، أو صيد الأسماك والشحن والتفريغ بالسويس..الخ.
لا تخلو إدارة لواءات الجيش للاقتصاد المحلي من خلال عملهم كمحافظين من قصص فساد شهيرة كشفتها أو لم تكشفها بعد الصحف القومية.

منها على سبيل المثال واقعة اتهام محافظ الأقصر السابق اللواء سمير فرج- وكان قبل يشغل منصب رئيس إدارة الشؤون المعنوية بالقوات المسلحة- في صفقة بيع أرض بثمن بخس لرجل أعمال من المدينة نفسها، كان من المفترض أن تُبنى على قطعة الأرض تلك صالة ألعاب أوليمبية وتم بالفعل إنفاق مئات الملايين على المشروع، وفجأة توقفت عملية البناء وبيعت الأرض لرجل أعمال يمتلك فندق سياحي مقابلها وأُهدرت أموال طائلة.

ومن ناحية أخرى يجأر أهالي أسوان بالشكوي من محافظهم اللواء مصطفى السيد بسبب اتهامات له في حوادث فساد في الأراضي وقطاع السياحة، وقد قام هذا المحافظ مؤخراً بتعيين عشر عمداء جيش متقاعدين على الأقل في مناصب مدراء لمحاجر وموانئ نيلية بالمحافظة برواتب هائلة بدون وجه خبرة أو حق.

ولأجل هذا تبدو عجلة التنمية المحلية في محافظات مصر متوقفة منذ عقود، في حين سبقتنا الأمم جميعها، لأن من يديرون اقتصادنا المحلي يحصلون على الحكم كمكافأة نهاية خدمة. ولأجل كل ما فات تورط قيادات العسكر ولازالوا في قتل الثوار العزل في التحرير والعباسية وماسبيرو ومحمد محمود والقصر العيني.

إن انتصار معتصمي ومتظاهري مصر واكتمال الثورة يعني تحول ديمقراطي حقيقي في هذا الوطن، يعني شفافية مالية وخضوع جميع الموازنات لمبدأ المحاسبية، يعني أن الامتيازات الاقتصادية للقوات المسلحة كفئة صاحبة مهنة بعينها ستخضع لرقابة النواب المختارين وممثلي الشعب ، وربما تضطر قيادتها صاغرةً للعودة مرة أخرى لمهامها الأصلية : إدارة الحروب وليس إدارة قاعات الأفراح.

حكايات جديدة كشفتها الثورة التي جعلت مصر تكتشف نفسها بعد 60 سنة من ثقافة القطيع القائمة على وطنية الامتثال للأوامر. الضحية تقود الثورة، وجسارتها تفتح باباً مغلقاً في الأرواح الخائفة

وائل عبد الفتاح
الاخبار اللبنانية
٢٠١٢/١/٢٥







لم ير أحد ملامح وجهها، بدت مجهولة للجميع. صورتها جددت الثورة. صنعت فوراً فيضاناً يواجه جبروت الحذاء العسكري. الجندي لا يعرفها، يتصرف ضمن ماكينة تتحرك بزر في الغرف العالية. لم تخرج الى النور، كما لم تخرج فتاة أخرى، أراد الجنرال الحنون زيارتها في المستشفى بعدما سحلها جنوده وتركوا علاماتهم على وجهها.

الفتاة طردته، رفضت حنانه الفاشي، وعاقبتها العائلة بحبسها في غرفتها وحرمتها من العمل في الجامعة. سرعة نقل الصورة، وصناعة شبكة تواصل جماعية، علامتان فارقتان خلقتا سرعة جديدة تاماً، علامتان لم تدركهما السلطة وهي تعيد إنتاج القهر بسرعته القديمة.

سرعة الاتصال تخلق وعاء من التفكير الجماعي على الهواء، وتخلخل مركزية الرواية وصناعة الأبطال. ارتبطت الثورة بالصورة، وبالأفراد العاديين. صورة الجثث تلقى في أكوام القمامة، والجندي الذي يسحل فتاة أشعل الغضب في موقعة» محمد محمود« . والفتاة التي عرّتها الوحشية جعلت الآلاف يخرجون من بيوتهم ليدافعوا عن الضحية التي لا يعرفون حتى وجهها. الضحية تقود الثورة، وجسارتها تفتح باباً مغلقاً ّ في الأرواح الخائفة، اهتمام الناس بمولود علاء عبد الفتاح إشارة الى تحول لم تعد فيه السلطة هي صانعة الحكايات . شاب في الثلاثين وقف وحده أمام جبروت المؤسسة، رفض المثول أمام المحاكم العسكرية. فعل يتجاوز الرفض الى حكاية عن قوة الفرد في مواجهة دولة استبداد تعيش على تحول المجتمع الى قطعان تسوقها في الصباح نحو مكاتب ومصانع، وتعيدها الى البيوت في المساء بعد أن تكون قد اكتملت رحلة الترويض.



سميرة ابراهيم، خرجت من قفص الأخلاق البليدة لتواجه »سلطة« صنعت بالخوف قداستها، **وأحمد حرارة** أكد بفقدانه نور العين قيمة الكرامة والحرية، وأن الاستسلام للقهر والخلاص الفردي هو عمى أكبر. **علاء** امتنع عن الامتثال

لخطيئة تمنحها السلطة العسكرية قوة القانون. الاستسلام لخطايا تستخدم القانون للقهر، تكسرت مع الارادة القوية لفرد واحد. هؤلاء جميعاً حكايات جديدة كشفتها الثورة التي جعلت مصر تكتشف نفسها بعد 60 سنة من ثقافة القطيع القائمة على وطنية الامتثال للأوامر. المجلس العسكري يحارب، بكل ما أوتي من أدوات وأجهزة قمع، للدفاع عن الجمهورية القديمة، وإحياء جمهورية الاستبداد وحكم الأجهزة الأمنية، الجمهورية الشمولية، حيث الحاكم أو السلطة الحاكمة هي كل شيء. يتهم المجلس المختلفين معه بالخيانة، ويحارب كل الكيانات التي لم تدخل حظائر التدجين، ويشن حرباً نفسية لإعادة ثقافة القطيع. كل هذا باسم »وطنية « ترى في كل المعارضين عملاء وواجهات لقوى خارجية. هذا ما كان يفعله مبارك بالضبط. كان يتحدث عن» المصالح العليا للوطن «، والتي لم تكن سوى قيم غامضة يمكنه باسمها أن يروّض شعباً كاملاً إما بالتخويف أو بالتخوين . »الوطنية « هي الطاعة في رأي من يمسك السلطة، ويروّض الشعب الى الطريق الذي يريد . كانت » الوطنية« أو قمتها العالية هي الحرب مع اسرائيل، وعندما انهزمت القوات المسلحة أصبحت الوطنية هي الاستنزاف فالحرب الكبرى، ثم فض الاشتباك. وهنا اختلفت الآراء بين »تفاوض « و »لا تفاوض« . لكن السلطة أصرّت على أن اختيارها
هو الوطنية. هي نفسها التي اعتبرت أن الوطنية هي السلام مع إسرائيل، والمختلف معها جاسوس وعميل لقوى خارجية، ويحاكم ويوضع في السجون. وهكذا فالمصالح العليا هي ما تراه السلطة وتريده. والخارج عنها جاسوس، وحاقد ومأجور. هذه تقاليد ما سميته من قبل » الوطنية « الكاكي، وطنية الطاعة والطوابير وقطعان تحارب بأوامر وتسالم بأوامر. المشكلة عندما انتقلت هذه الوطنية الكاكي الى المجال المدني، وطلبت السلطة من الشعب التحول الى »جنود « في

معركة لا أحد يعرف متى تنتهي .
هل يُعقل أن مصر هي الدولة الوحيدة في العالم التي تقنع فيه السلطة شعبها بأنه معرّض للمؤامرات ولا فرق بين عبد الناصر والسادات ومبارك والمجلس

العسكري ؟ هل من الطبيعي أن كل معارضة لا تسمع الكلام تصبح مأجورة وتعمل ضد »المصالح العليا « ؟

الحقيقة أن هذه كلها مفاهيم مستوحاة من تصور آدولف هتلر عن الدولة. تصور يضع الشعب في حالة طوارئ، ويبعده عن المشاركة أو المطالبات لأننا في « حرب « وهي شيء لا يفهمه سوى قلة قليلة، أو خبراء هم الذين يعرفون وحدهم »المصالح العليا « للوطن. وهذه تصورات واهمة واهية لأن المصالح العليا للوطن هي الفرد الذي يجب ان يشعر بالأمان والكرامة والحرية والعدالة قبل الخبز دائماً. الفرد هو الأمن القومي في الدول الديموقراطية. حين لا يتعلم الشعب الديموقراطية ولا الوطنية من الجيوش. لا يعود الكاكي مسطرة الوطنية.

المجتمع يصنع حكاياته ومفاهيمه، وهنا تشتعل حرب الأجهزة القديمة كلها ضد المجتمع لإعادة المجتمع الى الحظيرة والمسطرة الى السلطة.

175



176

حكي لي صديق، ستعرف حالا لماذا لا يمكنني أن أقول اسمه، عن والده صاحب الرتبة الكبيرة سابقا في جهاز أمن الدولة المنحل، وكيف أنه كان قبل انطلاق الثورة دائم الانتقاد للمؤسسة العسكرية ومميزات العاملين بها بينما وزارة الداخلية هي التي تتحمل العبء الأكبر في » الحفاظ على البلد« .

هناك طريقتان للحفاظ على البلد: الحفاظ على حرمة حياة وكرامة وحرية كل فرد فيها، ومن أجل ذلك تكون الحدود والمؤسسات والمنشآت ويكون المسؤولون الذين يعملون ثم يحاسبون، لكني أظن أن » الحفاظ على البلد« عندنا عادة ما يعبر عن طريقة ثانية : حماية الحدود والمنشآت وهياكل المؤسسات وهيبة القيادات وما يرونه المصلحة العامة للناس ولو تطلب ذلك التضحية بحياة أو كرامة

أو حرية الكثير منهم، في النهاية، واضح أنهم العنصر الأكثر توافراً وتجدداً ومصر، تحديدا، ولادة!
أعتقد أن كل المؤسسات ذات الطبيعة العسكرية تميل تلقائيا للطريقة الثانية إن لم تكن تحت ضغط معايير قوة فوقها ترشدها وتقومها، ولذلك أعتقد أن الشرطة والجيش في مصر يشتركان في ميلهما في أغلب الأوقات للطريقة الثانية في » الحفاظ على البلد . «
وقائع فض الاحتجاجات والاعتقال والتعذيب مع الشرطة قبل الثورة ومع الجيش بعدها تثبت ذلك. بالإضافة لأحوال الأفراد في قاع الهرم داخل المؤسستين وما يعانونه.
بعض التوتر المكتوم بين العاملين في المؤسستين قبل الثورة ليس إلا نزاعا على المميزات والصلاحيات التي يتلقاها كل منهم بناء على جهده في حماية البلد وفق نفس الطريقة والفلسفة وليس لاختلاف حقيقي.
قبل انطلاق الثورة كان يمكن لي أن ألتقط من هنا وهناك ومن أفواه ضباط جيش سخطهم من النفوذ المتصاعد لضباط الداخلية وامتيازات الداخلية التي بدأت في التصاعد في مقابلهم.
في الفترة الماضية كان الدور السياسي للجهاز الأمني في مصر هو الأهم فعلا في » الحفاظ على البلد« في الفترة الماضية بعد أن قامت السياسة الخارجية المصرية بركوع استراتيجي واستتب الأمر.
شعور ضباط الجيش في السنوات السابقة على الثورة بالقلق من التوريث وما يعلنوه حاليا من ذلك، كان مؤشرا على أن كثير من الخطوات الأخيرة لنظام مبارك التي تولاها المحروس ولده كانت ضدهم، ليس لأن العسكر قلقون ويريدون أن يحافظوا على البلد بالطريقة الأولى، لكن لأنهم قلقون عليها بالطريقة الثانية، على » الأمن القومي «، وأيضا لأن جمال مبارك كان يقود محاولة لتجاوز تسلط » حكم العسكر« من أجل منظومة حكم تسلطية يشيد أركانها كومة من التكنوقراط ويمولها كومة من الرأسماليين يقبلون مساحة الحرية الاقتصادية مع أكوام الفساد في ظل ديمقراطية شكلية ونظام أمني قمعي يتولى - بدلا من العسكر- الحفاظ على البلد بالطريقة الثانية.

من »حركة الجيش المباركة« في 1952التي أرست الدولة المصرية التسلطية التي يحميها الجيش ويقودها قائده الأعلى، إلى حركة » العبور إلى المستقبل « في بداية الألفية مع أبناء مبارك في حراسة أمن الدولة، كانت مسيرة خراب البلد تحت شعار »الحفاظ على البلد « .

177

تفاصيل فساد الحركة الأخيرة وتسلطها كان من الصعب ألا يمر عبر الإعلام في ظل ادعاءات عن ديمقراطية وحريات، أما الحركة الأولى، وفي قلبها المؤسسة العسكرية، كانت حتى وقت قريب خارج المحاسبة وفوق الانتقاد.

يعرف كل العاملين بالصحافة كيف كانت المؤسسة العسكرية قبل انطلاق الثورة التابو الأكبر الذي لا يمكن المساس به أو ذكر شيء عنه إلا بإذنه. وما زالت مؤسسات صحفية مدنسة بهذا التقليد . كان يمكنك أن تستمع إلى حكايات وحكايات ممن خدموا في الجيش عن سلبيات » مصنع الرجال « والآن يمكن أن تستمتع وتقرأ حكايات عن فساد بعض قيادات الجيش المسيطر على جزء معتبراً من الاقتصاد المصري. يمكن أيضا أن تستمتع إلى أضعاف ذلك مما يشتهي خيالك من الحكايات.

ليس لأن هناك مؤسسة شيطانية، مبارك أيضا لم يكن شيطانا، لكن الجيش مؤسسة كأي مؤسسة بشرية يمكن أن تفسد وتحتاج للمراقبة والمحاسبة ومن يجعل نفسه فوق المحاسبة عليه أن يتحمل كل ما لا يمكننا توثيقه عن فساده أو استقامته، خاصة أن ظهر في خطاب قيادات هذه المؤسسة وسلوكها وسلوك بعض أفرادها أنها تتبع في الغالب الطريقة الثانية في »الحفاظ على البلد . «

انطلاقة الثورة بدأت في حفر قبر هذه الطريقة، فكسرت جهاز الشرطة وتسعى لهيكلة وزارة الداخلية. وإذا كان من الصعب أن تستمع إلى انتقادات ضد الجيش قبل شهور، رغم أنها كانت حاضرة في كثير من الحوارات الجانبية ومقالات قليلة مثل ما كتبه مايكل نبيل وتسبب في سجنه، فإن الهتافات بسقوط حكم العسكر وضرورة محاكمتهم التي دوت أمس في مسيرات الشوارع وحشود الميادين تعلن أن 25 يناير الجديد ليس ذكرى ثورة بل محطة على طريق ثورة مستمرة تريد إنهاء مسخرة الحفاظ على البلد بالطريقة الثانية.

شخصيا لا أشك أن العسكر سوف يفسحون الطريق لانتخاب رئيس مثلما أفسحوا الطريق لانتخاب برلمان، وسيعلنون أنهم قد سلموا السلطة، لكن الضغط لتسليم السلطة فورا والهتاف بسقوط المجلس العسكري ليس نفاد صبر أو رغبة في الصدام، بل هدفه أن تستلم المؤسسات المدنية السلطة تحت ضغط ثوري بشروط ثورية تبدأ فعلا ديمقراطية حقيقية يمكنها أن تحافظ على البلد بالطريقة الأولى، وأن تتولى مراقبة ومحاسبة وتطهير المؤسسة العسكرية، لا أن يتم التسليم بشروط المؤسسة العسكرية وترتيبها، لأنها ستحاول الإبقاء على سلطاتها الكثيرة وامتيازاتها وحصاناتها في قلب الدولة المصرية بدعوى » الحفاظ على البلد« بالطريقة الثانية.

أقول قولي هذا وأذكركم ونفسي أن والد صديقي الضابط السابق في أمن الدولة، قد أدهش صديقي منذ انطلاق الثورة بدفاعه الحار عن المجلس العسكري والجيش وحقهم في إدارة البلد في هذه المرحلة الصعبة رغم انتقاداته السابقة للمؤسسة العسكرية. إنه الانحياز والحنين إلى نفس الطريقة في »الحفاظ على البلد!« قديمة يا أفندم منك له! خربتم البلد ستين عاما عاشت مصر فيهم مع تشكيلة متنوعة من حكم العسكر والضباط ووصاياتهم. كفاية

178



179

تعلمت من خبرة 28 » جمعة الغضب العام الماضى« أن لا أنزل من بيتنا إلى التحرير مباشرة.

تعلمت أن أبحث عن مسيرة وأنضم إليها وأقطع الشوارع وسطها.

كان شارع قصر العينى والشوارع المحيطة به فى أيام الثورة الأولى أكثر مناطق القاهرة عنفا، لذلك لم أتمكن فى ذلك اليوم من الخروج منه، وظللت عاما كاملا أتأمل صورة المتظاهرين على كوبرى قصر النيل يؤدون الصلاة تحت المياه ثم الغاز.. وأتحسر!

فى 25 يناير هذا العام كنت واحدة من هؤلاء الذين شاركوا فى ملء مساحات الهواء حول الكوبرى، بصمت الحداد على شهداء لم نستطع أن نأخذ حقهم ولا أن نحقق حلمهم.

وصباح الجمعة قررت أن أخرج من مسجد مصطفى محمود.

كنت مشغولة بالأعداد.. خائفة أن يصبح العدد أقل من المتوقع.

أحاول أن أتصور حال الناس بعد يوم 25 هل شعروا بالتعب.. بالخوف ؟!

أجلس على سور الحديقة المواجهة للمسجد الكبير بجوار أم شابة تحمل طفلتها عمرها 5 أشهر، وأطمئن نفسى إذا كانت هذه الأم نزلت على الرغم من صعوبة حمل الطفلة، فهذا يعنى أن العدد سيكون كبيرا.. ازداد قلقى، ربما لأننى لا أريد أن أفقد سعادتى المستمدة من الأعداد الكبيرة التى نزلت يوم .. 25 فقط.. لأننى تعديت مرحلة الشك فى استمرار الثورة منذ فترة.

بعد انتهاء الصلاة كانت الأعداد نسبيا قليلة، ومرت دقائق قبل أن أجد الأرض قد انشقت وخرج منها الآلاف.. من أين جاؤوا ؟! لا أعرف، من داخل المسجد أو من خارجه.. من الشوارع الجانبية ؟! لا أعرف.

لا أعرف إلا شعورى لحظة أن أصبحت واحدة من مظاهرة لا أرى أولها ولا أرى آخرها.

وانفصلت عن أصدقائى وأصبحت وحدى وسط المظاهرة.. كل من حولى يهتف ويتحرك فى نظام كأننا أجرينا عليه بروفات من قبل، وأنا جزء من المنظومة.

هذه اللحظات هى ما يكفى لهذا اليوم، الباقى كله يظل مستمرا بالدفع الذاتى.. لحظة اللقاء ولحظة اكتشاف أنك جزء من الكل ولحظة التعرف على هذا الكل هى اللحظة التى أحاول أن أصفها، لكن.. الطاقة المتولدة

عن هذه اللحظة هى الطاقة التى تدفع الكل إلى الاستمرار.. انزلوا.. بأنفسكم حتى تعرفوا ما أتحدث عنه.. كانت هتافات الحرية هى أكثر الهتافات تأثيرا بالنسبة إلى خلال العام الماضى.

الآن الهتافات التى تدافع عن حق الفقراء هى ما أحب ترديده، ربما لأننى بدأت أدرك أن الحرية بديهية لن يمنحها أحد ولن يمنعها أحد. ربما ثقتى فى أن الثورة نجحت فى تحطيم الخوف للأبد يجعلنى أشعر بأن الحرية انتصرت حتى داخل السجون.

حتى المسجون الذى لا يشعر بالخوف هو فى نظرى حر. ربما!
لكن الأكيد أن إصرارى على ترديد الهتافات التى تطالب بحق الفقراء اليوم وأمس.. نابع أيضا من شعورى بأننا نحتاج إلى الفقراء أكثر مما يحتاجون إلينا.
نحتاج إلى العمال والموظفين.. ونحتاج إلى المهمشين والأرزقية .. نحتاج إليهم معنا.. ونحتاج إلى أن نقول لهم إننا معكم. أو ربما لأننى أشعر أن الفقراء أكثر من ظلموا خلال العام الماضى.
بناء الفقراء أكثر من استشهدوا وأكثر من أصيبوا.
مطالب الفقراء بزيادة الأجور أو التعيين أو التوظيف هى أكثر المطالب التى تم تشويهها من أول يوم بعد الثورة.. وأصبحت كلمة فئوية سبة يرددها الببغاوات.
ولأن كل من حاول المطالبة بحقه منهم وسط الثوار، اتهم بالبلطجة.. حتى أهالى المصابين والشهداء الفقراء منهم اتهموا المرة بعد الأخرى بالبلطجة.

ربما.. لهذا كله.. أشعر بأن المطالبة بحق الشهيد أولا وحق المصاب ثانيا وحق الفقير ثالثا.. هو ما يمكن أن يدفع بهذه الثورة إلى الأمام.
من حق الفقير أن يفعل ما يشاء.
حتى لو أدان الثوار بدلا من أن يدين المجلس العسكرى.
من حقه أن يقول» آدى اللى أخدناه من الثورة «، بدلا من أن يقول » آدى اللى أخدناه من العسكر« .
ومن واجبنا أن نظل نهتف ونطالب بحقوق الفقراء حتى يرضوا.
سيسقط حكم العسكر بإرادة الشعب.. وسيحكمنا مدنيون يحترمون إرادة الشعب حتى لو تأخر ذلك.. لن يتأخر كثيرا.. هذا الشعب الذى يملأ شوارع القاهرة الآن، وربما المحافظات » لا أعرف« قادر على أن يختار حكامه. .
لكن الثورة لن تنجح والتغيير لن يتحقق إلا بعد انتزاع حق الشهيد والمصاب والفقير

يا تموت وانت واقف.. يا تعيش وانت راكع

نوارة نجم
مدونة افتكاسات
٢٠١٢/٢/١

182

ولا يسعدنى ما يقوله البعض: نوارة بميت راجل. نوارة لا بميت راجل ولا زفت.. نوارة تعبت من دفن عرسان السماء وبتلعب فى عداد عمرها أملا فى أن يكون للعدو الشجاعة الكافية ليلحقنى بالأبرار الذين شممت رائحة المسك تفوح من جثامينهم الراقدة فى المشرحة. نعم العدو، الذى يدير معركة ضد أشخاص ليس لديهم أى مطلب سوى الكرامة، سواء كان فقيرهم الذى يتهم بالبلطجة لملابسه الرثة، وميسورهم الذى يتهم بالعمالة للجهات الأجنبية.

اثبت مكانك » ده الخوف بيخاف منك.. وضميرك عمره ما خانك « أكتب الآن، وقد أعددت حقيبة ملابسى، حيث إن أحد الشباب قال على موقع ال» تويتر« إنه قابل ضابط شرطة أخبره بعزم قوات الأمن على فض اعتصام ماسبيرو، وأنهم مكلفون بالبحث عنى بالاسم . إحقاقا للحق،» لم أكن أنتوى « النزول إلى ماسبيرو اليوم، حيث إننى أعانى من نزلة برد، لكن، مادامت أن قوات الأمن تبحث عنى بالاسم.. فما يصحش أدوخهم. سواء صحت المعلومة أم كانت مجرد شائعة، فليس لدينا أى سلاح فى مواجهة العدو سوى الثبات. العدو، هو ذلك الكيان الذى يأخذ المعونة الأمريكية، وبناء على ذلك يأتمر بأمرها، وليس لدى أمريكا أى رغبة فى أن يتحرر الشعب المصرى، ولا تضع تحرر الشعب المصرى كاحتمال وارد يمكنها التعامل معه، وبما إنها أوكلت مهمة قمع الثورة إلى جهة عسكرية، فإن تلك الجهة لا تفهم إلا الإرهاب، هى لا تقتل، أو تعرى، أو تكشف على عذرية الحرائر، أو تأمر ضباطها بالتبول على الناس بغرض التسلية، وإنما غرضها الوحيد هو التخويف.

تستخدم الإعلام المروج لوهم » حرق البلاد« ، و » تقسيم مصر «، و »الجوع «، و» الشارع ما بقاش معاكم وكره الثورة«.. إلى جانب إلقاء الجثث فى المزابل وسحل النساء وتعريتهن، كل ذلك، أخى المواطن أختى المواطنة، سيذهب سدىً

فى حالة واحدة فقط: اثبت مكانك... أيا كانت الخسائر... اثبت مكانك. الثبات والشجاعة ليسا طريقنا للنصر، وإنما هما النصر ذاته. هكذا ينكسر العدو ومن خلفه، ويخسر كل ملياراته التى ينفقها لإرهابك.

اثبت مكانك »كلامك ما بيتفهمش.. إحساسك ما بيتوصفش« ولا يفهم الراكنون إلى الدعة، والانتخابات، والصبر، والإعلام الفاسد، ما الذى يدفعنا لأن نفعل ذلك بأنفسنا.. ونحن بدورنا لا نفهم لماذا لا يفهمون ؟ فقراء الثوار ليسوا بلطجية.. ولا ينزلون إلى الشارع ويواجهون الرصاص بحثا عن زيادة فى الدخول، ولا أملا فى تقاضى مبالغ زهيدة، وهى زهيدة حتى إن بلغت المليون يورو... كم تساوى أرواحهم، وأعينهم، وحريتهم، وأعراضهم ؟ وليس بمستبعد على الفقير أن يعطى الكرامة الأولوية على لقمة العيش.. ذلك لأنه إنسان، وفقره لا يعنى أنه تحول إلى حلوف عدم اللا مؤاغزة.. وإن كان بعض، أو كل، من هم فى السلطة ومن يديرون إعلام التطبيل والصاجات، قضوا حياتهم فى إذلال أنفسهم من أجل المال والمكاسب، فنحن إذ نفهم أنهم نموذج من البشر، نرجو منهم أن لا يستخدموا حقارتهم كمقياس للحكم على الفقراء الذين يضحون بأرواحهم فقط ليحترموا أنفسهم، وينسحب هذا الكلام على ادعاءاتهم بأن الميسورين من الثوار يتلقون تمويلات أجنبية.. ما هو مش عشان أنت شحات بتمد إيدك للمعونة، وللسعودية، وللإمارات، ولقطر، وللكويت، يبقى كل الناس شحاتين زيك يا شحات... فيه مخاليق فى الدنيا دى عندها كرامة وربنا، ولا ولن تقبل الاستبداد، والإذلال، والقمع. سرنا فى طريق ولن نرجع فيه ، وليس لدينا رفاهية التردد ، أو الخوف ، أو حساب الحسابات ... الخوف هزيمتنا، والتردد مقتلنا، وإن حسبنا الحسابات فكيف سنعود لنحترم أنفسنا مرة أخرى بعد أن دفنا أصدقاءنا؟ اثبت مكانك » أنا اللى ثابت مهما قالوا ومهما زودوا الأسى« ومن ركن إلى الخوف والدعة وحسب الحسابات ، يداه ملطختان بالدماء، يخجل من نفسه، فيواجه عاره بالتبريرات التى تزيده صغارا على صغار. يرى الحجارة فى يد الأطفال ويتجاهل الرصاص الحى، يرى السباب فى أفواه الثوار ويتغاضى عن ضابط يتبول على آله وذويه، ذلك سبيله الوحيد لوضع رأسه على الوسادة وهو يردد : » أنا ما بانزلش عشان البلطجية وقلة أدب الثوار« طب احنا قلالات أدب فعلا... وأنى لنا أن نهزم العدو الذى يتبول علينا سوى بأن نهز هيبته بالسباب ؟ وأنى لنا أن نثبت مكاننا أمام الرصاص

الحى سوى بالحجارة ؟ اخجل من نفسك.. أنت تتحدث بمنطق إسرائيل التى لا ترى جثامين الأطفال المحترقة بالفسفور » وترى انتهاك الفلسطينيين لبراءة الأطفال بتدريبهم على المقاومة« احترم نفسك إن كنت تريد ذلك.. وإن أبيت فدعنا نحترم أنفسنا... ونثبت مكاننا، واكفنا تثبيطك وتخذيلك.

183



184-185



186


enjoy
Capitalism
keizer

187


الأحرار يبكون شهدائهم
و العبيد يبكون جلادهم

188


لا للصلح
Shady Youssef Photography . Graffiti Documentary 2011,Cairo.

189


Shady Youssef Photography . Graffiti Documentary 2011,Cairo.

190


Shady Yousef Photography . Graffiti Documentary 2011,Cairo.

191


Shady Yousef Photography . Graffiti Documentary 2011,Cairo.

192



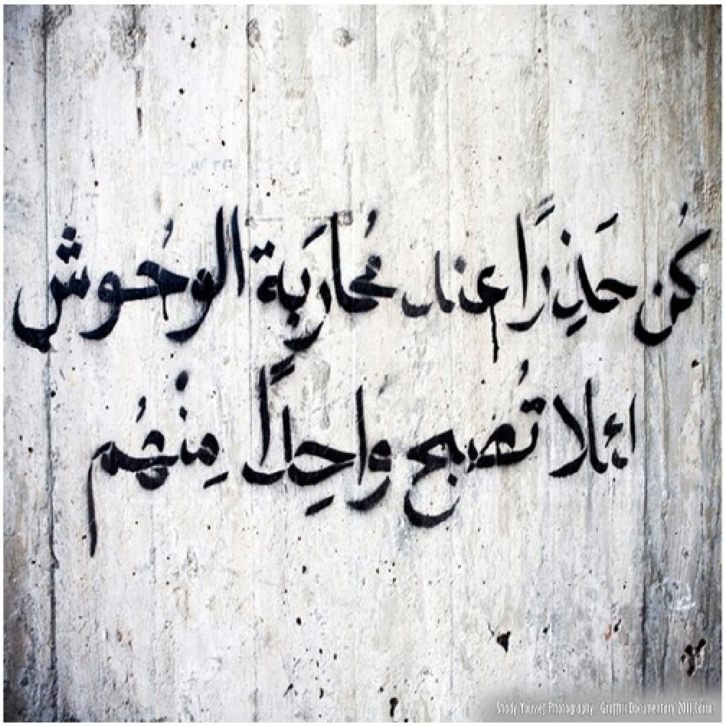
193



194



195



196


OCCUPY
Shady Youssef Photography · Graffiti Documentary 2011 Cairo

197


= 25$
Shady Youssef Photography · Graffiti Documentary 2011 Cairo

198



199



200


Shady Youssef Photography . Graffiti Documentary 2011 Cairo

201


Shady Youssef Photography . Graffiti Documentary 2011 Cairo

202



203



204



205



206



207



208


WANTED
ابحث مع الشعب
ملازم أول / محمود صبحي الشناوى
ضابط امن مركزى متهم بتصفية عيون
Shady Youssef

209


FREEDOM
2
Janu
5
ary

210

211

شهداء



أبانوب عوض الله نعيم

السن : 18عاما

مكان الاستشهاد: قسم الزاوية الحمراء

تاريخ الاستشهاد 2011/01/27

المهنة: طالب

كان أبانوب عوض الله، من مواليد 1993، وسط أفراد عائلته عندما سمع إطلاق نار أمام قسم الزاوية الحمراء في الخامسة مساء الجمعة 28 يناير 2011، نزل من منزله ليجد المواطنين على الأرض غارقين في دمائهم، أحضر أبانوب دراجته النارية وبدأ في رفع القتلى عن الأرض، لينقلهم إلى المستشفى، ولكن رصاصة من أحد الضباط أصابته في رأسه من الخلف وخرجت من جبهته.



أحمد الفكهاني

السن: 40عاما

مكان الاستشهاد: عرب المعادي

تاريخ الاستشهاد 2011/01/29

المهنة: عامل

كان أحمد، عامل اليومية، يشارك يوم 29 يناير في نقل المصابين والمتوفين إلى أحد المستشفيات بمنطقة المعادي في شارع أحمد زكي ، وفي أثناء ذلك تلقى رصاصتين إحداهما في بطنه والأخرى في رقبته ، فتوفي في الحال.

212



أحمد إيهاب محمد فؤاد

السن: 25عاما

تاريخ الاستشهاد 2011/02/03

المهنة: مهندس

خرج أحمد مع جموع الشباب يوم 28 يناير، ولكنه لم يعد إلى زوجته التي تزوجها قبل شهرين فقط، استشهد أحمد بينما كان يواجه قوات الأمن المركزي عند مدخل كوبري قصر النيل التي كانت تحاول منع المتظاهرين من الدخول إلى ميدان التحرير، تلقى ثلاث رصاصات في جسده، وظل في المستشفى إلى أن فاض روحه إلى بارئه يوم 3 فبراير.



أحمد محمد بسيوني إبراهيم

السن: 32عاما

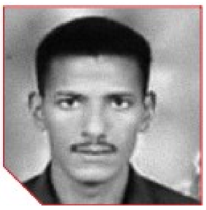
مكان الاستشهاد: ميدان التحرير

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

المهنة: مدرِّس مساعد بكلية التربية الفنية جامعة حلوان

شارك أحمد بسيوني في مظاهرات يومً 25يناير فكان هدفا لرجال الأمن المركزي لأنه كان يحمل كاميرا فيديو، حيث كان يرغب في توثيق أحداث الثورة كاملة، وحين نزل مرة أخرى في جمعة الغضب يوم 28 يناير، لم تكتف الشرطة بضربه بالرصاص الحي، وإنما دهسته بعدها سيارة أمن مركزي، حاول رفاق أحمد في المظاهرات الذهاب إلى مستشفى أم المصريين، إلا أنه كان قد توفي بالفعل، ورفض المستشفى تسليم جثته إلا بعد توقيع ذويه على تنازل كامل عن جميع مستحقاته وحقوقه، فاضطرُّوا إلى التوقيع على ذلك. أحمد متزوج وله طفلان: آدم 4 سنوات، وسلمى التي لم تكمل عامها الأول وقت استشهاده.

213



أحمد محمود أحمد زهران

السن: 21عاما

مكان الاستشهاد: مركز شرطة ديروط، محافظة أسيوط

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

المؤهل: بكالوريوس خدمة اجتماعية

المهنة: نقاش

استشهد أحمد محمود أحمد، الذي يعيش بمركز ديروط بمحافظة أسيوط، يوم جمعة التحدي الذي تَنحى فيه مبارك. كان أحمد يشارك في مظاهرة سلمية، وفي أثناء مرور المظاهرة أمام مركز شرطة ديروط قام بعض الضباط بإطلاق الرصاص الحي من أجل إنهاء المظاهرة، فأصابته إحدى الرصاصات وتوفي على الفور، تاركًا زوجته وابنه زياد، 10أشهر.



أحمد كمال أنور عبد الله

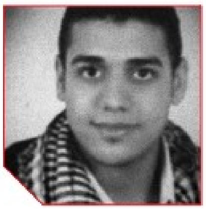
السن: 19عاما

مكان الاستشهاد: طنطا

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

المهنة: طالب بمعهد مصر العالي للهندسة والتكنولوجيا بالمنصورة

استشهد أحمد كمال أنور، 19سنة، يوم جمعة الغضب في أثناء محاولته إنقاذ مجموعة من المتظاهرين من القنابل المسيلة للدموع، وعندها أطلق عليه رجال شرطة نقطة »قحافة« في طنطا رصاصة حية استقرت في الرئة اليسرى، فقام أصدقاؤه بلف جسده بعلم مصر في محاولة منهم لوقف النزيف، ولكنه فارق الحياة.



أحمد عبد الرحيم

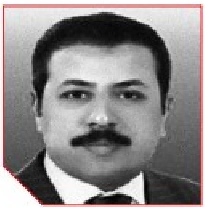
السن: 18عاما

مكان الاستشهاد: المطرية

تاريخ الاستشهاد 2011/01/27

المؤهل: تعليم ثانوي المهنة: طالب

استشهد أحمد عبد الرحيم السيد يوم 28 يناير في مظاهرة ميدان المطرية، لأنه كان يساعد المصابين في المظاهرة بسبب القنابل المسيلة للدموع، توفي من رصاصات أطلقها عليه رجال الشرطة، فأصيب في أعلى الصدر، والرأس، والجبين. أحمد كان في السنة الخامسة بالثانوي الصناعي وكان يحلم بدخول كلية الهندسة.



أحمد محمد محمود

السن: 39عاما

مكان الاستشهاد: شارع قصر العيني

تاريخ الاستشهاد 2011/02/02

المهنة: صحفي

أحمد محمد محمود، 39 سنة، صحفي بجريدة التعاون التي تصدر عن مؤسسة »الأهرام «، له طفلة وحيدة في العاشرة من عمرها. استشهد أحمد يوم 3 فبراير بمستشفى قصر العيني ، كان قد نُقل إلى هناك بعد إصابته بنزيف حادٍّ في المخ إثر إصابته برصاص أحد قنَّاصي الدَّاخلية يوم 29 يناير، وهو يؤدِّي عمله بتصوير المواجهات بين المتظاهرين والشرطة.



أحمد عوض السيد

السن: 17عاما

مكان الاستشهاد: قسم ثاني طنطا

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

المؤهل: تعليم ثانوي المهنة: طالب

كان أحمد بجوار قسم ثاني شرطة طنطا يوم 29 يناير، عندما حدث إطلاق نار من جانب الضباط، وفي أثناء ذلك تم إطلاق قنابل مسيلة للدموع وأعقبتها أعيرة نارية كان نصيبه منها طلقتين، فتم نقله على أثرها إلى مستشفى جامعة طنطا للعلاج، ولكنه لفظ أنفاسه الأخيرة في نفس اليوم. أحمد كان الأخ الوحيد لأختين.



أحمد عامر محمود

السن: 20عاما

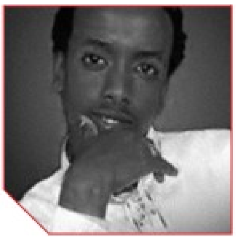
مكان الاستشهاد: قسم ثاني الرمل

تاريخ الاستشهاد 2011/01/27

المؤهل: كليه حقوق

المهنة: طالب

أحمد عامر، 20 سنة، طالب في الفرقة الثانية بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية، لم يكُن أحمد من المتظاهرين في يوم جمعة الغضب، ولكنه ذهب فقط ليسعف الشباب والشيوخ من المصابين أمام قسم شرطة الرمل فأصابته رصاصات ضباط ُ الشرطة، فتم نقله إلى العناية المركزة بالمستشفى الأميري الجامعي ليتوفى هناك.



أحمد صلاح شينكو

السن: 19عاما

مكان الاستشهاد: قرية توشكى

تاريخ الاستشهاد : 29يناير

المهنة: طالب

كان الطالب الجامعي أحمد صلاح شينكو، 19 سنة، في مهمة للحراسة الليلية ضمن اللجان الشعبية بقرية توشكى بمركز نصر النوبة، عندما فوجئ ومن معه بسيارة نقل مسرعة وعلى متنها أفراد يطلقون النار بشكل عشوائي عليهم، فاستقرت رصاصة في صدره، ونُقل إلى المستشفى ولكنه كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة، كان من أول شهداء مقاومي البلطجة بالنوبة، وقد حكمت المحكمة العسكرية على المتهم أحمد حمدان عطا قاتل شهيد النوبة بالسجن المؤبَّد.



أحمد شريف محمد محيي الدين ضاحي

السن: 18عاما

مكان الاستشهاد: ميدان التحرير

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

المؤهل: كلية الاقتصاد والعلوم السياسة

يقيم أحمد شريف محمد، 18 سنة، بشارع الخليفة المأمون بالقاهرة، وهو الابن الأكبر بين شقيقتين إحداهما بالمرحلة الابتدائية والأخرى بالثانوية. كان أحمدً طالبا بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، اغتالته رصاصات الغدر بميدان التحرير في يوم جمعة الغضب 28 يناير وسط دهشة زملائه الذين التفتوا إليه ليجدوا رأسه وقد تدلى إلى الأرض بينما نافورة من الدماء تتفجر من صدره! سارع زملاؤه بحمله إلى أقرب مستشفى، وفي مبني قصر العيني القديم تمدد أحمد على طاولة الكشف أمام الطبيب، وكانت آخر كلماته : » أنا مش خايف من الموت، أنا شهيد، وهادخل الجنة. »

217



أحمد سمير السيد

السن: 27عاما

مكان الاستشهاد: قسم دار السلام

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

المؤهل: كلية أصول الدين جامعة الأزهر

أحمد سمير السيد، 27 سنة، من مواليد مدينة المحلة، لكنه انتقل مع أسرته إلى القاهرة بعد ولادته، تَخرَّج في النهاية في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ذهب أحمد لأداء صلاة الجمعة يوم 28 يناير، وعاد بعدها إلى المنزل وتناول آخر وجبة غداء ونزل مسرعا إلى التحرير ليتلقى رصاصة قاتلة اخترقت القلب وخرجت من الظهر مساء جمعة الغضب أمام مجمع شرطة دار السلام بميدان المطبعة. بعد بحث طويل قام به الأهالي والأصدقاء، عثروا على أحمد في مستشفى القوات المسلحة.



إسلام رأفت زينهم حسين

السن: 18عاما

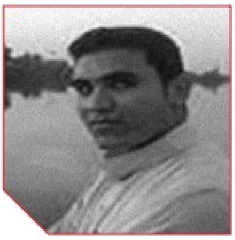
مكان الاستشهاد: وزارة الداخلية

تاريخ الاستشهاد 2011/01/27

المهنة: طالب

يقيم إسلام رأفت زينهم، 18 سنة، في حي دار السلام، خرج في مظاهرات يوم 27 يناير، حيث دهسته سيارة هيئة دبلوماسية بيضاء اللون بشارع قصر العيني ليستشهد نتيجة كسر في الجمجمة.

218



أمير مجدي عبده

السن: 27عاما

مكان الاستشهاد: ميدان التحرير

تاريخ الاستشهاد 2011/02/02

المؤهل: بكالوريوس تجارة

عمل أمير مجدي، بكالوريوس تجارة، محاسبا بأحد مكاتب المحاسبة في مدينة السادس من أكتوبر، وهو من قرية أبو عوالي التابعة لمركز أشمون محافظةُ المنوفية، استشهد بطلقة في الرأس من أعلى كوبري 6 أكتوبر، يوم موقعة الجمل في ميدان التحرير، لم يغادر أمير التحرير منذ أتى يوم جمعة الغضب 28 يناير، بعد أن ودَّع جميع أفراد أسرته البسيطة المكونة من والديه وأختيه وأخيه

عبده، وبعد أن ودّع خطيبته التي شاركته في رسم ملامح بيتهما لمدة تزيد على العام حيث كان من المقرَّر أن يتم الزفاف بعد عدة أشهر.



أميرة سمير شحاتة

السن: 17عاما

مكان الاستشهاد: الرمل

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

المؤهل: تعليم ثانوي

المهنة: طالبة في الثانوية العامة

تسكن أميرة في العقار 80 بالإسكان الصناعي بالشركة العربية بالقرب من قسم ثاني الرمل بمدينة الإسكندرية، استشهدت يوم 28 يناير 2011 عندما كانت تتابع من بيتها عددًا من الاحتجاجات القريبة، قبل أن تطيش إلى قلبها رصاصة لم تمهله نبضات قليلة قد تكفي لإسعافها، كان النزيف أقوى وأسرع من محاولات نقلها إلى أي مستشفى، ففارقت الحياة خلال دقائق، ورغم أنها لم تكن من المشاركين في المظاهرات فإن رصاصات الشرطة طالتها داخل بيتها.

219



بلال سالم عيسى

السن: 10 أعوام

مكان الاستشهاد : رفح

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

بلال هو أصغر شهداء الثورة، يبلغ من العمرُ 10سنوات، تو في يوم جمعة الغضب عندما خرج ليلعب رغم أصوات الرصاص التي اعتادها بحكم سكن أسرته في المدينة الحدودية المتاخمة لغزة، أصيب برصاصتين في أثناء مراقبته الشرطة وهي تفرِّق الأهالي بجانب مسكن أسرته الذي يبعد 300 متر عن مركز الشرطة. في ميدان التحرير رفع بعض أهالي مدينة رفح صورة الطفل الشهيد بلال التي كُتب أسفلها» لم يقتله الصهاينة بل قتلته الشرطة المصرية بالرصاص الحي . «



بهاء السنوسي

السن : 25عاما

مكان الاستشهاد: أمام مديرية أمن الإسكندرية بسموحة

تاريخ الاستشهاد 19نوفمبر 2011

المؤهل: بكالوريوس تجارة

المدون السكندري بهاء السنوسي، أحد المشاركين البارزين في الثورة، عضو حزب التيار المصري وهو حزب يعبِّر عن شباب الثورة من المنشقين عن جماعة الإخوان المسلمين، وقد نشأ بعد ثورة 25 يناير. ويُعتبر بهاء السنوسي المؤسس الرئيسي َ للحزب، وجاء استشهاده خلال مظاهرة أمام مديرية الأمن بالإسكندرية، وحسب رواية شهود العيان فقد أصاب بهاء رصاص حي في رأسه أسفر عن تهشمه، ونُقل ُ إلى المستشفى الميري حيث توفي قبل تقديم أي إسعافات طبية له.



حسام سيد متولي

السن : 25عاما

مكان الاستشهاد: ميدان التحرير

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

لقي الشهيد حسام سيد متولي حتفه في أثناء توقُّفه لإنقاذ أحد المصابين في سيارته يوم جمعة الغضب 28 يناير، استشهد حسام إثر تلقيه رصاصة من أحد القناصة في بطنه وأخرى في صدره وهو يحمل أحد المصابين على يده. كان حسام البالغ من العمر 25 عاما ينتظر حفل زفافه بعد شهرين، لم تصدِّق والدته، سيدة إبراهيم عبد العال، خبر استشهاده، ودخلت العناية المركزة فور سماعها الخبر، وفقدت القدرة على الحركة والكلام. كان هو عائل الأسرة الوحيد.



طارق عبد اللطيف محمد محمد الأقطش

السن: 36عاما

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

المهنة: مهندس

يعمل طارق عبد اللطيف، الذي استشهد وهو في منتصف الثلاثينيات من العمر، ً مهندسا بإحدى شركات البترول متعددة الجنسيات. خرج يوم 28يناير للتظاهر بعد صلاة الجمعة من جامع مصطفي محمود بالمهندسين ولم يُعثر له على أثر، قام أقاربه بالبحث عنة لمدة أربعين يوما في كل الأماكن التي يمكن أن يكون

فيها, ثم قاموا بتدشين حملة إلكترونية على موقع » فيسبوك« للبحث عنه... بعد أربعين يوما تعرفت زوجته على جثته في مشرحة مستشفى قصر العيني، مصابًا في رقبته بعيار من طراز 4 مم. طارق له ابنتان: مريم 6 سنوات، وسارة سنة واحدة.

221



زياد محمد صالح بكير

السن : 37عاما

تاريخ الاستشهاد 2011/01/28

المهنة: فنان تشكيلي

زياد بكير (37عاما) فنان تشكيلي ومصمم جرافيك بدار الأوبرا، وأب لثلاثة أطفال (حبيبة وأدهم وأحمد). اشترك زياد في المظاهرات التي اندلعت منذ يوم 25 يناير ،2011 وانقطعت أخباره منذ يوم 28 يناير، ثم علمت الأسرة من أحد زملاء زياد أنهما تقابلا في ميدان التحرير، تركه زميله الساعة 11 مساء، وعند عودته بعد دقائق قليلة كان زياد قد اختفى، ظل أهله يبحثون عنه في كل مكان دون جدوى إلى أن تم العثور على جثمانه في حالة سيئة يوم 10 مارس، وقد اخترقته عدة رصاصات، وجد أهله صعوبة في التعرف عليه، إلا أن نتيجة تحليل الحمض النووي ظهرت إيجابية.



علاء عبد الهادي

السن : 22عاما

مكان الاستشهاد: أمام مبنى مجلس الوزراء

تاريخ الاستشهاد 2011/12/16

رصاصة في الرأس أنهت حياة علاء عبد الهادي، الطالب بالصف الخامس بكلية طب عين شمس، في أثناء وقوفه في مواجهة قوات الجيش في محاولة لمنع تقدم قوات الجيش إلى المعتصمين في شارع قصر العيني في أثناء فض اعتصام مجلس الوزراء فجر يوم 16 ديسمبر. علاء لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، وعلى الرغم من خبرته القليلة في مجال الطب، كان يقف في المستشفى الميداني يساعد الأطباء في علاج المصابين، حتى إنه كتب في خانة العمل على » البروفايل« الخاص به بموقع » فيسبوك: « » عيادة المستشفى الميداني بالتحرير . «

222



الشيخ عماد عفت

السن: 52عاما

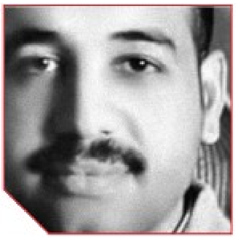
مكان الاستشهاد: أمام مبني مجلس الوزراء

تاريخ الاستشهاد 2011/12/16

المؤهل: ليسانس اللغة العربية، وليسانس الشريعة الإسلامية

المهنة: مدير إدارة الحساب الشرعي بدار الإفتاء المصرية

الشيخ عماد عفت وجه يألفه كثير من المصريين الذين دأبوا على النزول إلى ميدان التحرير ، وإن لم يكن من هؤلاء الذين يعتلون منصات التحرير. يوم 16 ديسمبر نزل الشيخ عفت إلى ميدان التحرير، ليس فقط كمشارك في المظاهرات كعادته، لكنه حاول، بابتسامته التي أبى الموت أن يُخفيها عن وجهه، تهدئة الأوضاع بين المتظاهرين والأمن، ليتلقى بقلبه رصاصة خرجت من مسدس أحد أفراد الأمن. عرف الشيخ عفت، الذي كان حريصا على رفع علم مصر في كل المظاهرات التي شارك بها، بفتواه بتحريم التصويت لفلول الحزب الوطني المنحل.



محمد حنفي

السن : 31عاما

مكان الاستشهاد: مستشفى الإسكندرية الجامعي

تاريخ الاستشهاد 2011/02/06

يوم 6 فبراير ذهب محمد حنفي لأداء صلاة العصر، إلا أنه فوجئ في أثناء خروجه من المسجد برصاص غادر يخرج بشكل عشوائي من سلاح أحد الضباط ليستقر في صدره ويلقى حتفه في الحال. اتهمت أسرة محمد حنفي الشرطة بإطلاق الرصاص عليه وتركه في الشارع ينزف فترة طويلة دون إسعافات حتى لفظ أنفاسه الأخيرة. محمد لم يكن له أي نشاط سياسي.



مينا دانيال

السن : 25عاما

مكان الاستشهاد: أمام ماسبيرو

تاريخ الاستشهاد 2011/10/9

استشهد مينا دانيال يوم الأحد 9 أكتوبر إثر إصابته برصاصه اخترقت صدره من الناحية العليا وخرجت من الناحية السفلى في المذبحة التي تعرضت لها المظاهرة السلمية للأقباط أمام مبنى ماسبيرو على خلفية أزمة هدم كنيسة ماريناب بأسوان. أشارت أصابع الاتهام إلى الشرطة العسكرية والمدرعات وبلطجية الأمن الذين استهدفوا المتظاهرين بالرصاص الحي والدهس بالمدرعات. مينا أحد أبطال ثورة 25 يناير، ممن تصدروا الصفوف يوم 28 يناير، وتلقى في أثنائها رصاصة في كتفه، وأخرى بقيت معه في ركبته بين العظام، وقاتل كما لم يقاتل أحد يوم موقعة الجمل، وكان نموذجا ملهما لكل الثوار، يتلقى العلاج ويندفع إلى المعركة، َلقبه البعض بـ» جيفارا المصري . »

224-225

شكر وتقدير

تتقدم مؤسسة المورد الثقافي بخالص الشكر والتقدير والعرفان لكل من ساهم في خروج هذا الكتاب، سواء بالمجهود أو بالوقت أو بالمعلومات أو بالأعمال التي كوَّنت محتوى كتاب 25

مادة الكتاب:

أيمن حلمي سيد محمود

كريم نبيل In Focus Club عمرو صلاح

هاني الحسيني

كتـَّاب المقالات:

أسماء محفوظ
أنسي الحاج
بلال فضل
زينب أبو المجد
عزت القمحاوي
عمرو عزت
علاء الأسواني
مصباح قطب
محمد البلتاجي
مصطفى كامل السيد
نيفين مسعد
وائل جمال
والتر أرمبروست

أدمن «كلنا خالد سعيد»
أهداف سويف
خالد الخميسي
ساري حنفي
عمار علي حسن
عمرو الشوبكي
علاء عبد الفتاح
محمد أبو الغيط
محمود سالم
نجلاء بدير
نوارة نجم
وائل عبد الفتاح

<u>المصورون:</u>

ايمان هلال
أحمد عبد اللطيف
جوناثان رشاد
رندا شعث
فادي عزت
محمد عمر
محمود خالد
يحي دوير

أحمد هيمن
توماس هارتويل
حمدي رضا
روجيه أنيس
محمد حسام الدين
مجدي ابراهيم
نادر أسامة

<u>الكاريكاتير</u>

أحمد نادي
أمجد رسمي

أحمد عز العرب

عبد الله أحمد
محمد أنور

قنديل
محمد صلاح

مخلوف　　　　　　　　　　مهاب مختار

هشام رحمة　　　　　　　　　　وليد طاهر

الأغاني:

احمد امين (مانشي)　　　　　　　　　　أحمد مكى

اسكندريلا　　　　　　　　　　امين حداد

باسم وديع　　　　　　　　　　تيم البرغوتي

حازم شاهين　　　　　　　　　　رامي عصام

علي طالباب　　　　　　　　　　عمرو حاجا

فيجو Dj　　　　　　　　　　فيروز كراوية

محمد عنتر　　　　　　　　　　محمد محسن

مصطفي سعيد　　　　　　　　　　هالة القوصي

الجرافيتي:

تصوير: شادي يوسف

الفيديو:

تامر عيسي　　　　　　　　　　مايكل عادل

مجموعة » مصرِّين «　　　　　　　　　　محمد عنتر

المراجعة اللغوية:

محمود عبد الرازق

تصميم الكتاب:

شريف مكي

صور داخل الغلاف:

حمدى رضا

النشر :

دار روافد للنشر والتوزيع / إسلام عبد المعطي

الطباعة:

مطبعة / Prohouseمحمد عبد العظيم

فريق عمل المورد الثقافي:

مروة حلمي　　　　　　　　　　فكرة وإشراف

دينا الديب	إدارة المشروع
بيتر فارس	جمع المادة
نسمة هركي	جمع المادة
سارة نور	جمع المادة
بسمة الحسيني	مراجعة

227

الثورة مستمرة ...

228




أنا مش
جاية أشحت
حقي